

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الكاتبة: غادة عامر

رقم الإيداع: 2019 / 2543

ISBN : 978 - 977 - 798 - 156- 9

الطبعة الأولى يناير 2019

بَنَاءُ الْعَمَلِ

دار الحلم للنشر والتوزيع والترجمة ©

عضو اتحاد الناشرين المصريين

القاهرة - جمهورية مصر العربية



E-mail: dar_el7elm@hotmail.com

info.darel7elm@Gmail.com

Tel: 00242216335 - Mob: 00201141824562

Sales Manager Mob :00201146644959

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

إن دار الحلم للنشر والتوزيع غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعتبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار، كما أن جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار ولا يجوز طبع أو إعادة استخدام أي جزء من العمل في أي صورة كانت إلا بموجب موافقه خطية من الناشر..



إِنشَاءُ الْعُرَى

الكاتبة

غَادَّةُ عَامِرُ



إهداء

إلى من كان لي أبًا وزوجًا وحييًّا
وكان لهم أبًا وصديقًا وحصنًا منيعًا
إلى من كان لنا دائمًا القرار والسكن
فأصبح لنا الآن وطن

إلى زوجي الحبيب
وشريكي في التربية

محمد

إلى زهرة الحياة وقرّة العين

وأبطال الكتاب

أبنائي

حورية

آمال

عبد الرحمن

جنة



أبناء رائعون

كان إحساسًا غاية في الروعة عند ولادة ابتي الكبرى لن أنساه ما
حييت عندما كنت أجاهد عيني بصعوبة لأراها فقد كانت آثار البنج
لا تزال تخدر كل جسدي.. فقلت لهم: فقط دعوني ألمسها.

وتبدأ القصة من هنا.. وهي تربية أول طفل في الأسرة، فبقدر
الدلال الذي يحظى به من كل أفراد الأسرة إلا أنه أيضًا ينال نفس القدر
من الظلم الواقع عليه حيث يصبح حقل تجارب لكل صنف التربية،
من بداية التدليل المبالغ فيه خشية غضبه وتمرده وحتى القسوة والضرب
لتقويم سلوكه وعناده، ونظل حائرين ما بين نصائح الجد والجددة
وطريقة آبائنا في تربيتهما التي لا ننك معتقدين أنها التربية المثالية، وبين
نصائح وتوجيهات خبراء التربية الحديثة التي نصطدم في الواقع بصعوبة
تنفيذها، وغالبًا ما تبوء بالفشل الذريع عند التطبيق.

كنت أحيانا كثيرة أبكي وبحرقه وأتهم نفسي أنني أم فاشلة عندما كانت تواجهني مشكلة مع أولادي لا أستطيع حلها، وخاصة عندما بدأوا يكبرون وبدأ يكبر معهم إحساسهم بذاتهم واستقلال هوياتهم، مشاكلهم وتحدياتهم، نظراتهم ونبرات أصواتهم، طريقة غضبهم واعتراضهم،..... لحظات كهذه كانت تتجهمني وتقيدني بمشاعر من العجز والصمت بل والخوف منهم وعليهم أحيانا، غير أنني لم أكن أذهب بعيدا عنهم ولا يذهبون بعيدا عني أبدا، فمهما اشتدت التحديات والنوازل كان يظل هناك دائما ثابت واحد وهو أنني أعلم أنني أحبهم وسأظل أقاتل حتى أحبيهم، وسأظل هناك طالما يحتاجون إليّ.

أما والدهم فتواجهه في البيت رهبة وحدود.. فالكل يعرف أن بابا لا يتهاون، فتظل الأمور بين شد وجذب عند ماما بحكم تواجدها الأكثر مع الأولاد، ولكن حينما يصل الأمر لمسامح بابا فالوضع يختلف ولكن يظل الحنق والغضب الذي يختلط بمشاعر الكره أحيانا.

هذه القصة هي قصة كل بيت، وحكاية يرويها كل أب وكل أم،
نعرف جميعًا كيف نبدأها ولكن كثيرًا ما نقف متحيرين كيف نكمل
القصة؟

نعم.. إن ما قام به أبائنا وأمهاتنا عظيم بكل ما تحمله الكلمة من
معنى فقد قاموا بتربيتنا بالفطرة، حين كانت التحديات بسيطة والفطرة
ما زالت سليمة، ولكن الآن فلم تعد الفطرة وحدها تكفي، فلسنا وحدنا
من نربي، ولكن هناك الأصدقاء والفضائيات والإنترنت وغير ذلك
الكثير، فنحن الآن نعيش في عوالم مفتوحة وكأنا أصبحنا نعيش في
بيوت بلا شبابيك أو أبواب، فإذا لم نستطع أن نتعايش معًا ونحتضن
أبناءنا في هذا البيت المفتوح فعند هبوب أول عاصفة فلن نجد حتى
جدران أو أسقف تحميها لا نحن ولا أبناءنا.

ومع كل هذه التحديات والتيارات وغالبًا ما نقابلها خاويي
الوفاض، مستسلمين ومسلمين بأنه ليس بأيدينا شيئًا لنفعله، ونسينا
بأننا نحن المسئول الأول والأعظم والأهم في عملية التربية، لذا فقد آن
الأوان بأن نترك الشكوى والتذمر، ونسعى لمواجهة هذه التحديات

بكافة أنواع الأسلحة، ونعد العدة، ونسلك بالمعرفة، ولنعلم أن أكبر خطأ نرتكبه في حق أطفالنا وأكبر ظلم لهم أننا لا نقرأ ولا نتعلم، وليس فقط القراءة في كتب التربية، ولكن قراءة الكتب بوجه عام، فالقراءة صقل للشخصية وغذاء للروح، ومع كل كتاب تقرأه يُخلق إنسان جديد بداخلك يؤثر بمن حوله فما بالك بأبنائك.

ولذا فقد أحسست بضرورة تأليف هذا الكتاب الذي يدور موضوعه حول أبنائنا وتحديات العصر، جمعت فيه خلاصات تجارب وكتب ومحاضرات لعلماء ومتخصصين في التربية، وخلاصة لمجهود متواضع مني بالخروج بأفكار وحلول عملية لمواجهة التيارات المفروضة علينا والتي تنافسنا على تربية أبنائنا، وبعضاً منها من خلال تجاربي في تربية أولادي، علنا نستفيد جميعاً، وتكون عوناً لنا على إكمال الرسالة التي سنسأل عنها أمام الله سبحانه وتعالى.

وهذا الكتاب ليس موجهاً لمرحلة عمرية بعينها وإنما يتحدث عن الأساليب التي تمكننا من احتضان أبنائنا في جميع المراحل حتى نعدو بهم إلى بر الأمان.

ومن خلال تربيّتنا لأبنائنا سوف نكتشف أننا نسلّك نفس الأخطاء التي كان آباؤنا يفعلون بها في تربيّتهم لنا، نفس الصراخ والتهديد بالعقاب بل واستخدام العقاب البدني أحياناً عندما نفقد السيطرة، وسواءً نحن أو هم فلسنا مرّحين بهذه الطريقة فعلاً فهي تُصيّبنا بالإحباط والشعور بالفشل والندم.

أتذكر كم كان أبي هادئاً وحكيماً، ولكنه كان إذا قرر العقاب والضرب فقد كان يرقد في السرير مريضاً لفترة، فنحن لا نريد هذه الطريقة في التربية بالفعل ولكننا لا نملك أو نعرف طرقاً أفضل.

وإن كان التخلي عن طرق العقاب التقليدية خطوة على الطريق إلا أنه ليس حلاً طالما لا نستخدم طرقاً بديلة، ولا يجعل منا آباءً صالحين ما دمنا لم نستخدم أساليب أكثر فاعلية، بل على الآباء أن يبحثوا دائماً عن أحدث وأفضل الطرق في التربية، ولا بد أن يكون لديهم من المرونة ما يجعلهم على استعداد لتغيير طريقتهم إن وجدوا الأفضل، ولا يتجمدون في قوالب التربية القديمة، وقد قيل: ربوا أولادكم بغير تربيّتكم، فقد خلّقوا الزمان غير زمانكم.

إن الخبر المبشر أننا نستطيع أن نبدأ في أي وقت، المهم أن نبدأ الآن وليس غداً، مهما كان أطفالنا في أي مرحلة عمرية، سواء كانوا في مرحلة الطفولة أو المراهقة أو ما قبل المراهقة، ومهما كانت أخطاؤنا معهم من أساليب عقاب قاسية أو إهمال إلا أنه يمكن علاج مشاكلهم السلوكية مهما كان حجمها.

والأمر الآخر أنه بالرغم من التأثير الكبير للسلبيات التي يتعرض لها الأبناء في المجتمع إلا أن أكبر مشاكل الأبناء تبدأ وتنتهي في البيت وتتوقف على مدى احتواء الآباء لهم.

والدليل أنه في بعض المجتمعات التي تسمح بالمزيد من الحريات وتعاني من الانفلات في المعتقدات القيمة بشكل كبير كالمجتمعات الغربية، إلا أن الآباء المحافظين استطاعوا أن ينأوا بأبنائهم عن التأثيرات السلبية للمجتمع.

وعلى الجانب الآخر فهناك مجتمعات أخرى محافظة، بل ويغلب عليها طابع التدين والالتزام، إلا أنه وإن كانت الصورة الخارجية للأبناء الالتزام بينما عندما تتاح لهم الفرصة للخروج خارج إطار هذا المجتمع

فإنهم يتملصوا عنه بقيمه وتحفظاته، والسبب في ذلك هو الخلل في التربية بالرغم من السلوك الظاهري للمجتمع.

وذلك ما يدعونا أكثر وأكثر للاهتمام بالتعلم والمعرفة بكل أساليب التربية الحديثة حتى نعبر بأولادنا إلى بر الأمان، وننشئ أبناءً واثقين من أنفسهم، متعاونين، محافظين على قيمهم، لهم رؤية لمستقبلهم، وبارين بآبائهم.

ولنتذكر دائماً أن أبناءنا يستحقون، فعندما أراهم يكبرون أمامي أشعر بالسعادة والفخر فهم أكبر إنجاز في حياتي، وهبة ربانية أشكر الله تعالى عليها كل يوم، وأسأله تعالى أن يعينني على شكرها بأن أوفي حقها في الرعاية، وأستودع الله أولادي وأولادكم وأسأله البركة فيهم جميعاً.



رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما

علي بن أبي طالب

رضي الله عنه



أبنائي ومهنة الرحلة

عندما سألني صديق لزوجي عن موضوع الكتاب الجديد الذي أعزم الكتابة فيه وأخبرته أنه يتحدث عن تربية الأبناء، قال لي: أتمنى أن يكون كتابًا عمليًا يحمل خبراتك وتجاربك في تربية أبنائك، فكتب كثيرة وخبراء تربية كثيرون تحدثوا عن هذا الموضوع ولكن بنظريات وأفكار صعبة التطبيق، وبالرغم من أنني ترددت قليلًا، إلا أنه جعلني أفكر بالفعل على التركيز أكثر على التجارب والخبرات العملية في الكتاب، غير أنه أثار في عقلي الحيرة، حيث إنني قررت الخوض في هذا الموضوع لست لأنني خبيرة من خبراء التربية، ولكن لأنني أم تبحث كثير من الآباء والأمهات عن أفضل الطرق لتربية أبنائها، لعلني أستفيد وأفيد غيري من خلاصة كتب ومحاضرات وتجارب عملية.

ولكن ما شجعني على ذلك هو منة الله عليَّ بأن منحني أربعًا من الأبناء الرائعين في مراحل العمر المختلفة، مرحلة الحضانة، والمرحلة

الإعدادية، والمرحلة الثانوية، ومرحلة الجامعة، ولذا فقد مررت بمرحلة الطفولة، ومرحلة المراهقة، ومرحلة الشباب، وخضت تجربة تربية الأولاد وتربية البنات، مما جعل في جعبتي الكثير من التجارب منها ما كان ناجحًا، ومنها ما كان يحمل الكثير من الفشل.

ولأنني مثل أي أم مرت بتجارب ناجحة وأخرى فاشلة، فإن ذلك ما جعلني أتساءل إن كنت أكتب الناجح منها فقط.. ولكنني قررت أن أذكر الفاشل من هذه التجارب أيضًا، فأحيانًا يكون الفشل أكبر معلم وأكبر تأثيرًا من النجاح، ولأنني أردت أيضًا أن يكون كتابًا أقرب للواقع، فنحن لم نُخلق مثاليين، ولكننا سنظل ننشد الكمال من خلال رحلة التربية.

أحيانًا أتساءل إن كان الله تعالى قد خلق الأبناء زينة الحياة الدنيا فلماذا لا نستمتع بها، وإن كان تعالى زرع في قلوبنا حب الأبناء حتى يستمر النسل وتستمر الحياة فلماذا تكون تربيتهم بمثل هذه الصعوبة، لماذا لم

يولدوا ويشبوا في هدوء دون خوض كل تلك المعارك، لماذا نحتاج إلى كل تلك الكتب والمحاضرات والخبرات؟

فوجدت أن أغلى الأشياء وأقربها إلى قلبك هي التي تتعب من أجلها، ولا تشعر بقيمتها إلا عندما تصنعها بنفسك، وما تبذل فيه الجهد هو ما تشعر بجماله وتتعلق به، إن من أضمن الأشياء وأروعها في التربية هي المشاعر الكثيرة التي تعايشها مع أبنائك، مشاعر الحب والتعاطف والفرح والحزن والأسى والألم والتضحية والإيثار، إن تربية الأبناء تعلمك الحكمة والصبر والمثابرة، فإن أردت أن تتعلم الحكمة فربي طفلاً.

تستطيع من خلال أبنائك أن تستعيد مراحل حياتك مرة أخرى بعدد كل طفل لديك، تعيش طفولتك ومراهقتك وشبابك، ولعبك وضحكك، وكل إنجاز يعيشه ويحققه، تُعايشه أنت معه لحظة بلحظة، من خلالها تستطيع أن تعيش حيوات وحيوات لا حياة واحدة فقط.

إن الخوف من الإخفاق في التربية هاجس يخالجننا عندما نواجه أيًا من التحديات مع أبنائنا، مهما تعلمنا أو قرأنا من كتب، أو حتى أصبحنا خبراء تربية، ولكن في الأخير يصبح الحب هو الدليل والمرشد للطريق الصحيح، فإن ضللت فابحث في قلبك أولاً، ولذا فإن هذا الكتاب يخاطب قلوب الآباء والأمهات قبل عقولهم.



الباب الأول

من هنا نبدأ

* هل نعاني أزمة تربية؟

* لماذا نتجب أطفالاً؟

* الحب وحده لا يكفي.

* المعادلة المثالية.



هل نعاني أزمة تربية؟

دعونا نستعرض بالإحصائيات الإجابة على هذا التساؤل، ولنأخذ دولتين كمثال ومقياس لنبض الوطن العربي وهما مصر والسعودية.

عندما تقول إحصائية إن نسبة الذين يتعاطون المخدرات لسنة 2018 بلغت 10٪ في مصر أي حوالي 9 ملايين شخص من سن 11 سنة فما فوق، وإن 58٪ منهم يعيشون مع أسرهم بشكل طبيعي كما ذكر في (اليوم السابع)، فإن ذلك يعني بأن هناك أزمة في التربية.

وفي السعودية فإن النسبة المعلنة فقط تشير إلى 07٪ وأن نسبة الذين يتعاطون المخدرات في المملكة زادت في الستين الأخيرتين إلى 300٪.

فإن ذلك يشير إلى أن هناك أزمة في التربية.....

وعندما يصرح الجهاز المركزي للإحصاء والمحاسبات بأن العام الواحد في مصر يشهد 88 ألف حالة زواج عرفي وأن عددًا كبيرًا منهم من طلبة المدارس والجامعات.

ومجمع الفقه الإسلامي عندما يصرح بأن معدلات طلب الزواج العرفي بين الشباب والفتيات في السعودية ارتفعت لـ 12٪ خلال الخمس سنوات الأخيرة والتي لا يعتد بها القضاء السعودي، وأكثرهم من شباب الجامعة تنذر بأن هناك أزمة في التربية.

وعندما نعلم بأن مصر هي الأولى عالميًا في نسب الطلاق، بينما وصلت السعودية لنسبة 40٪ مقارنة بحالات الزواج في شهر فبراير 2018 تؤكد أن هناك أزمة تربية.

ناهيك عن ازدياد حالات التحرش المرعبة، وازدياد ظاهرة العنف بشكل ملحوظ بين الشباب والأطفال حتى.

وأحدث ظاهرة وهي ظاهرة ألعاب النت التي انكب عليها وأدمنها الكثير من الأطفال والشباب والتي أصابتهم بالانسحاب من المجتمع ومشاكل عدم التركيز وقد وصل الأمر بأن بعضها يؤدي للانتحار.

وما زالت التحديات مستمرة بل وفي ازدياد.....

إن كل ذلك يستدعي وقفة بل وقفات مع أنفسنا كأباء، ويجعلنا ننتبه إلى ناقوس الخطر الذي يتهدد أبناءنا ويسرقهم منا شيئًا فشيئًا دون أن نشعر.

ما الأسباب التي أدت إلى ذلك؟

إن هناك من يعتقدون بأن الأفكار والطرق القديمة في التربية كالصراخ والضرب والعنف هو السبب، وهناك من يعتقد على العكس من ذلك، بأن الأفكار المتحررة، والحرية الزائدة التي أعطاه الآباء لأبنائهم ومنحهم المزيد من الحرية دون قيود هي السبب، والكثيرون ممن يعتقدون أن السلبيات المستحدثة التي أصابت المجتمع والبيئة المحيطة بالأبناء والأصدقاء لها العامل الأكبر، وكثيرون أيضًا ممن يقول إن السبب الأساسي هو ما يُعرض على شاشات التلفزيون من عنف وقيم غير سوية وإباحية سافرة ما له من تأثير على قيم الأبناء وصعوبة تربيته.

وإن كان كل ما سبق أسباب حقيقية للمعاناة وظهور أزمات التربية إلا أنه وبالمخطط العريض نستطيع أن نقول إن أزمات ومشكلات الأبناء تبدأ في المنزل وتنتهي في المنزل، وهذا أمر محزن ومطمئن في ذات الوقت، فعندما نعلم أن أغلب مشاكل أبنائنا هي بسبب جهلنا وقصورنا في التعامل مع أبنائنا، فإن ذلك بالتأكيد يثير حزننا وشعورنا بالذنب

تجاههم، ولكن عندما نعلم أيضًا أننا نحن من نستطيع أن نحتويهم ونعود بهم إلى أحضاننا مهما كانت المشكلة كبيرة، ومهما كان اعتقادنا بأنه قد فات الأوان، إلا أن الخبر السعيد هو أن كل المطلوب أن نبدأ فقط والآن، وبالرغم من كل هذه التحديات الخارجية التي تشتت من تربيتنا لأبنائنا إلا أن البيت الدافئ والأب الحنون والأم المتفهمة باستطاعتهم أن يشكلوا الحصن المنيع الذي يحمي أبنائهم مهما شردوا بعيدا، ولا بد لهم من العودة مرة أخرى.



لماذا ننجب أطفالاً؟

في اعتقادي أن أغلبنا لم يفكر في هذا السؤال يوماً، وبالتالي لم يبحث عن إجابة له، فلقد خلق الله فينا حب الأطفال كفطرة أصيلة في الإنسان حفاظاً على استمرار النسل وإعمار الأرض.

قال تعالى: {وإذ قال ربك إني جاعلٌ في الأرض خليفة.....}. البقرة

30

وكما أن حب الأطفال غريزة إلا أنها إن لم تعززها النية فلن تكون للتربية أي معنى أو ذات جدوى، فهل فكرت يوماً أن تسأل نفسك.... لماذا أريد أن أنجب أطفالاً في الأصل؟

هل لتشبع رغبتك في أن تكون أب أو لتكوني أم؟

أم ليكونوا سنداً وظهرًا لك عندها تكبر؟

أم ليخلد اسمك؟

أم لتستطيع أن تحقق من خلالها ما لم تستطع تحقيقه في

حياتك؟

أم للتباهي والتفاخر أمام الناس؟

أم لينفعوا دينهم ووطنهم؟

أم كل ما سبق.....؟

إن من الأهمية بمكان طرح هذا السؤال على نفسك، والسر وراء أهمية الإجابة على هذا السؤال هي الكيفية التي ستربي عليها أبنائك بعد ذلك.

فمثلاً إن كان غرضك أن تشبع غريزة الأبوة أو الأمومة عندك فسيكون كافياً لك أن تنجب الأطفال، أما مسألة تربيتهم فستكون عملية عشوائية تماماً دون هدف أو غاية.

وإذا كانت الغاية هي السند والعزوة أو تخليد اسمك، فستكون أنت محور نفسك في عملية التربية، مثلما صاحب الشركة عندما يدرّب موظفيه بالطريقة التي تخدم مصلحة شركته، أو كمؤسسة تعليمية تهىء تلاميذها أن يصبحوا موظفين على مكاتب إدارية لا مبدعين.

وإذا كانت الغاية هي تحقيق ما لم تستطع أنت تحقيقه، فستكون تربيتك لهم بأسلوب الضغط والإرهاب لكي يكونون كما تريد أنت لا كما يريدون هم.

وإن كانت الغاية للتباهي فسيكون محور تربيتك لأبنائك هو الناس ومراقبة الناس لا مراقبة الله، وهذا المبدأ أيضًا هو ما سيتدرب عليه أبنائك ويسيروا على نهجه.

أما إن كان الهدف من إنجابك للأطفال هو أن ينفعوا دينهم ووطنهم فإن الأمر هنا سيختلف تمامًا، حيث سيدور محور تربيتك لأبنائك على زرع القيم والمبادئ في نفوسهم، وهذا ما يجعلك دائم البحث عن كتاب كهذا لتقرأه، وحريص على اقتناء كتب مماثلة والاستماع لمحاضرات وحضور دورات للبحث دائمًا عن أفضل وسائل التربية.



الحب وحده لا يكفي

إن حب الآباء لأبنائهم حب فطري ولا شك، فالأب والأم على استعداد للتضحية بأرواحهم، وبذل الغالي والنفيس من أجل تحقيق حياة أفضل لأبنائهم، ولكن إن لم يستطع الآباء تفهم احتياجات أبنائهم واحتوائها فإن ذلك الحب لن يكون كافيًا أبدًا، فقد يقدمون لهم الحياة بيد ويسلبونها منهم باليد الأخرى، فالحب يجب أن يترجم إلى لغة يفهمها الأبناء، وإن لم نستطع أن نترجم هذا الحب إلى دعم لهم وتعليمهم كيف يواجهون أعباء الحياة فلن نكون آباءً حقيقيين لهم بل مجرد رعاة.

وبالرغم من أخطائنا مع أبنائنا فإنها ليست بسبب عدم حبنا لهم ولكن لجهلنا بكيفية التعامل مع احتياجاتهم، وإن كان ذلك ليس مبررًا لنستمر في تلك الأخطاء، فالمعرفة والتطبيق هما خير معين ورفيق للدرب، فدرب التربية طويل وإذا فقدنا خارطة الطريق فسنقع في

متاهات لا نحب أن نسلکها، ونهايات لا نرجو أبداً أن نصل إليها،
وليس لدينا أعذاراً، فنحن جيل أوفر حظاً من آبائنا، فالمعرفة بين أيدينا،
ومن حولنا، في الكتب والإنترنت والتلفاز والدورات التلموية
والمحاضرات والندوات.

إن التعرف على كل خطوة يخطوها الابن، ومعالم كل مرحلة عمرية،
والتعامل مع كل مشكلة أو تحدٍ يعترضك في مشوار تربيتك لابنك أو
ابنتك هو أكبر هدية تقدمها له، فالمعرفة هي بداية الطريق للتفهم وحل
المشكلات، فعندما تبني بيتاً فانظر كيف تسأل وتبحث وتعلم حتى تبني
الأفضل، فما بالك وأنت تبني إنساناً، فكيف لك أن تتعامل عشوائياً
دون معرفة، وتفترض بأن الفطرة ستلهمك، فبناء إنسان أصعب بكثير
من بناء بنيان.....أو تخيل أن شخصاً ما ستجری له عملية جراحية، ثم
قال له الطبيب الذي سيجري له العملية إنه لم يتلق التدريب الكافي
لإجراء العملية، ولكنه يؤكد له أنه يحبه وسيقوم بالفطرة بإجراء العملية،
فتخيل ماذا يكون رد فعل ذاك الشخص، أو تخيل ماذا تكون نتيجة
العملية.

ليست مهمتك فقط المأكل والمشرب والملبس، ولكن مهمتك الحقيقية هي أن تعلمهم الحب، وتزرع في نفوسهم الثقة، وتعلمهم كيف يسعدون ويسعدون من حولهم، وكيف تخلق منهم الشخصية القوية التي يستطيعون من خلالها مواجهة تحديات الحياة، وتعلمهم كيف يبحثون عن هدف ويسعون وراءه حتى يصبحون جزءاً فاعلاً في مجتمعهم وليسوا عالة عليه، وأن سبب وجودهم وخلقهم الأساسي هو عبادة الله سبحانه وتعالى ليس فقط بالسجود والركوع ولكن أيضاً بالأخلاق والعمل.

لا تظلموا أولادكم بحجة أخطاء غير مقصودة قد تترك أثراً عميقة، وجروحاً غائرة لا علاج لها، وقد تدمر في طريقها فطرة نقية، ومستقبل واعد، ولكن يجب أن ننتبه فالأمر جد خطير، وكوارث التربية واقع مؤلم نراه من حولنا في كل مكان، من مخدرات وقيم منعدمة، وعلاقات غير مشروعة، وانزلاق مع جماعات ذات قيم منحرفة، وووووو.....، وما زالت التحديات تتكالب علينا أكثر فأكثر، ومع ذلك نقف أمامها عاجزين مكتوفي الأيدي نبرر لأنفسنا الأخطاء، ونختلق الأعذار التي لا

تنتهي من ضيق الوقت إلى الغرق في مشاكل الحياة، ومن السعي وراء
لقمة العيش لتهيئة المستوى الجيد الذي يعيشون فيه، ولكن اعلم أنه إن
لم يكن لأبنائك وبناء شخصياتهم الأولوية في حياتك فسيصبح كل ما
تفعله من أجلهم هباءً منثورًا.



المعادلة المثالية

نحن نسعى لتربية أبنائنا التربية المثالية التي تجعل منهم أناسًا صالحين نافعين لأنفسهم ولمجتمعهم، ولكننا نجهل الطريقة التي نتعامل بها معهم ليصلوا لهذه المرحلة، أو نتعامل معهم بأساليب خاطئة تقود في النهاية لعكس ما ننشد.

إن التربية الفاعلة في الأساس هي التي تعتمد على عنصرين أساسيين لا تقوم التربية السليمة على أيٍّ منها دونما الآخر، فهما لازمان في تربية الأبناء كما الوقود والفرامل بالنسبة للسيارة، هذان العنصران هما...الحب والحزم، فالحب والحزم هما كفتا ميزان التربية الإيجابية، فالحب وحده لا يكفي لصنع إنسان مسئول، والحزم وحده لا يكفي لصنع إنسان بالأصل، فالحب بالنسبة للطفل يعني الأمان والطمأنينة الذي لا يستطيع أن يعيش ويتنفس بدونهما، أما الحزم فهو السياج الذي

يحميه، والحدود التي يسمح له التحرك بداخلها، والتربية المثالية هي خليط متوازن من كلا العنصرين لا ينفع أحدهما دون الآخر فضلاً عن أن يضر حيث إن الحب من دون الحزم يؤدي إلى التدليل الزائد الذي يقود للأنانية واللامبالاة وعدم تحمل المسؤولية، والحزم مع غياب الحب قسوة وعنف تؤدي إلى الكراهية والكبت والتمرد وبالتالي يخلق شخصية غير متزنة، إما انطوائية أو عنيفة وتمرّدة على كل القواعد والقوانين.

ومن المؤسف أن غالب الآباء لا يعرفون كيف يظهرّون حبهم لأبنائهم، وفي نفس الوقت لا يتعاملون معهم بالحزم المطلوب، وهذا ما يخلق التشويش والاضطراب عند الأبناء، وفي كل هذه الحالات ننشئ دون قصد شخصية غير سوية وغير متوازنة.

ولهذا فيجب على الآباء أن يتقنوا هذه المعادلة الصعبة جيداً، فيظل الحب دائماً هو ذلك الرابط القوي الذي يشبع حاجة الابن للأمان وأنه مقبول عند والديه مهما حدث، وأن هناك دائماً فرصة أخرى، وسيظل في

انتظاره دائماً الحزن الدافئ واليد الحانية، فتخيل إذا أغلق باب التوبة
فماذا كنا فاعلين، ويصاحب الحب الصرامة في تطبيق المبادئ والقوانين
التي يضعها الأب والأم في البيت كقواعد لضبط السلوك والمتفق عليها
مع الأبناء مسبقاً.



كيف نحب أبناءنا؟

كانت تخفي الكثير من الكلمات وراء عينيها الدامعتين، وأكثر ما يؤلمني هو نظرة حزن في أعين أحد أبنائي، هي بالذات أرق بناقي وأكثرهم رهافة، ابنتي الوسطى آمال لا تستطيع تحمل كلمة تسيء لها أو تمس كرامتها، وفجأة انفجرت بالبكاء.

ما بك حبيتي؟

لما كل هذا البكاء؟

لا أحد يحبني.. لا أحد يحبني

كيف؟

لا أنت ولا أبي ولا إخوتي ولا أصحابي.

وبالرغم من أن هذا الكلام خالٍ تمامًا من الصحة إلا أن مشادة مع والدها جعلتها ترى الدنيا بلا لون، وأن تشعر بأنه لا أحد يحبها.

وهذا ما جعلني أتساءل؟؟؟

هل نحب أبناءنا بالفعل؟ ما الدليل؟

بالتأكيد.. ومن لا يحب أبناءه؟!، ولكن لماذا يصعب علينا التعبير عن هذا الحب، لماذا لا نستطيع أن نترجم هذا الحب فعليًا، فللحب علامات ودلائل، والمشاعر تصل حتى بدون النطق بالكلمات، وأكثر لغة يفهمها الأطفال هي لغة الجسد، فالابتسامة والاحتضان والقبلات، ثم لغة الكلمات التي لا تقل أهمية وتأثيرًا في نفوس الأبناء، فهم يحتاجون للتأكيد على هذا الحب بكل اللغات، هذا الحب الذي يصنع إنسانًا سويًا واثقًا ناجحًا في حياته.

فبالرغم من أننا نحب أبناءنا إلا أننا لا نستطيع أن نشعرهم بهذا الحب، فمشادة أو كلمة أو انتقاد من الوالدين لأبنائهم قد تكون بمثابة سهامًا موجهة لقلوبهم.

إن الآباء يفترضون أن أبناءهم يعلمون أنهم يحبونهم، وعلى هذا الأساس يتصرفون، فلا يلقون بالأل لكلماتهم، أو للطريقة التي يتعاملون بها مع أبنائهم، ولكن الحقيقة أن ما لا تقوله الكلمات أو يمنحه العناق والقبلات لا يصل لقلوب الأبناء.

"عندما تكون أبًا تذكر أن تكون في ذكريات أبنائك غدًا وعليك أن تكون في حياتهم اليوم"

Judy H. Wright

أولاً الخزان أولاً

إن معظم الآباء والأمهات يحبون أبنائهم، ولكنهم لا يُظهرون هذا الحب بالشكل المناسب، فيتسببون بإعاقة نمو أبنائهم عاطفياً واجتماعياً، فلكل طفل خزان عاطفي هو ما يحرك مشاعره وسلوكياته، فإذا استطاع الآباء أن يتحدثوا بلغة الحب مع أبنائهم، وأن يملئوا الخزان العاطفي لديهم، فستصبح عملية التربية أسهل وأيسر بكثير، فسواء أردت أن تعدل من سلوك ما، أو تغرس قيمة ما فستجد دائماً التربة الخصبة الطيبة التي حرصت على ريها أنت أولاً بالحب، ولذا لا بد أن تكون شديد الحرص على ألا ينفذ هذا الخزان أبداً، فلا بد أن تملأ الخزان أولاً قبل أن تؤدب أو تدرب أو تلقي أمراً ما.

الحب اللفظي

هو كلمات الحب المنطوقة مثل الشاء والتشجيع والإطراء والشكر وكلمات التقدير.

التعبيرات غير اللفظية

هو كلمات الحب غير المنطوقة عن طريق العناق والقبلات والتربيت على الظهر، الابتسامات، مسك الأيدي، التربيت على الكتف، إيحاء الرأس، الغمزات، التعبيرات الدالة عن الاستحسان، داعب شعورهم، العب وارقص معهم، الدغدغة، اجلس بالقرب منهم عند مشاهدة التلفزيون، ضع ذراعك حول أكتافهم وأنت تسير معهم، امسح على رؤوسهم، استمع إليهم باهتمام، انظر إليهم نظرات حب وحنان، افتح لهم ذراعيك وضمهم وخاصة عندما يعودون من المدرسة أو من الخارج.

لقد كان النبي ﷺ المثل الرائع في استخدام تعبيرات الحب حيث كان يقبل فاطمة الزهراء كلما رآها على جبينها ويدها ويحتضنها سواء كان في بيته أو في مسجده أو أمام الصحابة.

حب غير مشروط

إن الأبناء لا يفرقون بين ذواتهم وسلوكياتهم، وعلى ذلك فهم يقيمون أنفسهم على أساس كلمات الآخرين وخاصةً آباءهم، فإن سلكوا سلوكيات جيدة فهم جيدون ومحبوبون، وإن سلكوا سلوكيات سيئة فهم سيئون ومكروهون.

وغالب الآباء يعززون هذه النظرة السلبية للأبناء عن أنفسهم بتوجيه الانتقادات في شخصهم، أنت شخص غير مسئول، أنت كسول، أنت غبي.

حين توجه الانتقادات للطفل في شخصه مرة تلو الأخرى فإنها تصبح جزء منه، لا يستطيع أن يتخلص منها، ولأنه يربط سلوكه المنتقد السيئ بعدم حب والديه له كما أوصلا له ذاك الإحساس بقصد أو بدون قصد، فإنه يشعر بعدم الأمان، بل ويزداد سلوكه سوءاً، بينما عندما يفصل السلوك عن شخص الابن، كأن نقول: هذا تصرف غير مسئول، هذا تصرف فيه لا مبالاة، فيفهم أنك لا تحب هذا التصرف لا أنك لا تحبه هو، فهو يستطيع أن يغير السلوك ولكن لا يستطيع أن يغير نفسه.

يجب أن تكون رسالة الآباء واضحة لأبنائهم بأنهم محبوبون، وليست مشوشة، فأنت تحبني حينما أحسن السلوك، ولا تحبني حينما أخطئ، فكيف هو الشعور بالأمان حينما يتخلى الآباء عن حب أبنائهم، بينما الخطأ جزء لا يتجزأ من الإنسان.

يجب أن تكون الرسالة واضحة للأبناء: "أنا أحبك فقط لأنك ابني، لا لأنك تحسن السلوك، أو متفوق في دراستك، أو عندما تطيع والديك...".

إن الأبناء يحتاجون دائماً للتأكيدات القوية والمستمرة على حبك لهم، ولحسن الحظ أن هناك طرقاً كثيرة لتشعرهم بهذا الحب والتقدير سواء عن طريق الكلمات أو التعبيرات غير اللفظية.



كيف نكون حازمين؟

إن ما يجعل التربية مرهقة على الدوام بالنسبة لنا هو إخفاقنا في وضع القواعد، حتى وإن نجحنا بإرساء القواعد فإن تساهلنا في تطبيقها هو ما يبطئ عملية التربية ويعيقها، بل يزيد الوضع سوءاً، فعندما أضع لابني وقتاً محدداً لمشاهدة التلفزيون ثم يمر الوقت وأتساهل معه بزيادة الوقت المخصص للعب سواء بالنسيان أو بالمفاوضات أو حتى استجابة لتذمره، فأنا بهذا تصرف أدعم لديه فكرة اختراق القواعد والقوانين والتحايل عليها.

وعندما أضع قاعدة عدم الصراخ أو الصوت العالي في المنزل ثم لا ألبث أن أصرخ على الأولاد بعد ذلك، فسأصبح مثلاً أكبر للتناقض والتشتت في نظر الأبناء.

إن أي مؤسسة تتطلب قواعد ومبادئ لكي تنجح، والأسرة ما هي إلا مؤسسة مصغرة يلزمها قواعد ومبادئ يجب التزام أفراد الأسرة بها

حتى تنجح وتعبر بر الأمان، فالعشوائية والعفوية التي نتعامل بها للأسف في حياتنا هي المتهم الأول وراء الإخفاق تلو الإخفاق في عملية التربية.

إن الأبناء أنفسهم يشعرون بأنهم يحتاجون لمن يضع لهم الحدود والقواعد وإن كانوا يظهرون عكس ذلك، فالقواعد والحدود تشعرهم بالأمان، فهم مازالوا غير ناضجين ليعرفوا ما هو في صالحهم أو ما يضرهم، فما زالوا يتحسسون طريقهم ويختبرون الحياة، ولذا فنحن من نرشدهم حتى يتفادوا الحفر في طريق حياتهم.

إن الحزم المتمثل في الحدود هو ما يقيم اعوجاجهم عن الخط المستقيم، فإن لم يصلك المعنى بعد فقد يصلك بعد أن تستمع لقصة ذلك السجين الذي حُكم عليه بالإعدام، وقد طلب أن يرى أمه لآخر مرة قبل أن يُعدم، وعندما حضرت أمه طلب أن يُقبلها في فمها، ثم طلب أن يقبلها في لسانها، ثم ما إن تمكن من لسانها حتى قضمه وألقاه، وبعد أن

هدأ الهرج الذي سببته هذه الحادثة المروعة، سألوه: لماذا فعلت ذلك؟
فقال: لقد انتقمتم من ذاك اللسان الذي لم ينهني عن شيءٍ قلته أو فعلته.
وبرغم قسوة هذه القصة الحقيقية، إلا أنها كانت معبرة بما يكفي عن
حجم الجرم الذي يمكن أن يرتكبه الآباء في حق أبنائهم عندما يتهاونون
بوضع الحدود لأبنائهم.



الباب الثاني

خذ في الاعتبار وأنت تربي

* تحديد الوجهة.

* قلوب أم قوالب.

* القوة من الداخل.

* السيطرة بالمشاعر.

* ليس بهذه الطريقة ندهيهم!

* هل يمكن للهدج أن يكون هداها؟

* أباء إيجابيون.... ولكن.

* تعلم مهارة الاعتذار.

* لا تتعجل النتائج.



تحديد الوجهة

يخالجني أحياناً الشعور بالتقصير في حق أولادي، حيث أنني لست من ذلك النوع من الأمهات اللاتي تتابع أبنائها بحفظ القرآن أو تجلس على أياديهم لتذاكر لهم، فبالرغم من بعض المحاولات البائسة إلا أنني أجد نفسي أستسلم سريعاً، ولكني أجد نفسي أغبط الأمهات التي تقوم بذلك، ولكن هناك أمراً ما يشغلني على الدوام في تربيته لأولادي، وهو كيف أزرع فيهم قيمة وأريهم على حسن الخلق، وكيف أريهم على قوة الشخصية، بل كيف أعلمهم كيف يربون هم أنفسهم، فبال تأكيد سيخطئون ولكنهم سيتعلمون كيف يصححون المسار بعد أي منعطف، وإن كان المعنى غريباً ولكنني لن أكون بجانبهم أنا ووالدهم طيلة الوقت، وبالتأكيد سيقابلون الكثير من التحديات أثناء رحلة حياتهم، فإن لم يتسلحوا بالمؤن اللازمة للتعامل معها فمن الممكن أن يتيهوا في دوامات من اليأس والإحباط، كيف أن يكون لديهم من المرونة الكافية

لمواجهة تحدٍ ما والتحايل عليه، لا أحلم لأولادي بالتفوق بقدر ما أسعى بهم للتميز، وهناك فرق شاسع بين هذا وذاك، فالتفوق هو السعي لأكون فوق الآخرين وأفضل منهم وهذا ما يجعلهم في منافسة مستمرة مع الآخرين، بينما التميز يجعلهم في منافسة مستمرة مع ذواتهم وليس مع الآخرين، فالمنافسة الأولى تربي فيهم صفات لا أريدها في أولادي كالحقد والغل والحسد وتعرضهم لمشاعر الإحباط والفشل والمقارنة المستمرة، بينما المنافسة للتميز تربي فيهم روح التعاون وحب الخير للآخرين فقد قال ﷺ: «والله لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، البخاري.

فأنا أؤمن أن الله تعالى خلق كل إنسان بما يؤهله لدورٍ ما، واكتشافه لنفسه وإمكانياته هو ما يجعله متميزًا عن غيره، وقد كان النبي ﷺ أمهر الناس في اكتشاف المواهب والملكات، وقد كان من البراعة بأن تمكن من إبراز تميز كل فرد من أصحابه دون خلق بيئة من التنافس مع بعضهم البعض، وإنما كان التنافس الوحيد الذي يجرّس عليه هو التسابق نحو

الجنة ومنازلها، فكانت أعينهم جميعهم متعلقة بوجهة واحدة وهي رضا الله تعالى والجنة، وليست متوجهة نحو بعضهم البعض وبذلك فقد استطاع أن يربي جيلاً من الأبطال والعظماء، فقد كان خالد بن الوليد سيف الله المسلول، وعبد الله بن مسعود حافظ القرآن وعلومه، وكان كاتم أسرار حذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت بارعاً بتعلم اللغات فأمره بتعلم لغة اليهود فتعلمها في خمسة عشر يوماً، وكان منهم من كان بليغ الكلام مفوهاً فكان يبعثهم سفراء للإسلام مثل مصعب بن عمير وجعفر بن أبي طالب.



قلوب أم قوالب

سمعت الشيخ الشعراوي ذات مرة يشرح معنى جميل لسبب خلق الله لنا وحرية الاختيار، فقد كان يقول إن الله تعالى كان يستطيع أن يجبرنا على الطاعة والاستسلام له، فالملائكة مجبُولُ خُلُقهم على الطاعة والعبادة، ولكن الله تعالى يريد أن تأتيه قلوب تخشع وليست قوالب تخضع.

هذا المعنى يجعلك تتأمل وتفكر إن كان هذا حال رب العالمين معنا وهو الخالق، فكيف بنا ونحن نتعامل مع أبنائنا ونحن المخلوقون، فنحن نسعى دائماً أن نضع أبنائنا في قوالب معينة في أن يكونوا أبناء بارين طائعين ناجحين ومتفوقين ومتعاونين وووو....، وإن كان لنا كل الحق في ذلك ولكن الطريقة التي نتبعها في تربيتهم ليصبحوا على ما نريدهم هي المشكلة، فطريقة القسر والإجبار والتعنت أحياناً هي التي طالما يتبعها الآباء فهم لا يعرفون غيرها، وأما المشكلة الأخرى فهي أننا دائماً

ما نتساءل عن كيف يصبحون ما نريدهم عليه وليس ما يريدون أن يكونوا هم عليه، فغالبًا ما ننهل عليهم بالعبارات.. يجب أن تصبح طبيبًا مثل أبيك، عندما كنت في مثل سنك لم أكن أرفع عيني في وجه أبي، يجب أن تذاكر هذه الطريقة، يجب أن تصبح الأول على فصلك، ومن هذه الأمثلة الكثير.

نحن ننسى دائمًا أن الله تعالى وضع بداخل كل طفل ملكات ومميزات غير الآخر، وليس دورنا هنا أن نفرض عليه ما نريد ولكن دورنا أن نساعدته أن يكتشف ملكاته ونميتها فيه، فنحن دائمًا ما ننتقد التعليم وكيف يقتل ملكات الأطفال وإبداعاتهم بينما نناقض أنفسنا بردود أفعالنا المبالغ فيها حين نواجه بدرجاتهم المنخفضة التي تكون على عكس توقعاتنا، وكيف أصابونا بخيبة الأمل فيهم وحطموا أحلامنا، فنحن كثيرًا ما نحصر آمالنا في أولادنا على تفوقهم في الدراسة.

إن من العجيب أن خلق الله لنا الدنيا مفتوحة على مصراعها لنبدع ونؤلف مقطوعاتنا الموسيقية كيفما شئنا، بينما نحن نقسر أولادنا على

ترديد نفس النشيد والسير على نفس المسار ونفس الخط دون تغيير، وإلا فهم مطرودون من رحمتنا.

ذات مرة فوجئت بانفعال ابني الشديد ونحن على الغداء عندما طلبت منه أن يخفض من صوته وهو يتكلم، فرد بردٍ أوجعني بأن قال: أمي.. يجب أن تستبدلينني بآخر يتكلم بصوت منخفض، ويطيعك ويسمع كلامك، وتكون درجاته الدراسية ممتازة، ويكون خطه ممتازًا، ويلبس بطريقة متناسقة..

فانتبهت لحظتها لرد فعله وانتبهت أيضًا لتوجيهاتي له التي لا تنتهي، فقلت له على الفور: لماذا أستبدلك بآخر وبالفعل لدي ذاك الولد.. فأنت ابني حبيبي وأحبك كما أنت.. وقالت له أخته: لن نقبل بغيرك، فالآخر سيكون ولدًا مملًا، ثم حول والده المناقشة لمزاح وضحك، لكنه لا يعلم أن هذه الجملة قد أثرت بي بالفعل وجعلتني أفكر بالطريقة التي أريد أن أوصل له بها الأشياء.



القوة من الداخل

إن تعزيز السلوكيات الجيدة لدى الأبناء وردعهم عن السلوكيات السيئة يكون بإحدى طريقتين، إما بفرض القواعد وتعزيزها بطرق العقاب والتخويف المختلفة، وإما بتنمية الوازع بداخلهم، والذي يكون بمثابة بوصلة داخلية تعلمهم ما هو خطأ وما هو صواب، هذا الوازع إما يكون وازعاً دينياً وربطهم بما يرضي الله تعالى وما يغضبه، وإما يكون بوازع من الضمير الإنساني الذي يعمل على الفطرة الإنسانية، وإما يكون وازع العادات والتقاليد وما يصح وما لا يصح.

والتربية التي نتحدث عنها هنا هي التربية الداخلية التي توقظ الفطرة النقية لدى الأبناء، وتنمي قدرتهم على معرفة ما هو الصواب وما هو الخطأ من داخلهم، والأطفال يولدون وبداخلهم القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، ولكنهم يظلون بحاجة لتنمية هذه القدرة والتي تأتي عن طريق التربية الإيجابية والحكيمة من قبل الآباء.

وقد تعودت مع أولادي أن أسألهم عن آرائهم عن قضايا عامة أنا ووالدهم، أو نشترك جميعاً في مناقشة قضية ما وكلٍ يدلي برأيه حتى ابنتي ذات الخمس سنوات أحياناً، والحقيقة أننا نفاجأ كثيراً بآرائهم التي تثير الإعجاب.

فدات مرة جلس بجاني ابني عبد الرحمن وأنا أكتب في هذا الكتاب وقرأ شيئاً عن ألعاب الإنترنت وتأثيرها على الأطفال وما هي الطريقة المناسبة للتعامل معها، ففوجئت بحديثه معي أن قال: بالتأكيد يا أمي أنك سترشدين الأمهات في كتابك إلى أن يمنعوا أولادهم من هذه الألعاب نهائياً، ولكن هذا ليس الحل، فقلت له: وما الحل إذن من وجهة نظرك؟

فقال: سأقول لك الحل ولكن لا تطبقه علي، وقد كنت أعاني بالفعل ككثير من الأمهات من إدمانه على هذه الألعاب، فضحكت وقلت له: هات ما عندك.. فقال: الحل ليس في المنع ولكن في تحديد وقت لهذه الألعاب لا يتجاوزونها، ومن جهة أخرى إيجاد البدائل التي تثير اهتمامهم كالرياضة مثلاً، وشيئاً فشيئاً سيتقلص اهتمامهم بهذه الألعاب

إلى أن يتركوها من أنفسهم.. هذا بالفعل كان رأي ابني ذو الاثنى عشر ربيعاً الذي وعدته أن أذكر رأيه هذا في الكتاب، والأكثر من ذلك أن كانت هديته لي في عيد الأم كتاب (كيف تمنعين طفلك من الإفراط في مشاهدة التلفزيون وقضاء الساعات أمام الكمبيوتر).

فالأبناء يعرفون بداخلهم الخطأ من الصواب، ويحتاجون فقط لاحترام هذه المعرفة وتنميتها بالتربية الحكيمة وتوجيههم للتواصل المستمر مع ضميرهم الداخلي، وهذا الأسلوب في التربية هو ما يصنع أبناءً عظاماً واثقين من أنفسهم قادرين على النجاح وعلى مواجهة التحديات، وليس فقط أبناءً طيعين خوفاً من العقاب والتهديد.



السيطرة بالمشاعر

في أحيانٍ كثيرة نلجأ للتأثير على أبنائنا بفرض مشاعرنا عليهم فهل هذا صواب أم خطأ؟

يجب علينا أن نكون حذرين عند محاولة السيطرة على أبنائنا بالمشاعر، فلا نستغل عاطفة مثل عاطفة الحب مثلاً لتقويم سلوكياتهم بها، أنا أحبك عندما تلتزم الهدوء، أنتهي من واجبك حتى أحبك، لن أحبك إذا لم تسمع الكلام، فربط السلوك بالحب يجعل الأبناء يشعرون بالخوف وعدم الأمان، ويجعلهم يشعرون أنهم سيئون وغير مستحقين لحب آبائهم عندما يسيئون التصرف.

بينما عند تقويم سلوك أبنائنا يجب أن نحيد الحب جانباً، فنفصل دائماً حبنا لهم عن أي سلوك، فأنا أحبك في كل الأحوال لأنك ابني، أنا أحبك ولكني أكره هذا التصرف.

وفي أحيانٍ أخرى نستخدم مشاعرنا السلبية لإثنائهم عن أمرٍ ما...

لا تلعب بعيداً عني لأنني أخاف عليك أن تضل الطريق.

ارتدي المعطف الثقيل لأنني أخاف عليك من البرد.

وهنا لا يستمع الأبناء لأبائهم، فعندما يشعر الأبناء بأن آباءهم يريدون أن يسيطروا عليهم بمشاعرهم السلبية فيلجئون إلى المقاومة، الأمر الذي يظهر في صورة عناد ومشاكسة، كما أن ذلك سيعلمهم اتخاذ القرارات بناءً على المشاعر السلبية.

وإنما سيكون من المفيد أكثر أن نطلب منهم الأمر مباشرةً..

العب بالقرب مني حتى لا تضل الطريق.

ارتدي المعطف الثقيل حتى لا تتعرض للبرد.

فينبغي علينا كأباء أن نتجنب استخدام مشاعرنا السلبية كالخوف والقلق والإحباط واليأس في التأثير على الأبناء حتى لا يتعلموا أن يتخذوا قراراتهم بناءً على المشاعر السلبية.



ليس بهذه الطريقة نحيهم

(كان آخر يوم في امتحانات الصف السادس الابتدائي ، وكعادة الأمهات أن يتفقدن من خلال جروبات الواتس على الخروج جميعاً في أي مكان مفتوح للتعارف وليلعب الأولاد مع بعضهم كترفيه لهم ولنا ، وأصر ابني أن أذهب معهن ذاك اليوم للتعرف على أمهات أصدقائه ، وبالرغم من أنه كان بالفعل يوماً لطيفاً إلا أنني اندهشت من نقاشات العديد منهن اللائي أتين فقط مع أبنائهن اللذين لا يفارقنهن أبداً لخوفهن الدائم عليهن ، وحتى يكونون تحت ناظرهم دائماً ، والكثير من قصص الخطف والسرقة ، وعدم الأمن والأمان ، وكم التشاؤم الرهيب في أحاديثهم التي قصت علي ، وبالرغم من النقاش المثير الذي دار بيننا ، وتذكيري لهن باستوداع أبنائهن الله والحد من الخوف القلق عليهن ، والتزام أذكار الصباح والمساء ، إلا أنك لا تستطيع أبداً أن تنقع ذاك

النوع من الأمهات من القلق على أبنائهن والذي دائماً ما ينغص عليهن حياتهن).

ولم تكن تلك المرة الأولى التي أشاهد ذلك النوع من الأمهات، فلقد رأيت الكثير من الأمهات اللاتي يحاصرن أبناءهن في كل مكان يذهبون إليه لا تفارقهن نظرات الرعب والهلع عليهم، ورأيت الكثير من الآباء الذين يرفضون أن يذهب أبنائهم إلى أي مكان بدونهم حتى وإن كانوا مع أصدقائهم، ورأيت الأم التي تقوم بكل شيء بالنيابة عن ابنها حتى حقيبة المدرسة هي من تحضرها له كل يوم، وهناك من الآباء من يحلون لأبنائهم مشاكلهم بالنيابة عنهم، ولقد فاق الخوف والهلع من بعض الآباء على أبنائهم كل الحدود، حتى أنهم يلومون أنفسهم بل ويجلدونها عن كل خطأ أو مشكلة يقع فيها أبنائهم.

من الطبيعي أن يقلق الآباء على أولادهم ويحاولون دائماً حمايتهم، ولكن من غير الطبيعي أن يتحول هذا الخوف إلى هوس ورعب فيحيل حياتهم وحياة أبنائهم إلى توتر دائم.

الخوف من أجل الحماية، الخوف من أجل الإصلاح، الخوف على مستقبلهم، الخوف من ألا يحصلوا على الأفضل، الخوف على الأبناء بكل أشكاله أمر طبيعي، ولكن الخوف والقلق المبالغ فيه هو المشكلة.

فدورنا كأباء ليس حل مشاكلهم أو مواجهة تحدياتهم أو حمايتهم من المجهول، إنما دورنا هو مساعدتهم على تنمية مهاراتهم لمواجهة تلك التحديات.

يجب أن نعلم أن التحديات ضرورية في حياة أبنائنا ومهمة لنموهم، وتصدينا الدائم لحل المشكلات والتحديات التي تواجههم تضعفهم وتفقدهم الثقة في أنفسهم، فنحن لن نستطيع حمايتهم طيلة الوقت، ولكن نستطيع أن نعلمهم كيف يحموا أنفسهم، ولن نستطيع أن نكون متواجدين دائماً، ولكننا نستطيع أن نعلمهم المهارات لمواجهة تحدياتهم، يجب أن نعلمهم أنه لا مشكلة من الإخفاق والفشل طالما مستمرين في المحاولة، فالطفل الذي يتعلم المشي بعد محاولات الوقوع والقيام مرة أخرى لن يمشي وتقوى عضلات رجليه طالما ساعدناه ومسكنا بأيديه

في كل مرة يمشي بها، والصيص الصغير يمكن أن يموت إذا كسرنا له البيضة ظناً منا أننا نساعده على الخروج.

إن ما يجعل عملية التربية مرهقة بالنسبة إلينا أننا نسعى دائماً لتغيير أبنائنا والمحاولات الجاهدة لإصلاحهم، وبدون أن نشعر فإننا نتسبب في إعاقة نموهم، ولكن عندما نعلم أننا ليس علينا الإصلاح والتغيير وإنما علينا بذر البذور والسعي بما نستطيعه وسيتكفل الله تعالى بالباقي، فقط عندها سيظمن بالنا ونهدأ ونعلم أن مصيرهم بيد الله تعالى في النهاية.

ولقد أمر الله تعالى النبي ﷺ أكثر من مرة في القرآن بأن يبلغ فقط وليس عليه النتائج.

(فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)
الكهف 6.

فلكل طفل تحدياته التي تكون شخصيته وتصنع مصيره الذي أراده الله تعالى له والذي يميزه بمميزات وسمات متفردة كل طفل عن غيره،

فإذا لم يتفهم الآباء ذلك فسوف يتسببون في إعاقة مواهبه وما أودعه الله فيه، ولذلك قال النبي ﷺ: (كُلُّ ميسر لما خلق له). ولكن علينا أن نتقبلهم كما هم، ونساعدهم بإتاحة الفرص لهم بإخراج أفضل ما عندهم.

فالتسامح قيمة لن يتعلمها إلا إذا وجد من يسامحه على أخطائه.
والتعاون قيمة لن يتعلمها إلا إذا وجد من يقوم بالأعمال جميعها عنه.
والصبر قيمة لن يتعلمها إلا إذا تحققت رغباته بسهولة ولم يحرم من شيء.

والشجاعة قيمة لن يتعلمها إلا إذا واجه الشدائد.

والخلاصة أننا كأباء لا يجب علينا التدخل في حياة أبنائنا لنجعل كل شيء بالنسبة إليهم سهلاً فنضعفهم ونجعلهم عرضة للانكسار بسهولة أمام تحديات الحياة، وفي نفس الوقت لا نحرّمهم من مساندتنا لهم

ونجعل كل شيء بالنسبة إليهم صعبًا فلا نعلمهم المهارات التي لا
يستطيعون تعلمها بمفردهم فنحرمهم النضوج والنمو الذي يساعدهم
على النجاح.

إن ما نحتاج أن نقدمه لأبنائنا هو الحب والدعم والثقة ثم نتركهم
يتعلمون من الحياة القوة ونحن نستودعهم الله متوكلين عليه في النتائج.



هل يمكن للمدح أن يكون هداها؟

أتذكر حينها كنت أسأل والدي رحمه الله سؤالاً ما، ويقول لي: هذا سؤال وجيه، فكان ذلك يثير الحماسة بداخلي وأقول في نفسي: إذا أنا أستطيع أن أفكر جيداً طالما أن أبي يمدح أسئلتي.

أيمكن أن يكون تشجيعي لابني أو ابنتي مدحاً لهم.. وكيف يكون

ذلك؟

أجل.. يمكن للمدح أن يكون خطيراً ويأتي بنتائج عكسية تماماً فيصبح بمثل خطورة الدم والتقريع،.. **كيف؟**

إن المدح والثناء من أقوى أساليب التربية التي تحفز على السلوكيات الجيدة، وتشجع الأبناء على تحقيق الإنجازات وتحفز إمكاناتهم وقدراتهم، ولكن كيف نوجه هذا المدح، وكيف نستخدمه.... هنا تكمن الخطورة حيث إن المدح والإطراء يجب ألا يوجه لشخص الأبناء بل

لسلوكياتهم وأفعالهم، فالمدح الموجه لذوات الأشخاص هو نوع من إصدار الأحكام كما الذم تمامًا فكأنما قيدته داخل صفةٍ ما لا يحق له الإفلات منها، ومعنى ذلك أن خطأه غير مقبول، فهو نوعٌ من أنواع الضغوط النفسية والمعنوية، فأن تقول: أنت ولدٌ طيب كمثل أن تقول: أنت ولدٌ شرير، فالنفس البشرية جبلت على المشاعر الإنسانية المتضادة، حتى وإن غلب عليها صفة ما فإن المتناقض الآخر ما يزال موجودًا، فلذا حتى وإن كنت فاضلاً يمكن أن تذل أحيانًا، لما كان الله تعالى فتح باب التوبة للبشر.

حتى أن الله سبحانه وتعالى عندما أثنى على النبي ﷺ لم يقل: إنك عظيم الأخلاق (ممتدحًا شخصه)، بل قال تعالى: {وإنك لعلی خلقٍ عظیم}. (ممتدحًا خلقه أي سلوكه).

فعندما يمدحك شخصٌ ما وإن كنت سعيدًا بهذا المديح، يجعل شيئًا ما بداخلك غير مرتاح لهذا الإطراء ما يجعلك تقاوم وإن كان بالكلمات

(لا أنا لست كذلك)، ويظل حديثك الداخلي مع نفسك (فإن كنت كذلك يراني الناس، فإذا المطلوب مني المزيد، ولا أعلم إن كنت قادرًا على تقديم المزيد أم لا) فنحن دائمًا ما نخجلنا الشك في استحقاق هذه الثقة.

ولذا فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما يمتدحه أحد يقول: "اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، واجعلني خيرًا مما يظنون" ولذا فكثيرًا ما يقابل المدح بالاعتراض من قبل الأبناء:

- أنت ولد ذكي.

- لا بل أنا غبي، فهناك من يسبقني في حل المسائل الرياضية في الفصل.

ففي أحيانٍ كثيرة يكون لديهم صورة عن ذواتهم مختلفة عما نصفهم به، فيقابلون الثناء بالاعتراض وأحيانًا بالتصرفات السيئة لإثبات عكس ذلك، فهم يظنون أن إظهار حقيقتهم التي يعتقدونها عن أنفسهم مبكرًا

خيرًا لهم من أن تكشف للآخرين ويكتشفوا خطأهم في الحكم عليهم
بعد ذلك.

إن عقول أبنائنا تستقبل كلماتنا وتلميحاتنا بل حتى نظراتنا بنوع من
التحليل والاستنتاج ومن ثم يصيغونها في شكل صور ذاتية عن أنفسهم،
وما يفعله الكثير من الآباء بحسن نية هو توجيه كلمات المدح والثناء
لشخص الابن.

أنت قوى.

يا لك من ابنٍ رائع.

أنت رقيقة كالملك.

أنت أفضل طالب عندي.

إن مثل هذا التوجيه بالمديح يمثل تهديدًا للأبناء فيسبب لهم القلق
والارتباك والإزعاج أو الشعور بالذنب، فالأبناء هم بشر يصيرون
ويخطئون وتحملهم صفات موجهة لذواتهم يعتبرونها حملًا ثقيلًا وعبئًا

عليهم فتجدهم ينفون ذلك، أو يحاولون إثبات العكس بسوء التصرفات، وكلما زدت في الشناء كلما زادت مقاومتهم، لذا يجب أن تكون كلماتنا واضحة وموجهة لما نحبه ونتقبله من سلوكيات الأبناء أو إنجازاتهم أو مساعدتهم دون توجيه لشخصهم.

الموقف الأول

ساعدت منة والدتها في تنظيف المنزل وترتيبه فقالت الأم تشني عليها: أنت ابنة رائعة ومتعاونة.

الموقف الثاني

أمسك كريم يد أخيه الصغير وجذبه بقوة بعيدًا بعد أن كادت السيارة أن تصدمه.

الأب: يا له من موقف شجاع أن تنقذ أخاك يا كريم.
في الموقف الأول أثنت الأم على شخص ابنتها مما جعل الابنة تشعر بعدم الارتياح، فمثل هذا الشناء وإن كان في ظاهره مشجع ولكن في حقيقته يمثل تهديدًا بترجع أمها عن نظرتها لها عندما لا تكون متعاونة

وهي لا تضمن تعاونها الدائم، وبدلاً من أن يشجعها ذلك على الاستمرار في مساعدة أمها فقد توقفت تماماً.. وقد كان من الأجدى أن تقول:

يا لنظافة المنزل.. لقد كانت مساعدتك لي شيئاً رائعاً.

أما في الموقف الثاني فالأب يثني على الموقف الشجاع لا الولد، وهذه الطريقة هي ما ترسخ في ذهنه أنه بالفعل ولدٌ شجاع مما يحفزّه دائماً للمبادرات التي تؤكد استحقاقه لهذه الصفة.

ولقد أعجبني تشبيه د. هايم جينو للثناء المباشر على الشخص كتسليط ضوء الشمس المباشر على العين فيكون غير مريح بل إنه قد يتسبب بالعمى، ولكن تسليط ضوء غير مباشر هو ما يجعلك ترى بوضوح.

الأب: سعدت بانتباهك بوجود قلم زميلك في حقيبتك، وحرصك على إعادة القلم لصاحبه اليوم.

ذلك التقدير يجعله يقول لنفسه إنه شخص أمين فيكون بمثابة تشجيع يساعد أكثر من أن تقول له: أنت ولد أمين.

ولذا كان النبي ﷺ يرفض أن يمدحه أحد، وينهى أيضًا عن المدح المباشر.

فقد قال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله) متفق عليه.

وعن معاوية رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (إياكم والتماح فإنه الذبح) أحمد وابن ماجه.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمع النبي ﷺ يثني على رجل ويطريه في المدحة فقال: (أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل) متفق عليه.

إن نفس الدين الذي يُكره فيه المدح والإطراء هو نفس الدين الذي يقول إن الكلمة الطيبة صدقة، وهو ما يؤكد على نفس المعنى، وهو أن تتعلم كيف تمدح، وماذا تمدح لكي يكون ثناؤك بناءً لا هدامًا.

إن ما يهم الأبناء هو أن يشعروا بأن مساعداتهم وإنجازاتهم محل تقدير واحترام الآخرين وهذا ما يشجعهم ويدفعهم إلى الأفضل، بينما هناك من الأسباب الكثير الذي يجعل من الإطراء لذواتهم في غير ذات الحاجة أو المطلب الذي يريدونه **ومن هذه الأسباب:**

• إن مدح ذوات الأبناء تضعف الحافز للتحدي والإبداع لديهم، فهم لا يريدون المخاطرة التي يمكن أن تشوه الصورة المثالية التي يمتدحها الآخرون فيهم ويثنون عليها.

• الشعور بالذنب فيما إذا كانت صورتهم الذاتية أمام أنفسهم غير ذلك.

• أحياناً الاغترار في النفس والتكبر.

• عدم الارتياح والقلق الدائم خشية فقد هذه الميزة فبدلاً من أن تكون دافعاً للأفضل تكون مصدر قلق وإزعاج.

فقد عرفت فتاة كلما قابلت أناسًا يثنون عليها وعلى صفاتها وأخلاقها
كلما ابتعدت عنهم وكأنها تهرب منهم، وما هروبا من الناس إلا خشية
أن تتصرف معهم بطريقة غير لائقة فيغيرون نظرهم لها، فكانت تريد أن
تحافظ على صورتها المثالية في نظرهم.

ولذا فالمدح كالدواء لا يُستخدم عشوائيًا، بل يُستخدم بطريقة معينة
وبجرعات محددة حتى لا يضر بدلًا من أن يفيد، والالتفات للمواقف
والسلوكيات والأفعال والثناء عليها يساعد الأبناء في أن يستمدون
قوتهم من داخلهم، وليس من نظرة الآخرين وأحكامهم عليهم، ولذا
فيجب أن نعلمهم دائمًا أن يكونوا فخورين بأنفسهم وبإنجازاتهم.



آباء إيجابيون ولكن....

إن هناك الكثير من المواقف التي يتعرض لها الأبناء يكون فيها تعدي على حقوقهم أو بها ضرر عليهم سواءً نفسياً أو جسدياً، لكن السؤال هنا.. ما العمل في هذه الحالات؟

زارنا ذات مرة بعض المعارف وتطرقنا في حديثنا عن الأبناء والمدرسة والنادي، وبينما كنا نتحدث عامةً على مشاكل الأبناء أثارت نقطة مهمة جعلتني أمعن التفكير فيها، فقد حكّت لي عن مواقف حدثت مع أبنائها ممن نضع أبنائنا أمانة بين أيديهم جعلتها تشعر بالاستياء، فمن هذه المواقف عندما تأخر باص المدرسة إلى المغرب وظلت تتصل بالمدرسة ولا أحد يرد وكان زوجها مسافراً، فاتصلت بالنجدة فلم تكن تعرف كيف تتصرف، حتى وصل الباص بعد المغرب أخيراً بعدما كاد قلبها يتوقف من القلق على ابنها، فذهبت لإدارة المدرسة في اليوم التالي لتقديم شكوى عما حدث، ففوجئت بالرد بدم بارد بأن الباص تعطل واضطر

أن ينتظر باص آخر ليركب معه الأولاد، بل أنهم كانوا مستاءين بسبب اتصالها بالنجدة فقالت لهم: أليس هناك أرقام أولياء الأمور لتصلوا بهم لتطمئنوهم، أو أي وسيلة أخرى ولم تجد رد.

والموقف الآخر مع طفلها عندما كان في الكي جي وكان لا يبرح دور التهاب الحلق أن يتركه، وفي يوم طلب منها بكلام غير مفهوم فهمت منه أنه يريد الحلوى الثلجة ولم تشتريها له قبل ذلك فكيف عرفها، تقول إنها كانت أيام شتاء قارسة البرودة، فقررت أن تذهب إلى المدرسة وذهبت إلى الكاتين لتجد أنهم يبيعون هذه الحلوى الثلجة، فذهبت إلى المديرية لتتحدث عنها حول ذلك وكيف يبيعون حلوى غير صحية للأطفال الذين لا يعرفون ما يضرهم.

فكان ردها: "وما المشكلة فإن لم يشترونها من المدرسة سيشترونها من خارج المدرسة؟"

فقالت: نحن المسؤولون عنهم خارج المدرسة وأنتم مسئولين عنهم داخل المدرسة.

وبعد هذا التصادم مع مديرة المدرسة حولت لابنها في مدرسة أخرى، بيد أن كل مدرسة كانت تأتي بمشاكلها وسلبياتها.

أما الموقف الثالث فكان في النادي حيث كان المدرب يتلفظ بألفاظ غير لائقة أحياناً، وعندما اكتشفت أن المدرب يأخذ من الأولاد اشتراكات النادي ليدفعها عنهم فإخذها لنفسه فشكت في الأمر وكانت سبباً في تنبيه إدارة النادي لذلك وفصل هذا المدرب.

كانت طيلة الوقت تسرد لي مواقف كثيرة تعرض لها أبناءها، والتي لم تتركها تمر دون وقفات منها، صغيرة كانت أم كبيرة.

في بداية حديثها وجدتها مبالغة نوعاً ما في ردة فعلها، ولكن مع متابعتها الحديث وجدت نفسي أفكر في أنها محقة في انفعالاتها وردود أفعالها.

فأنا من النوع الذي يحب الابتعاد عن المشاكل ولذا فأنا لا أدقق كثيراً مع مواقف كهذه، ولكن إذا كان الموقف يستدعي فإن زوجي هو من كان يتصدى لتلك الأمور، أما عن زوجها فهي تحكي أنه أيضاً لا يحب المشاكل ويجب العيش في سلام.

لقد أعجبتني إيجابيتها، وأقررت بأن ما تفعله هو الصواب فهي أم تحاول أن تحمي صغارها، ولا تسكت عن الخطأ مهما كان صغيراً، وافترضت أن يكون إحدى الوالدين إيجابياً حتى يستطيعون حماية أبنائهم، ولكن لوهلة أمعنت التفكير مرة أخرى في الأمر، وتذكرت صديقتي وأم صديق ابني في نفس الفصل، وكيف كانت تحثني على أن آتي معها للمدرسة هي ومجموعة الأمهات المشتركين في جروب الفصل حتى نشكي ثلاثة أو أربعة من مدرسي فصلهم، وذهبت بالفعل صدقاً كمتفرجة لا أكثر، ورأيت كم انفعالات صديقتي والأمهات الأخريات وهجومهم الشديد على المدرسين، ولا ضير في ذلك فأنت أمام أمهات إيجابيات يتخوفن على أولادهن.

أما المشهد الأخير فهو لجروب على الفيس بوك يسمى (حملة منهجكم باطل) يشترك فيه أكثر من 197 ألف عضو والذي أضافتني له صديقتي هذه، وليس هذا الجروب الوحيد على الفيس بوك الذي يهاجم ويعترض ويدعو على القائمين على التعليم ويلعن الحظ الذي جعلنا نعيش في هذا البلد.

ثم انتابني الفضول وأنا أتناقش مع ابنتي آمال عن رأيها في هذا الموضوع فقد كانت تستمع معي لحوار الأم، ففوجئت برأيها أن قالت: أنت ووالدي يا أمي لم تكونا تتوقفان عند كل صغيرة وكبيرة تحدث معنا، ونحن الآن كبار وأشياء كثيرة حدثت لوما كنتما تجاهلتماها لكننا علقنا فيها إلى الآن، فأنا مع أن هناك أمورًا لا يمكن السكوت عنها مثل سرقة المدرب لاشتراكات النادي، ولكن ليس من الصحيح أن نقف عند كل شيء ونضخم من حجم المواضيع.

إن لي وجهة نظر في هذا الموضوع قد يتفق معها من يتفق أو يختلف معها من يختلف، فأبناؤنا هم همنا ومحور حياتنا وكل ما نريده أن نحميهم، بل إن أفسى شيء على قلوبنا أن نشعر بأننا مقصرون في حقهم، ولكن لا يمكن أن نحميهم حماية القطة التي تأكل أولادها عندما تخاف عليهم، كيف ذلك؟

إن الطائر إذا خاف على صغاره من الوقوع فلن يتعلموا الطيران أبدًا، وستظل أجنتهم ضعيفة، ونفس الشيء إذا شعر الأبناء أن آباءهم يتولون عنهم حل المشاكل دائمًا فلن يفكروا أبدًا في حل مشاكلهم

بأنفسهم، وسيصبحون أشخاصًا هشين غير متحملين لمسئولية عندما يكبرون مثلما نرى الآن من أمثلة كثيرة من رجال ونساء تهدمت حيواتهم بسبب عدم تعويدهم على تحمل المسؤولية.

فالأبناء إذا شعروا بأنهم مسؤولون عن مشاكلهم فسيفكرون بحلها، وسيتعلمون المرونة لإيجاد البدائل، وهذا في حد ذاته ثقل لشخصيتهم وتقوية لإرادتهم، ولن يوقفهم إحباط أو تكسرهم حوادث الحياة.

فهناك مواقف فاصلة لا ينبغي السكوت عنها، فلقد كانت هذه الأم حقة تمامًا في تصرفها مع المدرسة، وموقف تأخير الباص، وموقف المدرب في النادي الذي كان لابد له من وقفة، وهناك مواقف يجب التعامل معها بحكمة وهي التي نترقبها من بعيد بدون تدخل كموقف المدرب وألفاظه الغير لائقة، فوقفنا بعيدًا بخطوة يسمح لأبنائنا بالتصرف حسب القيم التي تربوا عليها.

لقد واجهت موقفًا مشابهًا قليلًا مع عبد الرحمن حين اشترك في لعبة كرة القدم، وكيف كان يجب مدربه، ثم استبدلوا هذا المدرب بآخر لا يعاملهم باحترام، فاجتمع مع فريقه وقرروا أن يشتكوه لإدارة النادي

ويطالبوا بعودة المدرب الذي يحبوه، وبغض النظر إن كانت الإدارة ستستجيب أم لا، ولكن قيامه بموقف إيجابي نابع من داخله أسعدني، ونفس الموقف حدث مع مدرس يدرسه في المدرسة.

إعطاؤهم الفرصة ليفكروا ويتخذون القرارات بأنفسهم هو ما أتحدث عنه هنا، إن ذلك يسمح لهم بأن يتعلموا أن المبادئ التي يتربون عليها في المنزل ليس شرطاً أنهم سيجدونها في الشارع أو المدرسة أو النادي، ولكن هذه المبادئ والقيم هي التي تحميهم عندما لا نكون متواجدين.

يمكنني أن أشكو المدرب الذي يتلفظ بألفاظ غير لائقة، أو المدرس الذي يعاقبه، أو أتكلم مع والدته الطفل الذي يضايقه في المدرسة لتجعله يتجنب ابني، ولكنني لن أستطيع أن أشكو مديره الذي يضطهده في العمل، أو أشكو لأم زميله في العمل الذي يحبك له المكاييد، أو أدبر له أمور حياته عندما لا يكفي مرتبه.

وكثيراً ما كان يشتكي أولادي من المدرسين والمدرسة والسلبيات التي يرونها دائماً في المجتمع من حولهم، ولكنهم لم يتعودوا منا أو

يتوقعوا أن نهب ونسارع بحل ما يشتكون منه بالرغم من تقديرنا لمشاعر الغضب التي تنتابهم آنذاك، ودائمًا ما نكون على استعداد لأن نكون بجانبهم عندما يطلبون النصيحة والمشورة، وذلك ما كان يدفعهم للتحدي ليتغلبوا على كل مشكلة تقابلهم ليحققوا هدفهم، والحمد لله هم الآن متفوقون ومجتهدون ودائمًا ما يسعون لمعرفة الصواب من الخطأ، ولا يعرفهم أحد حتى يشيد بأخلاقهم.

وعن نقطة أخرى دائمًا ما تُثار عندما نتحدث عن التربية، فالمجتمع الذي يحاط به الأولاد سواءً في المدرسة أو النادي أو الشارع وفي التلفزيون وحتى في الإنترنت، وما يسمعون من ألفاظ وكلمات خارجة، وما يتعلمونه من أخلاقيات وسلوكيات يتساءل الآباء دائمًا في حيرة عن كيفية حماية أبنائهم من كل هؤلاء الدخلاء الذين يشاركونهم في تربيتهم لأبنائهم.

نحن لن نستطيع أن نتواجد دائمًا مع أبنائنا لحمايتهم، وفي ذات الوقت ليس من الصحيح أن نغلق عليهم، ولكن علينا أن نعلمهم كيف يحمون أنفسهم....كيف؟

ذات يوم جاء عبد الرحمن يشتكي من زملاء له في الفصل بأنهم يستخدمون ألفاظ بذيئة، ويتصرفون تصرفات سيئة مع بعضهم البعض، وطلب في البداية أن ننقله لفصلٍ آخر، ثم فكر قليلاً وقرر البقاء على أن يشتكيهم لمدرس الفصل أو يجلس بعيداً عنهم، لم نتدخل في قراره ولكنه استطاع أن يتكيف لباقي السنة الدراسية مع أصدقائه الآخرين الذين يجهم، ولم يعد يُلقب بالآ بهؤلاء الذين يضايقونه.

وفي موقف آخر قرر أن يلغي شخصاً من الأقارب من قائمة الأصدقاء في الفيس بوك عنده لأنه يتلفظ بألفاظ بذيئة. يمكننا حماية أبناءنا بوضع خطوات عملية وهي:

1. بانتهاز الفرص لغرس القيم والمبادئ منذ نعومة أظفارهم، وتعليمهم ما يصح وما لا يصح، وما يتقبله المجتمع وما لا يتقبله.
2. ربطهم بتعاليم الدين، فالقيم الدينية عندما يعيها الأبناء وتصل إليهم بصورة صحيحة وراقية، فإنها تكون أكبر حصناً لحماية الأبناء من الانزلاق وراء أي سلوكيات سيئة.

3. يجب أن نتحدث مع أبنائنا مسبقاً عن السلوكيات الخاطئة أو المنحرفة التي نخشى عليهم منها كالتدخين - المخدرات - التحرش.. أو غير ذلك.

4. نستحثهم على نقد السلوك الخاطئ كلما أتحت الفرصة، فبهذه الطريقة نستنفر عقولهم وفطرتهم السليمة من ناحية، ونعرف مكنون نظرتهم للأمور من ناحية أخرى فنحترس.

ذات مرة كان يشكو أحد الأصدقاء ولده المراهق عندما رفض أن يذهب مع أسرته لقضاء بضع أيام بقرية بالگردقة كنوع من الترفيه وقضاء العائلة وقت سعيد مع بعضهم البعض، وبعد الحجز فوجئ بابنه يرفض المجيء معهم، ويقول لوالده: أعطني النقود التي كنت ستدفعها من أجلي في هذه الرحلة لأسافر بها مع أصحابي، وعندما رفض الأب، قال الابن: إذاً أعطني النقود وسأحضر أصحابي يقضون معي الوقت هنا في البيت.

لقد انتهزت هذه الفرصة وقصصت القصة على عبد الرحمن وسألته
رأيه في موقف الابن وموقف الوالد، وفوجئت منه بالإجابة الواعية أنه
رفض موقف الابن حيث لا بد أن يكون هناك وقتاً للعائلة ووقتاً
للأصدقاء.

إننا بذلك نربي فيهم الأسلوب النقدي ورفض الخطأ.



تعلم مهارة الاعتذار

دائمًا ما ندّعي المثالية والكمال أمام أبنائنا خوفًا من أن يروننا على نقص ويؤثر ذلك على نظرتهم واحترامهم لنا من جهة، ومن جهة أخرى فنحن نريدهم أفضل منا فلا نكون نحن مثلًا سيئًا لهم، وتبعًا لهذا المنطق فنحن نخاف أن نعتذر عندما نخطئ.

ولكن ما يجب أن نعلمه لأطفالنا هو أننا نخطئ أيضًا ولا بأس من ذلك، كما هم يخطئون، ومن الخطأ أن نعامل أبنائنا كملائكة لا يجب أن يخطئون، ولكن يجب أن يعلموا أننا نحن وهم بشر، ولا بأس من ارتكاب الأخطاء، فيجب على الآباء الاعتراف بأخطائهم، وعندما يخطئون يعتذرون، وعندما يرى الأطفال آباءهم يعتذرون فإنهم سيتعلمون تلقائيًا تحمل مسؤولية أخطائهم.

وهناك أمرٌ آخر على ذات القدر من الأهمية وهو ردود أفعالنا عندما يخطئون، فالطفل يجب أن نعطيه المساحة حتى يفكر في خطأه، فعندما

نعاقبه بالضرب أو الصراخ أو حتى السخرية، فإنه سينسى خطأه وسيفكر فقط في رد فعل والديه ومدى الظلم الذي وقع عليه من إهانتهم له بأي طريقة.

بينما عندما يكون هناك أساليب بديلة للعقاب تسمح له بالتفكير في خطئه والندم عليه، هناك يجب أن نتيح له الفرصة ليتقبل نفسه ويعلم أنه لا بأس من ارتكاب الأخطاء طالما نتعلم منها، وبأنه سيظل محبوبًا من والديه مهما كان خطأه، ويجب أن نكون على استعداد دائمًا للتسامح، وبذلك فهو يتعلم قيم الاعتذار وتقبل الذات والتسامح.

ولذلك لا تغضب من أبنائك عندما يخطئون ولكن ارتكابهم للأخطاء هي فرصة أكثر تأثيرًا في قلوبهم ووعيهم وسلوكياتهم يتعلمون من خلالها:

• أنه لا بأس من ارتكاب الأخطاء.

• الاعتذار عن أخطائنا.

• تحمل مسؤولية أفعالنا.

• تقبل الذات ومسامحتها.

• القدرة على التسامح.

فعندما نخشى الخطأ ونخشى الاعتراف به، فإن عدم تقبلنا لأخطائنا يجعل منا جلادين لأنفسنا وللآخرين، ويقع أبنائنا ضحية لذلك دون أن نشعر، وهذا ما يجعلنا نعاقبهم بما لا يستحقون ونشعرهم بأنهم سيئون وأن أخطاءهم لا تُغتفر.

ولقد قال النبي ﷺ في الحديث الشريف: {لو لم تذبون لذهب الله بكم وجاء بقوم يذبون فيستغفرون فيغفر لهم}، مسلم.



لا تتعجل النتائج

فطريق التربية طويل ويحتاج إلى الصبر والمثابرة، فلا تتوقع أن تغرس البذرة اليوم ثم تحصدها غداً، فالطفل يحتاج للرعاية والصبر والارتواء العاطفي والأخلاقي مع الاستمرار دون كلل أو ملل حتى وإن تأخرت النتائج، ولقد أعجبني تشبيه د. إبراهيم الخليلي (مستشار وخبير في التربية والعلاقات الأسرية) عن أن تربية الأبناء مثل شجر الخيزران (البامبو) الذي يغرس عقل صغيرة تحت الأرض ثم يسقى ويتعهد لأربع سنوات، وبعد انتهاء السنة الرابعة يصير برعم، وبعد ستة أشهر يصير طولها ثمانية عشر مترًا، ولكن طيلة الأربع سنوات كانت تمد جذورها الليفية تحت الأرض.

فهكذا الأبناء فأنت تربي وتغرس القيم وتتعهد بالرعاية حتى وإن لم تر نتائج حاضرة، ولكن مع الصبر والانتظار سيفاجئك بما لم تكن تتوقع، فستجد ما كنت تزرع وتعلم وتغرس من قيم يظهر مع الزمن في

مواقف كثيرة، حيث كان كل هذه المدة يمد جذوره في وجدان الأبناء دون أن تدري مثل شجر البامبو تمامًا، ولذا فعليك فقط ألا تستعجل النتائج، فالصبر على الأبناء هو استثمارٌ فطن يستخدم الزمن كأداة لتحقيق مراده، فهو يضع المقدمات ثم يستخدم سلاح الصبر والتغافل، ويتعد تمامًا عن اللوم والنقد، تمامًا كمستثمر ذكي يلقي بأمواله بمشروع ويتنظر عليه حتى يرى النتائج، أو كمن يشتري بيتًا ويتنظر سنوات حتى يبيعه في الوقت المناسب ويرى نتيجة استثماره، أو كزارع يزرع بذرة ثم ينتظر عندما تكبر ثم يحصد ما زرعه في الوقت المناسب ولو استعجل قطفها ما حصد شيئًا.

على أن يتعهد طيلة الوقت بالغرس والري...

وقد مررت بهذه التجارب كثيرًا مع أبنائي حتى ظننت بأنه لا فائدة ولكن مع الوقت كنت أشعر بأن مجهودي أبدًا لم يضع سدى، فشاهدت ما غرسته في أبنائي وهم صغار واقع يتحقق ومبادئ راسخة في أذهانهم وأفعالهم، فلم ترض ابنتي حورية أبدًا أن تغش في امتحانات الثانوية العامة في السنة التي شهدت فيها الغش الجماعي وظاهرة شاومينج،

وابنتي الوسطى آمال حريصة دائمًا على أن تتحرى الحلال والحرام في كل شيء تفعله، وحتى ابني عبد الرحمن في مواقف كثيرة تحدث من زملائه في المدرسة يأتي ليخبرني ويكون رافضًا لها.

حتى السلوكيات الحياتية العادية، فقد عانيت كثيرًا من توجيههم لتنظيف غرفتهم دون فائدة، ولكن مع الوقت بدأوا يحبون النظام وينفرون من المكان الذي تعمه الفوضى ولا يستطيعون المذاكرة فيه، فلا يشرعون في المذاكرة قبل تنظيف غرفتهم، فتوصلت إلى أن وجب على تربيتهم أن أقبل منهم كل جيد حتى وإن كان صغيرًا، وتيقنت أن مع الأيام سيتحول الصغير إلى كبير والبذرة الصغيرة مع الري والصبر ستصبح شجرة كبيرة.



الباب الثالث

تعلم قواعد لعبة التربية

الفصل الأول

قواعد أساسية لتهذيب سلوك الأطفال والحد من الصراعات اليومية.

*اهدج.

*تجاهل.

*كن مرنا وتجنب المشادات.

*ضع الحدود.

الفصل الثاني

قواعد تحفز ابنك على التعاون والطاعة.

* اطلب ولا تأمر.

* لا تطلب بصيغة.. هل بالإمكان؟

* توقف عن اللوم والتأنيب.

* توقف عن إبداء الأسباب.

* توقف عن إلقاء المحاضرات.

* لا تستخدم المشاعر للتأثير على الأبناء.

* كن واضحا ومباشرا وهورجا



الفصل الأول

قواعد أساسية لتهديب سلوك الأطفال والحد من الصراعات اليومية.

إن سلوكيات أطفالنا المزعجة ليست صفات متأصلة فيهم، ولا يقصدون بذلك إثارة غضبنا أو إيذائنا بأي شكلٍ كان، ولكننا نحن من نعلمهم ونؤصل فيهم تلك السلوكيات، فالطفل يولد صفحة بيضاء نحن أول من يسطر فيها، و هو كالإسفنجة يمتص كل ما يدور حوله من سلوكيات وعادات منذ لحظة ولادته وحتى سن السابعة كما قال خبراء التربية، ولذا فإننا إن لم نتعلم كيف نتعامل معهم بالأساليب الصحيحة فستكون النتيجة المحتومة هي الصراعات المستمرة والصراخ والتذمر والسلوكيات السيئة التي تقودنا إلى حد الجنون أحياناً، ولذلك فهناك قواعد أساسية لتهديب سلوك الأبناء، والحد من الصراعات اليومية.

إن هناك سببين وراء سوء سلوك الأبناء

السبب الأول: هو فقدان سيطرة الآباء عليهم بسبب عدم تفهمهم لاحتياجاتهم من الفهم والتوجيه والنظام والتواصل الجيد مع مشاعرهم، وذلك كمثل أن يكون لديك سيارة رائعة ولكن إذا تركت عجلة القيادة تفقد سيطرتك عليها وتتحطم، كذلك الأبناء إذا فقدت سيطرتك عليهم سيتحطمون.

السبب الثاني: هو ردة فعل الآباء والطريقة التي يتعاملون بها مع السلوك غير المنضبط، فالتركيز على السلوك السلبي يزيد السلوك سوءاً، ويصرفهم عن السلوك الإيجابي.

اهدح

يسعى الأبناء لنيل انتباه آبائهم متوقعين استحسان وتقدير أفعالهم، فإن لم يحصلوا على هذا الانتباه الإيجابي من آبائهم أو ممن حولهم فإنهم يسعون لنيل هذا الانتباه على طريقتهم الخاصة بإثارة الشغب أو الصراخ أو السلوكيات غير المرغوبة، فإليك ما نفعله ورد فعلنا الشائع.

حين يلعب الأطفال في هدوء أو يقدمون المساعدة بأي شكل كان، أو أن يقوم أحدهم بعمل الواجب بعد عودته من المدرسة مباشرة، أو أن يحسن السلوك عند وجود ضيوف في المنزل، أو أن يروي قصة أو موقف حدث معه في المدرسة، أو أن يرتب أغراضه أو يجمع ألعابه فإننا نتجاهل الأمر تمامًا أو لا نعطيه الاهتمام الكافي أو نشجعه بكلمة لطيفة أو حتى بابتسامة رضا، أو كلمة شكر.

بينما عندما يسيئ التصرف أو يثير الشغب أو يضرب أخته أو يتحدث بألفاظ سيئة أو يلقي بألعابه في كل مكان أو يثير الفوضى فإننا نسرع بالعقاب والصراخ وإلقاء المحاضرات.

ولا ندري أننا بذلك نقوم بتعزيز السلوك السيئ كشكل من أشكال لفت الانتباه، وإضعاف السلوك الجيد وقتله طالما أنه يُقابل بالإهمال والتجاهل.

بينما إذا أردنا عكس النتيجة السابقة، فلا بد أن نوجه اهتمامنا لكل سلوك جيد يقوم به الأطفال مهما كان صغيراً، ونتجاهل السلوك السيئ،

فالسُّلوك يزيـد بالانتباه إليه والتركيز عليه، ويقل ويتلاشى بالتجاهل وعدم الانتباه أيًا كانت نوعية هذا السلوك جيدًا كان أم سيئًا.

إن الثناء والمدح أقوى وسيلة لتعزيز السلوكيات الحسنة التي نرجوها من أبنائنا، ولذا فيجب أن نكون في حالة انتباه دائم ونقوم بتصيد الفرص للثناء على أعمالهم، ولنحرص على قواعد مهمة حتى يكون الثناء فعالاً وهي:

• أن تمدح السلوك وليس الطفل

فهذا خطأ يقع فيه الكثير، فالثناء على الطفل نفسه تجعله يربط حبك له بمدى نجاحه أو فشله في مهمة ما وأنت لا تريد ذلك بالتأكيد بل تريد أن تؤكد له أن حبك له غير مشروط، وأيضًا التركيز على السلوك وليس شخص الطفل يدعم احترام الطفل لذاته وثقته بنفسه.

فلا تقل: يا لكِ من بنت رائعة أن قمتي بتنظيف غرفتك اليوم.

ولكن قل: يا له من عمل رائع أن تنظفي غرفتك اليوم.

• عدم استخدام المقارنة

فالمقارنة تثير المنافسة والاستياء، فهو يريد أن ينال استحسانك له لميزة خاصة به وليس مقارنة بأحد.

فلا تقل: من الرائع أن تحصل على درجات عالية مثل أخيك.

• اثن على طفلك بالابتسامة والكلمات المشجعة وبالتواصل بالعين ونبرة الصوت الدافئة.

تجاهل

أتذكر عندما كانت أختي صغيرة تطرق الباب بصوت مزعج وتظن أنها تلعب ولا تعلم أنها بذلك تسبب لي الإزعاج، وبالرغم من تكرار طلبتي لها أن تتوقف إلا أنها كانت تزيد من الطرق بصوت عال، كل ما كان يجول برأسي حينها أنها تستفزني وتستثير أعصابي، فقررت أن أتوقف عن نهري وأتجاهل تمامًا هذا الطرق وكأني لا أسمع شيئًا، والمفاجأة أنها توقفت بالفعل.

فأدركت أن للتجاهل قوة كبيرة في تقليل السلوكيات السيئة كما أن للانتباه قوة كبيرة في زيادة السلوكيات الجيدة.

إن الأطفال يريدون ويحتاجون لانتباه والديهم، فإن لم يستطيعوا الحصول على هذا الانتباه عن طريق الأشياء الجيدة التي يقومون بها فإنهم يتجهون للسلوكيات المزعجة التي تثير الانتباه، ولذا فإن تجاهل السلوك السيئ هو بمثابة نقطة تفكير لهم لتغيير هذا السلوك، بينما لا بد أن نظل منتبهين أيضًا ومستعدين للثناء على الطفل عند التوقف عن هذا السلوك وهذا ما يسمى بالانتباه السلبي.

قواعد التجاهل:

- أنت لا تتجاهل طفلك ولكن تتجاهل السلوك فقط.
- لا تعبس أو تستشيط غضبًا، ولكن كن هادئًا وفقط أبد عدم الاهتمام، وركز على شيء آخر.
- ابتعد ولا تتواصل بالعين أو بالكلمات ولا تبدي أية مشاعر لا بالغضب ولا بأي شيء آخر.
- عند تجاهلك سيزيد من سلوكه ظنًا منه أنك ستمنحه انتباهك، ولكن لا بد عندها أن تثبت على موقف عدم الانتباه.

- أخبره أنك سوف تتجاهل سلوكه حتى ينتهي.
- استعد للثناء حال توقفه عن تصرفاته المزعجة.
- يجب أن يعتاد منك الشاء والمدح والتشجيع الدائم حتى يصبح التجاهل فعالاً.

تستطيع أيضًا أن تسيطر على مجموعة من الأطفال مجتمعين في مكانٍ ما بسهولة، حيث تستطيع أن تغتنم روح المنافسة والتسابق على نيل الاهتمام بتجاهل السلوك الذي لا ترغبه، والبحث من بين الأطفال على من يفعل سلوك جيد وتثني عليه، وستجد باقي الأطفال تلقائيًا يريدون أن يحصلوا على مثل هذا الاهتمام، ومثل هذا الشاء، فكن مستعدًا حينها أن تقدم الشاء على من يمثل للتصرفات الجيدة، ولكن احذر أن تقارن بين الأطفال واثنى فقط على السلوك الجيد.

كن مرنا وتجنب الهشادات

أعطه الفرصة ليهتيا نفسيا

عندما تريد أن يفعل طفلك شيئًا فلا تنتظر منه أن يستجيب في الحال عندما تأمره، فعندما يكون منهمكًا في اللعب، أو يشاهد التلفاز أو غير

ذلك فمن الصعوبة بمكان أن تجعله يستجيب لك، فلا أحد يحب مقاطعته ويأمره بالتوقف فجأة عما يفعله، ولذلك فإن عليك تهيئته نفسياً أولاً بأن هناك أمراً عليه تنفيذه بعد قليل، فذلك سيجعله يتقبل الأمر دون مشاحنات.

ولذلك فبدلاً من استخدام الأمر المباشر فعليك أن تعطيه مهلة زمنية للتوقف عما بيده والقيام بالعمل المطلوب منه، كأن تبلغه بأن أمامه خمسة عشر دقيقة لينتهي من اللعب مع أصدقائه ثم عليه العودة للمنزل، أو أن تخبر ابنتك الصغيرة أن أمامها خمس دقائق فقط على الأرجوحة ثم تستعد للمغادرة.. وهكذا، ثم أكد عندما يحين الوقت، ثم اشكره واثن عليه حين يستجيب.

فاوض وتوصل لاتفاق

في بعض الأحيان تكون المفاوضة والتوصل لاتفاق مشروط حلاً لحمل الطفل للقيام بسلوك ما، حيث مقايضته على شيء يحبه أو ميزة يحظى بها مقابل القيام بعمل ما، وتعتمد قوة الميزة على أهميتها بالنسبة له، فقد يكون لعبة بالنسبة لطفل صغير، أو السماح بوقت إضافي لمشاهدة

التلفزيون أو استخدام الكمبيوتر، أو الخروج مع الأصدقاء لطفل أكبر سنًا، على أن هذه الطريقة تكون فعالة في حال عدم اللجوء للجدال، وتجاهل أي هو أو تلكؤ، والتعامل بهدوء والثناء على أي محاولة للقيام بالمهمة، وأن يكون المراد من ذلك هو أن يشعر الطفل بأن الأمر عائد إليه ومسئوليته وأن النتيجة لعدم تنفيذه للمهمة المتفق عليها هي خسارته لهذه الميزة.

عندما كانت جنة الصغيرة تجلس أمام الكرتون، كان من المستحيل أن يستطيع أحد أن يأخذ ريموت التلفزيون ويقلب في القنوات الأخرى من دون صراخ وعصبية وبكاء، فبإمكانها أن تجلس هكذا طوال النهار، وقد كانت مشكلة كل يوم إلى أن خطرت لي فكرة، فهي تطلب مني في الصباح أن أحضر لها قناة الكرتون التي تحبها، وفي نفس الوقت هي لا تعرف حدود الوقت، فكنت أتفق معها أولاً بأن تتابع ثلاث حلقات من الكرتون ثم بعد ذلك إما أنني سأطفئ التلفزيون، أو أنني سأقلب القنوات. ووافقت.. وبالفعل كانت طريقة ناجحة جداً، حتى أنها في بعض الأحيان كانت هي من تغلق التلفزيون بعد الكرتونات الثلاثة.

وضع الحدود

إن وضع الحدود لابد أن يكون آخر مرحلة بعد أن يعتد طفلك منك على الثناء على سلوكياته الحسنة، وتعويد نفسك على تجاهل الأخطاء الصغيرة والتحفيز المستمر عن طريق الاتفاقات المشروطة والمكافآت، فلن يكون أبداً مجدياً أن تستخدم أسلوب الصرامة، ووضع الحدود كأسلوب وحيد للتربية بدون أن تمر أولاً بالمراحل السابقة ومنحه الانتباه الإيجابي، حيث استخدام أسلوب وضع الحدود فقط إنما سيزيد السلوك سوءاً ويحقق عكس النتيجة المرجوة حيث سيسعون لنيل العقاب كأداة لجذب انتباهك لهم، بينما مرورك بالمراحل السابقة سيجعل السلوكيات السيئة تتلاشى من تلقاء نفسها، ولن تحتاج إلا قليل من التهذيب عن طريق وضع الحدود.

هذه القواعد مرتبطة ببعضها البعض ارتباطاً وثيقاً، حيث إن كل استراتيجية تعتمد على ما قبلها، فمثلاً لا يجد التجاهل دون التفاعل

الدائم مع الأبناء وتعهدهم دائماً بالمدح والثناء على سلوكياتهم المنضبطة،
ولن يكون لوضع الحدود صدئاً أو فاعلية ما لم يسبقها تقدير وثناء
وتجاهل من قبل للأخطاء الصغيرة.



الفصل الثاني

قواعد تحفز ابنك على التعاون والطاعة

أحياناً كثيرة كنت أتساءل لماذا يطيع أبنائي والدهم أكثر بينما وجب علي دائماً أن أعيد عليهم الأمر المرة تلو المرة حتى يستمعوا إلي، لقد كنت أمل من إلقاء الأوامر بينما هم لا يملون من صم آذانهم، على الرغم من اتباعي معهم كل طرق التحايل والرجاء والرفق واستخدام وسائل الإقناع وغير ذلك من الوسائل الكثيرة دون فائدة، بينما يأتي والدهم ليلقي عليهم أمراً فينفذوه على الفور، وكنت أعتقد أن ذلك لأنهم يهابون والدهم أكثر فالأب له هيبة ورهبة، ولكنني تذكرت جدتي كيف استطاعت أن تربي ستة من الأبناء الصغار بعد وفاة جدي وحدها دون أن يحيد منهم أحد عن الطريق، حتى أصبح منهم المهندس وأستاذة الجامعة والمدرسة، كيف استطاعت أن تجعلهم يطيعون ويستمعون لها

من نظرة العين وليس من إلقاء المحاضرات كما نفعل، وتذكرت كلمة د (إبراهيم الخليلي) أستاذ علم النفس والتربية عندما قال: لقد فقدنا هيبتنا مع الأبناء بكثرة الكلام، كل ذلك جعلني أفكر وأبحث عن الأسباب التي تجعلهم لا يستمعون، وتوصلت من خلال هذا البحث إلى أن هناك قواعد تجعل الأبناء يستمعون ويتعاونون أكثر وهي:

اطلب ولا تأمر

إذا تأملنا يومًا عاديًا في حياة الأطفال فسنجد أنهم يتلقون الأوامر منا طيلة الوقت، فنحن دائمًا ما نريد أن يتعلموا شيئًا ما أو ننهائهم عن شيء ما، أو نأمرهم أن يفعلوا شيئًا ما، ولكن هذه الطريقة غير مجدية، فكثرة الأوامر تجعلهم يتجاهلون ولا ينصتوا، وتكرار الأوامر يضعف التواصل بين الآباء وأبنائهم، ولكن حتى يستمع أولادنا إلينا ويطيعون يجب أن نخلق بيئة للتواصل الجيد بيننا وبينهم أولاً، فلا يكون حديثنا معهم الغالب عليه هو إلقاء الأوامر فقط، بل لابد أن نعتد أن نتحدث

مع أبنائنا حوارات عادية بعيدا عن أي طلبات أو أوامر منهم، وأن نشاركهم اهتماماتهم، ونلعب معهم كلما أمكن ذلك، فذلك يصنع بيئة صداقة وليس بيئة سلطوية، ثم تأتي بعد ذلك طريقة التوجيه نفسها بحيث تستخدم صيغة الطلب وليس صيغة الأمر، وهناك من الأساليب الكثير التي نوجه بها أبنائنا دونما نشعرهم بأننا نلقي عليهم الأوامر طيلة الوقت:

كأن تجعل الأمر في صورة طلب وليس أمر.. لو سمحت.. من فضلك ساعدني في حمل هذه الأثقال.

أو في صيغة اقتراح فيجعله ذلك يشعر بأن الأمر بيده.. ما رأيك في أن تذاكر في غرفتك؟

أو في صورة اختيار أتود أن تنظف غرفتك الآن أم بعد الغداء؟
إن الفرق بين صيغة الأمر وصيغة الطلب هي أنه مع صيغة الطلب تسمح بالمقاومة أو التفاوض ما يجعلك مرناً في التعامل مع أبنائك، بينما مع صيغة الأمر فلست على استعداد إلا أن تسمع الإجابة فقط، وشعور

الابن بعدم الإجبار يدفعه للتعاون ويقلل من مقاومته، ونحن لا نريد أن نربي أبناءً خاضعين بل متعاونين.

لا تطلب بصيغة هل بالإمكان

هل من الممكن أن تنظف غرفتك؟ هل من الممكن أن تذهب لإحضار أختك من الدرس؟

إن استخدام صيغة هل بالإمكان تدعو للحيرة والتفكير من جهة والمراوغة من جهة أخرى، فهو سؤال عما إذا كان ابنك يستطيع أم لا، وأنت لا تطلب شيئاً من ابنك إلا وأنت متأكد من استطاعته، وعندما تطلب شيئاً فإنك تعني ما تطلبه، وصيغة هل في الإمكان وإن كان في ظاهرها الطلب بصورة لطيفة ومهذبة إلا إنها غير محفزة.

فيمكن أن نطلب مباشرة: هلا أطفأت التلفزيون.

أريد منك أن تنظف غرفتك.

من فضلك ساعدني على حمل الأشياء.

توقف عن اللوم والتأنيب

لماذا الغرفة غير مرتبة حتى الآن؟ أأصم أنت؟ ألا تستمع لصوت الموسيقى العالي؟ ألم أطلب منك ذلك أكثر من مرة؟
إن من أسوأ الأساليب التي تدعو الأبناء إلى عدم الإصغاء هو أسلوب التقرير، فهو يعطي رسائل سلبية غير مباشرة للأبناء بأنهم سيئون بطريقة ما، وإن كان هذا الأسلوب تستخدمه الأمهات عادةً لتحفيز الأبناء بصورة غير مباشرة إلا أنه يعطي نتائج عكسية، فهو أسلوب يعتمد على إشعار الأبناء بالذنب، مما يجعلهم يتعدون ولا يستمعون، فلا أحد يحب أن يتواصل مع من يشعره بالذنب دائماً.

توقف عن إبداء الأسباب

حان وقت النوم، فعندك غداً يوم دراسي طويل حتى تستطيع التركيز والفهم.

اغسل أسنانك قبل النوم حتى لا تتكون عليها الجراثيم والبكتيريا وأنت نائم.

إنه على العكس مما نتوقع بأن إبداء الأسباب للأبناء قد تكون محفزة لهم للقيام بما نطلبه منهم، ولكن ما يحدث أن هذه الطريقة تزيد من مقاومتهم. فكما نجتهد نحن في إبداء الأسباب والتبرير فهم أيضًا يجتهدون في معارضة الأسباب، بينما عندما تطلب منهم مباشرة فإن مقاومتهم تقل، واستعدادهم للتعاون يكون أفضل عندما تكون مباشرًا ومختصرًا في حديثك.

دائمًا ما تثار مشكلة كل ليلة مع ابني بأن الاستيقاظ لوقت متأخر يؤثر عليه وعلى تأخره في الاستيقاظ في اليوم التالي وبالتالي ستفوته الصلوات ويقل نشاطه، ودائمًا أيضًا ما يرد علي بأنه لا تخافي يا أمي فأنا أنام متأخرًا ولكنني أستيقظ مبكرًا وسأصلي الصلوات في وقتها، وكأنه يقول لي: إذا كان الاستيقاظ متأخرًا هو ما يقلقك من أجل هذه الأسباب فأنا أرد عليك الأسباب، ومن هنا يجد المخرج في الأسباب وفي نفس الوقت يهرب من الطلب الذي هو النوم مبكرًا.

وفي الأخير تكون محاولة للإقناع فاشلة، ولكن بدلاً من ذلك علينا أن نطلب من غير تبرير الأسباب، ولا بأس أن تعترض وفي نفس الوقت تذكر أن السلطة في يد بابا وماما.

أما إذا كنت تريد إيصال المعلومة بفائدة ما تطلبه وأهميته له فلك أن تجعل ذلك بعدما يقوم بتلبية طلبك، فيكون على استعداد أكثر لتقبل ما تقول بعدما يشعر أنه قام بعمل جيد.

وإن كان أسلوب إبداء الأسباب يعد ناجحاً مع الأعمار الصغيرة جداً كعندما أطلب من ابنتي أن تجمع ألعابها، ولكن مع كبر الأبناء ودخولهم سن المراهقة فإن مقاومتهم للأسباب تزيد، واستعدادهم للجدال يكون أكبر.

توقف عن إلقاء المحاضرات

لا ينبغي أن تذهب إلى مكان ما بدون علمي حتى وإن خرجت مع صديق، ماذا إن حدث لك مكروه؟ ألا تسمع عن الحوادث التي تحدث كل يوم، أترى هل يوافق والدي صديقك على هذا؟ ماذا يكون رد فعل والدك عندما يعلم أنك خرجت من دون إذنه؟

أحياناً نستغل فرصة أخطاء أبنائنا كي نلقي عليهم خطبة، أو نقومهم بمحاضرة، ولكن تلك الطريقة وإن اعتقدنا أنها جيدة لتقويم الأبناء إلا أنها تأتي بنتائج سلبية تماماً، فالكثير من النصح، والكثير من الإرشاد والكثير من الدروس، والكثير من المحاضرات يجعل الأبناء لا يستمعون بل يصيهم بالبلادة واللامبالاة، فقبل سن التاسعة فهم لا يفهمون هذا الأسلوب وغير مستعدين له، أما بعد هذا السن فهم يصمون آذانهم تماماً ولا يستمعون، وأحياناً كثيرة يسخرون من هذه المحاضرات، بل وبالإمكان أن يعيدوها عليك كطريقة للسخرية منها.

فبدلاً من ذلك فيمكن الاختصار في هذه الجملة: من فضلك استأذن والديك قبل الذهاب إلى أي مكان.

وبينما تكون هذه الطريقة غير فعالة تماماً إذا اتبعناها لتقويم سلوكيات الأبناء، فإنها تكون مناسبة وفعالة بغض النظر عن الأعمار عندما يطلب الأبناء ذلك بأنفسهم، فإنهم لا يطلبون إلا عندما يشعرون بالحاجة لخبرة آبائهم، فيكونون على استعداد للاستماع والتجاوب.

لا تستخدم المشاعر للتأثير على الأبناء

من فضلك قد السيارة بحذر، فأنا أخشى أن تصاب بمكروه.
إنك لا تقوم بما يتوجب عليك في دراستك بينما أجهد نفسي من
أجلكم حتى أوفر لكم حياة كريمة، أنت تصيني بالإحباط واليأس.
لا أطمئن إلا وأنت تلعب أمام عيني.. فلا تلعب بعيداً.
إن استخدام المشاعر السلبية للتأثير على سلوكيات الأبناء على عكس
ما يشاع فإنها تدفع الأبناء لأي من ثلاث.. فيما للشعور بالذنب
لإحساسهم الشديد بمسئوليتهم عن إغضاب والديهم فيسبب لهم ذلك
الشعور بالإحباط واليأس والاستياء من أنفسهم، أو أن يتوقفون عن
الاستماع والهروب من ذاك الشعور، أو يشعرون بابتزاز والديهم لهم
عاطفياً فيرفضون أي استعداد للتعاون، وإن كان على أرض الواقع نرى
الكثير من الأزواج الذين لا يبدون الاستعداد للاستماع إلى مشاعر
زوجاتهم، ويكون السبب في ذلك هو أن أمهاتهم استخدمن معهم هذا
الأسلوب وهم صغار فاعتادوا الهرب وعدم الاستماع خوفاً من السيطرة
عليهم بنفس الأسلوب مرة أخرى من قبل زوجاتهم.

وقد يقول قائل وما مشكلتك مع إشعار الأبناء بالذنب فهذا مطلوب ليدفعهم لفعل الصواب، ولكنني أستطيع أن أقول هنا.. نعم ذلك الأسلوب يمكن أن ينفع مع بعض الأطفال إلا أن العديد منهم سيفضون ويديرون ظهورهم لك خاصةً الأولاد عند دخولهم مرحلة المراهقة.

والخلاصة أن تجنب مشاركة أبنائك المشاعر السلبية إن كنت تريد أن تربي أبناءً متعاونين ذوي إرادة قوية، وليسوا خاضعين يمكن أن يسيطر عليهم بالمشاعر، أو تتخذ قرارات بناءً على المشاعر السلبية، ولكن لا بأس في أن تشاركهم مشاعرك الإيجابية.

كن واضحاً ومباشراً وموجزاً

لا يعجبني الطريقة التي تتحدث بها معي.

أتضرب أختك مرة أخرى بالرغم أن نهيتك سابقاً؟

لماذا أرى الفوضى في كل مكان؟

غالبًا ما نتوجه للأبناء بعبارات نفترض أنها ستجعلهم ينتفضون للمساعدة، ولكن ما يحدث هو أننا نركز على المشكلة دونما التوجيه إلى المطلوب منهم بالضبط، فلا نجد منهم إلا الصمت والتحليق بأعينهم في الفضاء، وتظل الشكوى والصراخ منهم دون جدوى لأننا مازلنا مستمرين على التركيز على الخطأ، وما يزالون هم لا يدركون ما نريده منهم بالضبط.

إن ما نفعله في هذا الوقت هو أننا نظل نصرخ دونما طلب عمل شيء محدد، ونفترض أنهم يفهمون، ثم نشكو من عدم استجابتهم. إن من الخطأ التركيز على الخطأ وإلقاء التعبيرات السلبية، ولكن للحصول على الاستجابة منهم لابد أن نطلب منهم مباشرةً وبوضوح ما نريده بالضبط.

من فضلك تحدث إليّ باحترام.

توقف عن ضرب أختك، والعب معها بلطف.

من فضلك نظف غرفتك.

لقد جربت هذا الأسلوب مع أولادي واكتشفت أنني كنت بالفعل
أوجه التعبيرات الخاطئة، فأصبحت أطلب منهم ما أريد مباشرةً بدون
أي تزيد، وبالفعل لاحظت تأثير اختلاف الأسلوب في التوجيه ومدى
فاعليته.



الفصل الثالث

هتى تأهر وكيف؟

حين نربي فلا بد من الأوامر والتوجيهات لا محالة، فطفل صغير أو مراهق كبير لم يصل بعد إلى النضج الذي يجعله يعرف الصواب من الخطأ بمفرده، ولذا فهو دائماً ما يحتاج إلى التحذير من الخطأ من جهة وغرس القيم من جهة أخرى، وبينما النصح والتوجيه والأوامر دائماً ما تكون ثقيلة على النفس ما يدفع الأولاد دائماً للتمرد والعصيان وصم الأذن عن أي توجيه، لذا فمن الضروري بمكان أن نتعلم كيف نوجه أبنائنا ومتى نلجأ للأمر المباشر:

1. اطلب ولا تأهر.

إن استخدام تعبيرات الطلب أولاً مع الأبناء مثل من فضلك، هلا فعلت كذا...؟، ما رأيك...؟ يقلل مقاومتهم، حيث يشعرهم

بالمسئولية من جهة، وباحترام مشاعرهم من جهة أخرى، فإن رُفض طلبك فانتقل للخطوة الثانية.

2. أنصت وتفهم الاحتياجات وأشبع الرغبات.

أظهر التعاطف، والتفهم لمشاعره، مع تكرار الطلب كأن تقول: "أتفهم أنك متعب، ولا تريد تنظيف غرفتك الآن، ولكن حان وقت التنظيف" إن خطوة تفهم الاحتياجات تتمثل في السؤال "لماذا يرفض ابني الاستجابة أو لماذا يسيئ السلوك؟"

فإن كان بسبب نقص في المخزون العاطفي لديه، فاقرب منه حتى تلامسه وامسح على رأسه أو اربت على كتفه، فكثير من الأبناء لا ينتبه لما تقوله ولو كررت عليه مراراً، وذلك لأنه يكون من النوع الحسي الذي لا يستجيب لك إلا عندما يشعر بقربك منه واحتضانه أو ملاصقه. وقد فعل ذلك النبي ﷺ عندما جاءه شاب يستأذنه بالزنا فقال له ﷺ: ((ادن مني ثم مسح على صدره))...

وقد جربت ذلك مع أبنائي.. فابنتي مثلاً مع بداية سن المراهقة كانت قد أرهقتني بمبالغتها الشديدة أثناء ثورات غضبها التي كانت تتنابها

كثيرًا، ولم أكن من الخبرة بمكان أن أملك نفسي أمام غضبها إلا أن كانت
ثور ثائرتي أنا الأخرى ونظل بين شد وجذب وصراخ أحيانًا، ولكن
عندما علمت أن هناك من الأبناء ما هو بصري يتأثر بالنظرة أو بالمكافأة،
أو سمعي يتأثر بالكلمة أو حسي الذي يتأثر باللمس والاحتضان،
فتذكرت أن ابنتي من هذا النوع الحسي، وبالفعل جربت أن أحتضنها
عند ثورة غضبها فكانت تتحول تمامًا لشخصٍ آخر كالملاك، فكانت
تهدأ وتعتذر وتستمع لي في هذه اللحظة.

فإن لم يكن الإنصات كافيًا فنجرب التحفيز بالمكافآت.

3. التحفيز بالمكافآت المعنوية.

يمكن أن تحفز بالوعد بمكافأة كأن تقول: "عندما تستمع وتطفئ
التلفاز فستمح قراءة ثلاث قصص".

أو "عندما تقوم بعمل واجباتك المدرسية الآن، ستمح فرصة
الخروج مع أصدقائك مساءً".

فإن رفض أي مكافآت وأصر على عدم الاستجابة، فإن لم ينجح ذلك
أيضًا فسنحتاج للتذكير بأن هناك قائدًا وهو ما يوصلنا لمرحلة الأوامر.

4. توجيه الأمر والتأكيد على القيادة.

عندما تفشل الخطوات الثلاث السابقة، فسيكون عليك أن توجه أمرًا مباشرًا بصوت حازم وهادئ في ذات الوقت، على أن تخبر مباشرةً ما تريد تمامًا كأن تقول: "إنني أريدك أن تذهب للنوم الآن"، "إنني أريدك أن تخفض من صوت الموسيقى الآن".

على أن تستخدم نبرة صوت قوية وثابتة دون جدال أو لوم أو تهديد أو إبداء أسباب أو استخدام للمشاعر، فعندما تغضب أو تستخدم أيًا من هذه الوسائل فإنك تضعف من سلطتك كقائد وتنقل هذا الشعور تلقائيًا لابنك، فإذا فشل الأمر أيضًا فستحتاج لتكرار الأمر.

5. تكرار الأمر

عندما يفشل الأمر ستحتاج للتأكيد على القيادة بتكرار الأمر بنفس النبرة وبنفس القوة، فإن تكرار الأوامر بثقة هي من أكثر الأساليب

تأثيرًا، حيث يتعلم الأبناء إنه عندما تأمر فهذا معناه أنك لن تتراجع أو تفاوض أو تتعاطف.

وتكرار الأمر بوضوح وحزم ونبرة صوت قوية مراتٍ ومراتٍ من دون إظهار أي غضب أو ضعف أو حزن يكون أكثر فاعلية وتأثيرًا. غير أنه من الخطأ أن يلجأ الآباء للغة الأوامر من البداية، فاستخدام الأوامر من البداية دون المرور على الخطوات السابقة لن يجدي نفعا حيث ستضطر إلى اللجوء للأوامر في كل مرة توجه فيها شيئًا لابنك مما يفقدها تأثيرها ومعناها. وفي حالة الإصرار وفشل كل المحاولات.

6. اللجوء للعقاب

أما عند فشل جميع المحاولات السابقة فليس من بد من استخدام العقاب والذي لابد أن يكون مناسبًا للموقف والذي قد يتمثل في الاستبعاد المؤقت أو الحرمان من شيء ما يحبه، ولضمان أن يظل غضبك تحت السيطرة فيمكن أن تخطط للعقوبات مسبقًا عند العصيان التام.

الحب قبل وبعد العقاب

يجب أن نكون متففين على التفهم الدائم لمشاعر الأبناء، وإشباع احتياجاتهم عاطفياً قبل أن نؤدبهم أو نعاقبهم بأي شكلٍ كان، فوصلة الحب الدائمة بين الآباء وأبنائهم هي ما تقلل من مقاومة الأبناء، وتجعلهم حريصين على إرضاء والديهم المحبين بدون شروط، ولكن ليس معنى ذلك أنهم سيكونون مطيعين على الدوام، ولذا وجب وضع القواعد وعواقب مخالفتها مسبقاً، حيث إن الحدود تكون مبهمة ومشوشة لحد كبير في أذهان الأبناء مما يحتاج لرسم الخطوط السلوكية والأخلاقية.

ويظل التساؤل كيف تؤدب وكيف تعاقب؟

عندما يشعر الابن بأنه محبوب من والديه ومشاعره مقدرة حتى وإن أساء السلوك أو التقدير، فإنه سيتقبل أي توجيه أو تأديب بدون امتعاض أو عدائية، وسيتفهم في نهاية الأمر أن هذا التأديب لصالحه،

بينما عندما لا يشعر الابن بالتعاطف والحب من والديه فإنه سيعتبر أي أمر أو طلب أو توجيه هو بمثابة فرض وأمر سلطوي وتحكمي وسيقابله بالمقاومة والاستياء، ولذا فمن أكثر الطرق فاعلية أن تعبر عن حبك له وتعاطفك معه وأنت تعاقبه، فتعاقب في سياقٍ من الحب، أي عقاب مغلف بالحب.

"يا بني.. أنا أريد أن تعرف كم أحبك، وأعلم أنك تحب أن تستريح من عناء يوم دراسي مرهق بممارسة لعبتك المفضلة التي تحبها، وأقدر اتباعك للقواعد المتبعة في المنزل دومًا، وأعلم أن ما حدث اليوم من كسر زجاج النافذة هو حادث عارض ليس من سلوكك المعتاد، ولكنك تعلم بشأن القاعدة المتعلقة بلعب الكرة في المنزل، ولذا من الصعب على أن تتلقى عقوبة مخالفة القواعد، ومنع لعب الكرة لمدة أسبوعين، وإصلاح زجاج النافذة من مصروفك". وأعلم أنك ستظل ابني الذي أحبه ويمكن أن يعانق الأب ابنه.

رسائل

أحياناً يكون للكلمات المكتوبة أبلغ الأثر من الكلمات المنطوقة، فعندما تغلق دائرة التواصل بين الآباء والأبناء، ويعجز الأبناء عن التعبير عن مشاعرهم، فإنهم يبحثون عن طريقة ما لتوصيل مشاعرهم لآبائهم دون اللجوء لمواجهتهم وذلك بكتابة الرسائل لهم، وهي طريقة صحية إلى حد كبير لتصريف غضبهم.

ف ذات يوم فتح زوجي رسائل الواتس على هاتفه فوجد مقطع فيديو مؤثر جداً، وهو عبارة عن فيلم كارتون قصير لوالد مشغول دائماً، يأتي ابنه الصغير ليناديه وهو يقرأ الجريدة.. فيقول له: ليس الآن يا بني.. ثم يناديه مرة أخرى وهو يصلح السيارة فيقول له: ليس الآن يا بني، وهكذا دواليك إلى أن يكبر الابن ليصبح شاباً ويأتي الأب لينادي على الابن ليتحدث معه.. فيقول له الابن: ليس الآن يا أبي.. كان هذا المقطع رسالة عبد الرحمن لوالده عندما كان في التاسعة من عمره، استطاع أن يلخص بها مشاعره دون أن يتكلم.

ولكن ما يصنع الفارق هو كيف يتعامل الآباء مع هذه الرسائل، ويجعلونها فرصة لدعم أبنائهم وبناء الثقة بأنفسهم.

كان والد حسام يعطي أبنائه أذونات لمن يريد أن يسهر قليلاً قبل النوم كنوع من أنواع المكافأة، وفي إحدى الليالي أراد حسام ذو العشرة أعوام أن يستفيد من إذن له قد فقده، وبالتالي رفض الأب طلبه طالما الإذن مفقود، حينها غضب حسام وركض إلى غرفته وهو يتمتم "لكنك أعطيتني الإذن"، وعندما توجه والده إلى غرفته مساءً وجد الرسالة التالية:

"والدي العزيز.. إن لم تدعني أسهر فأنت إذاً غير عادل لأن

(1) كلانا يعلم بأنك أعطيتني إياه.

(2) أنت تعرف أنني أضيع الأشياء كثيرًا.

(3) أنت تعرف كم كنت أتوق لاستعمال ذلك الإذن.

لا أريد أن أبدو بغيضاً لكتابة تلك الرسالة. إنني أدون أفكار

الخاصة "حسام.

عندما قرأ الوالد الرسالة، علم أن عليه أن يعيد تقدير الولد لذاته، فكتب له رسالة.

"ولدي العزيز، يا لوضوح الأفكار! يا للحجج المقنعة ! بينما كنت أقرأها كان على تذكير نفسي بأن من كتبها لم يتجاوز العاشرة من عمره، تفضل باستلام إذن بديل، كل المحبة" والدك.

تلك الرسالة ذكرتني بوالدي - يرحمه الله - عندما كنت في الخامسة عشر من عمري تقريباً، وطلبت منه شيئاً فرفض، فكتبت إليه رسالة، لا أتذكر ماذا طلبت منه حينها، ولا أذكر ماذا كتبت في الرسالة، ولكن ما أتذكره جيداً هو ابتسامة أبي الحنونة وكلماته الرقيقة لي: "لا أصدق أن ابنتي هي من كتبت تلك الرسالة، ما أجمل هذا الأسلوب، وما أروعها من أفكار متناسقة ومنظمة"، ثم أجاب لي طلبي بكل ترحاب.

أتذكر هذه الكلمات جيداً لأنها كانت بالنسبة لي كالبلسم الذي يداوي الجروح، ويعيد الثقة المفقودة في مثل هكذا موقف.

أما حالياً فأولادي يعيدون نفس الكرة، فعدم المواجهة يجعلها طريقة جيدة للتعبير العميق عن المشاعر ومداواتها.

فابنتي آمال عاشقة للكتابة بالرغم من ميولها العلمية، تجد دائماً بها
المخرج عندما تتأزم المواقف وتعجز عن التعبير عن مشاعرها أو إيصال
وجهة نظرها.

أما عبد الرحمن يميل للرسائل القصيرة ذات المعنى المباشر، "ماما..
أنا أحبك"، "أنا آسف".

عصا التائب

الشعور بالندم والعجز والفشل من أسوأ المشاعر التي قد يمر بها
الآباء في أوقات كثيرة أثناء المصادمات اليومية مع أبنائهم، وذلك بسبب
الصراع الدائم بين رغبة الآباء بتقديم الأفضل لأبنائهم من ناحية،
والضغوط التي يواجهونها من ناحية أخرى.

فبالطبع هناك أوقات يفقد فيها الآباء السيطرة على أنفسهم، إما
بالغضب أو الصراخ أو النسيان، فماذا نفعل عندما نرتكب الأخطاء؟

عندما كان يشعر أولادي بالضغط في دراستهم ويشعرون بفقدان السيطرة، فكنت دائماً ما أقول لهم: ليس المطلوب منكم أن تحصلوا على الدرجات النهائية، وليس المطلوب أن تكونوا الأوائل على أقرانكم، ولكن المطلوب منكم فقط أن تبذلوا أقصى ما في استطاعتكم، فالله دائماً يكافئ على السعي وليس على النتيجة.

كذلك فابناءنا لا يحتاجون لآباء مثاليين، ولكنهم بحاجة لآباء يبذلون أقصى جهودهم، فنحن نخطئ كما يخطئ أبناؤنا فنحن بشر في الأساس، ويمكن للاعتذار أن يحل هذه المشكلة فعندما تقول لابنك: "أنا آسف لأنني صرخت عليك، وأنت لا تستحق ذلك" فهذا كفيلاً بأن يصلح الأمر.

فاليوم لم أستطع أن أتمالك أعصابي عندما قام عبد الرحمن باستفزاز أخته الصغيرة وجعلها تبكي فكلاهما يعاندان بعضهما البعض على الدوام، وتوقعت أن يكون قد ضربها عندما سمعتها تصرخ، لقد ثرت واستشط غضباً وأمرته أن يصعد لغرفته.

لقد كنت أحضر الطعام آنذاك وأريد أن أنتهي منه سريعاً فورائي أعمال منزلية أخرى أريد الانتهاء منها أيضاً حتى أتفرغ للكتابة، فمعرض الكتاب اقترب موعده ولم أنته من الكتاب بعد، ومناوشات الصغار المستمرة تثير الأعصاب.

ثم ماذا بعد الغضب والصراخ؟.. الصمت وتأنيب الضمير.. لماذا فعلت ذلك؟ ليست هذه الطريقة الصحيحة للتعامل مع الأولاد.. ما بالي؟ لماذا كل هذه الكتب التي أقرأها عن التربية؟.. لماذا هذا الكتاب الذي بين يدي وما فائدته وكيف أطلب من غيري تطبيق ما فشلت فيه؟ لقد كنت قبلها بيوم على وشك الحديث مع ابنتي كيف تحتوي أختها ولا تغضب منها وتراعي ظروف دراستها في هذه السنة فهي في الثانوية العامة.. كيف أقنعها الآن وهي تراني أصرخ على إخوتها.. ما هذا النفاق؟ ما هذه الازدواجية؟

وأخذت أفكر في ضغوط الآباء والأمهات وكيف أنهم معذرون.. فأنا أم عادية أحب أولادي وهم أيضاً آباء عاديون يحبون أبنائهم، ومع ذلك ننفع وننفسو ونصرخ عليهم أحياناً.

وفي أثناء حديث النفس الطويل هذا دخلت علي ابنتي حورية،
ووجدتني أشركها معي حتى تخفف عني جلد الذات قليلاً، ولقد
فاجئني ردها وأسعدني في ذات الوقت.

فقد قالت: أتعلمين يا أمي كيف تصلحين الوضع عندما يحدث شيئاً
من هذا القبيل مع أيِّ منا؟
فقلت: بالتأكيد أريد أن أعرف.

فقالت: فقط قبلة وحضن.

فأخذتها بين أحضاني وقبلتها.. وكأنها أزالَتْ هماً ثقيلاً عن عاتقي.
ونفذت كلامها على الفور، فصعدت لغرفة عبد الرحمن واحتضنته
وقبلته واعتذرت له بدون أي أحاديث أخرى، واعتذر بدوره عما بدر
منه.

ما أجهل أن تشعر بروعة هؤلاء الأبناء وصفائهم ونقاء روحهم، إنهم
مستعدون لنسيان أي إساءة من والديهم لأنهم يحبونهم، إنه درس كبير
لكل من الآباء والأبناء:

- فلا ضير من الخطأ، فنحن بشر ولسنا ملائكة طالما نعرف كيف نعتذر وكيف نصلح الخطأ.
- لا خوف على الحب طالما هناك التسامح.



الباب الرابع

خمسة أمور تحير الآباء

1. التعامل مع أخطائهم. "دعهم يخطئون"
2. التعامل مع مشاعرهم السلبية ونوبات الغضب. "تقبل مشاعرهم"
3. العند والرفض والتهرد. "دعهم يعارضون"
4. المقارنة مع الآخرين. "تقبل اختلافهم"
5. التعامل مع طلباتهم التي لا تنتهي. "دعهم يطلبون المزيد"



كثيرًا ما يقف الآباء والأمهات حائرين أمام تصرفات أبنائهم وانفعالاتهم ورغباتهم، فيلجؤون للتعامل معهم من خلال مشاعرهم التي يطغى عليها الخوف والقلق والغضب، ونتيجة للانقياد لهذه المشاعر التلقائية والغير واعية والجهل بطبيعة نمو أبنائهم واحتياجاتهم في ذات الوقت فإن ذلك يتسبب في إعاقة نمو الأبناء ونضجهم، والمعاناة والشكاوي المستمرة والمتكررة من الآباء، والجهل بما هو طبيعي وما هو غير طبيعي خلال مراحل نمو أبنائهم.

فمثلاً من الطبيعي أن يخطئ الأبناء، ومن الطبيعي أن يرفضون ويتمردون، وأن يطلبون المزيد والمزيد، وأن يتميزون ويختلفون عن الآخرين، ولكن ما يخلق المعاناة والإرهاق في التربية هو ردود أفعال الآباء تجاه تصرفات الأبناء، والتي هي في حقيقتها خصائص طبيعية أودعها الله تعالى في الأطفال والتي هي مهمة وضرورية لنموهم ونضجهم.



التعامل مع أخطائهم

"دعهم يخطئون"

ماذا يفعل أسلوب العقاب والسخرية في أولادنا؟
إن من أسهل طرق التربية وأسوأها هو أسلوب العقاب والسخرية،
وإلقاء المحاضرات هو أقلها فاعلية عند ارتكاب أبنائنا للأخطاء، ولكن
هل يجدي هذا الأسلوب؟ هل يصلح أو يغير؟ فلنرى ما نتيجة تأثير
استخدام هذا الأسلوب على أولادنا.

إن ما يصل للأبناء من رسائل نتيجة لاستخدام هذا الأسلوب:

• أنت غير محبوب.

• غير مسموح لك بارتكاب الأخطاء.

• لا مكان للتسامح.

الإحساس بالذنب وعدم تقبل الذات والتمرد والعناد هو ما
يصاحب الأبناء عندما يكون والديهم من ذاك النوع من الآباء الذين لا
يسمحون لأبنائهم بارتكاب الأخطاء.

كل ابن آدم خطأ، فكيف نطلب من أطفالنا ألا يرتكبون الأخطاء وهم ما زالوا يتلمسون خطاهم في الحياة، يجب أن نعلم أبنائنا أنه لا بأس من ارتكاب الأخطاء، والخطأ هو ما نتعلم منه الصواب، وأنا سنظل دائماً هناك لتسامح.

ولنعلم أبنائنا الاعتذار والتسامح من خلال القدوة التي تتمثل فينا نحن بالنسبة لهم، فلنعتزف بأخطائنا دائماً أمامهم لنعلمهم تقبل الذات ومسامحة أنفسهم والمضي قدماً، فهناك من الأطفال الذين يقتلهم الإحساس بالذنب بسبب آبائهم الذين يصورون أخطاءهم بأنها ذنباً لا تغتفر.

أستطيع أن أنخيل معكم ذلك.. فقد كنت من ذاك النوع من الأطفال الذي يصل به حد ارتكاب خطأ ما لأقصى حدود الإحساس بالذنب والذي كان يقودني إلى الانسحاب والهروب من أي مشاركة اجتماعية خوفاً من الأخطاء.

إن الخوف من الأخطاء يؤثر بالطبع على شخصية الأبناء ويمد كثيراً من إبداعهم، ولذا فالتعامل مع الأخطاء مهارة يجب أن نتقنها، فأخطاء

الأبناء فرص جيدة لتعليمهم السلوكيات الجيدة، وغرس القيم عن طريق الموقف، فالأطفال حساسون لرد الفعل، ولذا فالتعامل مع الابن باحترام وهدوء تجعله حريصًا على أن يكون جديرًا بهذا الاحترام.

واعترفنا بأخطائنا والاعتذار عنها أمامهم يعلمهم بطريق غير مباشر وبطريقة عملية تحمل المسؤولية عن أخطائهم وليس الهروب منها، فالأبناء يتعلمون بالقدوة وليس بإلقاء المحاضرات، وما يريح الأبناء عند انزعاجهم عندما يحكي لهم الآباء كيف وقعوا في مثل أخطائهم عندما كانوا في مثل أعمارهم، وكيف كان شعورهم عند نفس الموقف.



التعامل مع مشاعرهم السلبية ونوبات الغضب "تقبل مشاعرهم"

الابن: ماما أنا متعب.

الأم: لا يمكن أن تكون متعبًا، لقد استيقظت لتوك من النوم.

الابن: أكره مدرس الفصل، فلقد صرخ في وجهي أمام زملائي.

الأم: لا بد أنك ضايقته، عليك أن تكون حسن السلوك حتى لا يتكرر ذلك مرةً أخرى.

الابن: أنا أكره ذلك الرجل.

الأب: كيف لك أن تتحدث على صديقي بهذه الطريقة، أريبتك

هكذا؟

الابن: الجو حار.

الأم: الجو بارد، ارتدي معطفك، أتريد أن تمرض؟

الغضب، الإحباط، الحزن، خيبة الأمل، الإحراج، الإحساس بالظلم، الغيظ والحنق، الخوف، اليأس، الإحساس بالعجز جميعها مشاعر سلبية يتعرض لها الأبناء ويفترضون أن آباءهم سيتفهمون هذه المشاعر ويتقبلونها ويشاركونهم إياها، ولذا فهم أول من يلقون بهمومهم بين أحضانهم، ولكن جهل الآباء باحتواء أبنائهم في هذه المواقف والتعامل السطحي مع مشاكلهم ما يصيب الأبناء بالإحباط وخيبة الأمل، ومرة بعد مرة فإنهم يلجئون إلى الصمت، ثم الهروب من أي مواجهة مع آبائهم، وحتى المشاعر الإيجابية كالسعادة والاستمتاع والتشوق لأمرٍ ما تحتاج أيضًا إلى التفهم والتحفيز والمشاركة.

في الكثير من الأحيان ما كان يثير إعجابي طريقة التعامل الراقى والودود بين الناس مع بعضهم البعض في الدول الغربية، وما كان يبهمني أكثر قدرتهم الهائلة على التعبير عن المشاعر، والبراعة في المدح والثناء ورؤية كل ما هو جميل حتى في الأشياء الصغيرة، ولقد لاحظت ذلك في كتبهم وأفلامهم وبرامجهم وتعاملاتهم المباشرة مما يعكس طريقة حياتهم.

لقد قرأت الكثير من الكتب العربية والأجنبية في مجالاتٍ شتى، فعلى الرغم من أن هناك الكثير من الكتب العربية القيمة للغاية، والتي لها وزنها بالفعل، إلا أنه يشوبها في كثير من الأحيان الجفاف وأحياناً القسوة في العرض، وكأنك تسير في صحراء جدداء، بينما تستمتع حين قراءتك لنفس الموضوع ولكن في كتاب أجنبي.

وتساءلت عن السبب الذي جعل بيننا هذا الفارق الذي ليس بالهين وإن اعتبره البعض كذلك، فوجدت أن السبب هو.. القدرة على التعبير عن المشاعر، فهم بارعون في ذلك، وفي المقابل فإن قدرتنا نحن على إظهار مشاعرنا ضعيفة للغاية حتى أنها تكاد عديمة القيمة بالنسبة إلينا، ولقد ترتب على ذلك إفساح المجال للنقد اللاذع والكلمات الفقيرة الوجدان، ولكن الحقيقة التي لا تقبل فصال أن الأفكار تمر على القلوب أولاً قبل العقول، ولذلك فحتى تقنع شخصاً ما عليك أن تخاطب مشاعره أولاً.

لقد وجدت أن تلك هي مشكلة جيل وثقافة اكتسبت نتيجة للتربية في الأصل، فالتربية لدينا تفتقر إلى هذه المهارة، بل بالعكس فهي قائمة

على قمع المشاعر وتجاهلها، وليس التعبير عنها سواءً كانت مشاعر إيجابية أم سلبية، ما انعكس بالتالي على تعاملاتنا الجافة مع بعضنا البعض، وقد أدى فقر المشاعر إلى فقر الكلمات أيضًا، ثم أدى فقر الكلمات إلى استحداث كلمات كثيرة دخيلة علينا ليس لها معنى، علّها تحل محل المشاعر التي افتقدت حتى الكلمات التي تعبر عنها، بالرغم من أن اللغة العربية من أكثر اللغات الغنية بالكلمات التي تعبر عن المشاعر.

إن هذا الموضوع ليس بالهين، فالتأثير سلبيًا على الأبناء خاصة والمجتمع عامة أصبح يزداد فشيئًا فشيئًا، فلك أن تتخيل أن لغة الود والحميمية بين الأصدقاء أصبحت الشتائم، واللغة السوقية التي أصبح لها مكان بين الشباب كلغة من لغات العصر والمرح والمزاح على كافة المستويات.

ولكن أما حان الوقت بأن نعيد النظر في طريقة التربية التي نربي بها أبنائنا، فتتعلم أن نصغي لمشاعرهم بدلًا من تجاهلها وكتبها.

أعلم أنه من الصعب تغيير الطرق التقليدية التي نتعامل بها مع أبنائنا، ولكن عندما نرى النتائج المذهلة التي أقر بها الآباء الذين غيروا طريقتهم في التربية، سنجد أن الأمر يستحق.

إن المطلوب هو أن نستمع للأبناء وننصت إليهم باهتمام، فلا نتجاهل مشاعرهم ونقل من حجمها، فمشاكلهم التي تعد بالنسبة إلينا أمورًا تافهة هي بالنسبة إليهم كبيرة بما يكفي لإحباطهم وحزنهم، وإن كنا نعتقد أننا بتجاهلنا يقل تركيزهم على مشاكلهم وتنتهي، ولكن ما يحدث في الحقيقة عكس ذلك فبالإضافة إلى تعاظم إحساسهم بالحزن والألم، فإنهم سيفضلون الابتعاد والصمت، وعدم مشاركة مشاعرهم مع أحد، أو البحث عن الشخص الخطأ لمساعدتهم.

إن الأمر أبسط مما نتخيل بكثير، فالأبناء لا يحتاجوننا أن نحل مشاكلهم، هم فقط يحتاجون للتعاطف الحقيقي، فأنا أشعر بما تشعر به، أنت لست وحدك، فيمكن إظهار تعاطفنا من خلال:

• الإنصات وابداء الاهتمام

• استخدام كلمات وإيحاءات الموافقة والتعاطف

• أعط لشعورهم اسمًا
• شاركهم الخيال الذي يطمنون

عندما نعط لهم الفرصة كي يعبروا عن غضبهم أو ارتباكهم أو إحباطهم دون أن نحجر على مشاعرهم فإننا نعطيهم الفرصة للتنفيس عما يخالجه من مشاعر سلبية، فيمكنهم ذلك من البدء من جديد، والتفكير فيما كان وماذا بعد.

الابن: باسل هذا ولدٌ بغيض، سأقطع صداقتي معه.
الأم: ماذا حدث، باسل أعز أصدقاءك، من المؤكد أنك ضايقته في شيء.

الابن: مدافعًا عن نفسه.. بل هو من أخطأ.. فقد أحجلني أمام مدرستي عندما ضحك عليّ وسخر مني أمامها.
الأم: أنتم أصدقاء.. لا تغضبوا من بعض من أجل تفاهات.
الابن: لن أكلمه أبدًا.. ويذهب الابن لغرفته وهو في غاية الغضب.

هذا الحوار تحاول الأم الإصلاح ولكنها تزيد الطين بله عندما تتجاهل مشاعر ابنها فتثير مشاعر الغضب عنده أكثر، ولكن يمكن بإعادة صياغة الحوار يمكن أن يختلف الأمر.

الابن: باسل هذا ولدٌ بغيض.. سأقطع علاقتي معه.

الأم: يا إلهي، أنت غاضب جدًا.

الابن: لقد سخر مني أمام مُدرستي.

الأم: جعلك ذلك تشعر بالارتباك والإحراج.

الابن: نعم.

الأم: تنصت في صمت

الابن: كان بإمكانني أن أرد عليه وأسخر منه أنا أيضًا، ولكنني راعيت

صداقته، أو كان بإمكانني أن أضحك معه كأن الأمر لا يعني.

يصمت الابن مفكرًا: أعتقد أنه لم يقصد أن يغضبني وظن أنه مزاحًا،

سأذهب له غدًا وأتحدث معه وأعلمه أن هذا الأمر أغضبني وأن لا

يعاود هذا المزاح الثقيل مرةً أخرى، فلا بد للأصدقاء أن يحافظوا على

مشاعر بعضهم البعض.

إن ما فعلته الأم هو الإنصات وإظهار التعاطف وإعطاء مشاعر الابن مسمىً قد لا يكون مدرِّكاً له، ولكنه يشعر بالراحة بأن شخصاً ما يشاركه مشاعره ويتفهمها، وفي نفس الوقت لم تقدم الأم أي اقتراحات أو حلول لمساعدته بل تركته ليحلها بنفسه.

إن فوائد هذه الطريقة كثيرة:

• فالابن يشعر بأن أمه تقدر مشاعره فتهدأ ثائرته.

• تنفيسه عن مشاعره، يصفى ذهنه وتفكيره، وتحفزه بأن يفكر في الحلول لمشكلته.

• يعلمه ذلك التعبير عن مشاعره واكتشافها.

• تجعله يتجاوز إحباطه وحزنه سريعاً ويبدأ من جديد.

• يتعلم كيف يتفهم مشاعر الآخرين ويقدرها وكيف يتعامل معها.

لقد جربت ذلك بالفعل مع ابنتي الصغيرة جنة، فابنتي عندما تغضب لا يثنيها أي من أنواع الإلهاءات عن غضبها، وأحياناً يتطور الغضب للعنف وخاصة مع أخيها، وذات مرة كان إخوتها وأبناء عمتها يلعبون وأرادت أن تلعب معهم، ولأنها مازالت صغيرة فرفضوا أن

تلعب معهم، فجاءت إلى غرفتي وألقت بنفسها على السرير غاضبة
بجانبي دون أن تقول شيئاً، فقررت أن أجرب معها هذه الطريقة.

فقلت لها: أرى أنك غاضبة يا حبيبتى.

فنظرت إلى وقالت: لا أحد يريد اللعب معي.

فتذكرت مشاركتهم بالخيال فيما يتمنونه فقلت لها: أتمنى أن يكون
هناك صديقات كثر لكي يشاركوك اللعب الآن.

فقلت: نعم ولكن ليس عندي هنا صديقات.

فقلت: هذا أمر يدعو للإحباط.

قالت: ليس عندي سوى صديقتي أرينا وهي ليست هنا.

قلت لها: كنت أتمنى لو كانت هنا لتلعب معك.

وبعد هذا الحوار مباشرةً ذهبت لتلعب بعدما نسيت أنها كانت
غاضبة منذ قليل.

مشهد يتكرر كثيرا

الابن: لقد أعطتنا مدرسة الفصل الكثير من الواجبات وما زال عليّ
أيضاً كتابة موضوع تعبير وحفظ قصيدة من الأسبوع الماضي، كيف

يتسنى لي أن أنجز كل هذه الفروض قبل صباح الغد، وإلا ستعاقبني..
هذه المدرسة ظالمة، فهي تكرهني.

الأم: ما زلت عائدة من العمل الآن محملة بالتعب والإرهاق
وتقابلني بالشكوى، أنت ولد مهمل وكسول، ولا عجب أن تعاقبك
المدرسة، اذهب وأكمل واجباتك وتوقف عن الشكوى.

ويذهب الابن إلى غرفته غاضبًا حانقًا حاملاً الشعور بالاضطهاد
والظلم من كل من حوله، ويرفض تناول العشاء، ويسود جو
الاضطراب في المنزل، وتشعر الأم بالندم، وتتساءل ماذا كان عليها أن
تفعل لتتلافى كل ذلك.

إن السبب وراء المعارك التي لا تنتهي هو أننا لا نحن ولا أبناؤنا قد
تعلمنا كيف نتشارك المشاعر مع الآخرين، بل إننا على الأحرى لا نعرف
حتى بماذا نشعر أو كيف نشعر، بينما إن استطعنا التواصل بلغة المشاعر
فلن نحتاج لا إلى الصوت العالي أو الجدل العقيم، وكلما تواصلنا بلغة
القلوب فلن نحتاج أبداً لجهدٍ يذكر لإقناع العقول.

فالابن لم يستطع أن يعبر لأمه عن مشاعر الخوف والقلق التي يشعر بها لكان أسهل على الأم أن تتفهم مشاعره وتتعاطف معه، ولقد كان من الممكن أن تتلافى الأم تلك الأجواء المشحونة بالمشاعر السلبية باحتواء ابنها بمجرد إظهارها له أنها تتفهم مشاعره المضطربة والمحبطة.

الابن: أمي.. أنا خائف من الذهاب غداً للمدرسة، فعلي أن أنتهي من الواجبات الكثيرة وحفظ القصيدة وكتابة موضوع تعبير طويل، مما يصيبني بالاضطراب وعدم التركيز.

الأم: أوه.. يا حبيبي.. أنت خائف من أنك لا تستطيع أن تكمل هذا الكم الرهيب من الواجبات قبل صباح الغد، ومن ثم تتعرض للإحراج والعقاب من قبل مدرستك.. لا عجب من شعورك بالخوف والإحباط.

هذا التفهم من الأم يعطي الابن الراحة والأمان تدفعه للتفكير في حل مشكلته وإنهاء فروضه قبل الصباح.

وعن تجربة مع أولادي فمجرد إزاحة الاضطراب والقلق عن الأولاد وطمأننتهم بأننا بجانبهم يجعلهم يصنعون المعجزات.

فقد عاصرت تجربة مع ابنتي في أول مادة من اختبارات نهاية العام الدراسي الثاني لها في الجامعة، فابنتي في كلية الحقوق وهي والله الحمد معتادة على التفوق، ووالدها يعقد عليها آمالاً كبيرة، ونتيجة لظروف ما وصعوبة المادة مع تأخير استلام الكتاب خلال السنة أخفقت في الحل فيها، وفي العادة كان والدها من يحضرها من الامتحانات وخاصة في اليوم الأول، وهو في الأصل من النوع القلوق، وكالمعتاد كان دائماً ما يراجع معها المواد القانونية التي هي باللغة العربية بحكم أنه المجال الذي يعمل به، فكان إخفاقها في أول مادة صدمة كبيرة له مما انعكس على ردة فعله بخيبة الأمل بدون قصد، وخاصة وأن تقديرها في الترم الأول كان ممتازاً فكيف حدث ذلك.

لا أستطيع أن أصور لكم كم انكسار وحزن وإحباط ابنتي، ليس فقط من إخفاقها في أول مادة، بل كان الأهم بالنسبة لها نظرة خيبة الأمل في عين والدها.

كانت هذه الحادثة كفيلة بإخفاقها في باقي المواد وبالتالي ضياع الترم الثاني منها وضياع تقدير السنة كاملة، فقد اهتزت ثقتها بنفسها بعنف،

وأخذت بتهديتها وتقوية الثقة بنفسها مرة أخرى، ولكن لم تتوقف عن البكاء وتهدأ إلا عندما دخل والدها وأخذ بتهديتها بنفسه، وأنه يعلم كم هي حزينة وأنها لم تقصر، وأنه لم يفقد ثقته بها أبداً، فكانت كلماته ونظراته الحانية لها كفيلة بأن تخرجها من غضبها وإحباطها لكي تصبح شعلة حماس في باقي المواد وأن تحصل على تقدير جيد جداً مع وعد ببذل أقصى جهد لها في السنين اللاحقة.

إن ما نحتاجه هو أن نتعلم نحن كيف نستمع ونتعاطف مع مشاعر الأبناء، ويتعلم أبنائنا أيضاً كيف يعبرون عن مشاعرهم التي يشعرون بها، فالإنصات والتعاطف هو ما يقدمه الأطباء النفسيون لمرضاهم، فهم يقدمون الشفاء لمرضاهم بإبراز مشاعرهم الكامنة بداخلهم والتي يجهلونها أو لا يجدون مسمى لها أمامهم، فالمرء عندما يدرك مشاعره فإنه يستطيع أن يتعامل معها، وأن يجمع طاقته للتفكير والنظر إلى الحلول لمشكلته والبدء من جديد، بينما الاستمرار في كبت المشاعر وتجاهلها هو ما يتسبب في الغضب والانفعالات العاصفة وإلقاء اللوم على الآخرين

والتصرفات غير المفهومة وغير المسئولة في نفس الوقت، سواءً مع الكبار أو الصغار، وتظل المشكلة دون حل بل وتتفاقم أيضًا.

إن الأبناء عندما يتعرضون لفورات الغضب فإنهم يفقدون القدرة على الإصغاء أو الانتباه أو حتى التركيز، ولذا فلن تفيد النصائح أو المحاضرات أو حتى محاولة المساعدة باقتراح الحلول، ولكن يستطيع الآباء المساعدة ليس بالتركيز على السلوكيات ولكن بالتركيز على المشاعر التي وراء هذه السلوكيات، فتوجيههم للمشاعر السليمة بالتقبل والتفهم من شأنه مساعدتهم على التفكير السليم، ومعرفة ما يحتاجون إليه.

ولعل أقرب ما يصور الأمر مثال المرأة، فكما نحتاج لمرأة تعكس مظهرنا الحقيقي أمامنا لنعدل هندامنا، وما بدا لنا من عيوب، نحتاج أيضًا لمرأة تعكس المشاعر والأحاسيس التي تختلج قلوبنا لنعدل مزاجنا ونضع أيدينا عما بدا من خطأ ثم نبحث عن الحلول، وما نحتاج إليه كبالغين هو أيضًا ما يحتاج إليه الأبناء على مختلف أعمارهم.



العند والرفض والتمرد

"دعهم يعارضون"

عندما قامت الثورة في البلدان العربية وبالأخص في مصر، قام العديد من المحللين السياسيين في العالم بتحليل الأسباب التي أدت لهذا الغليان الذي قلب الموازين، وبالرغم من الكثير من الأسباب التي أدت إلى ذلك إلا أن الخطأ الأكبر الذي وقع فيه الحكام العرب كان في القاعدة التي وضعوها منذ مئات السنين وهي ((ليس لك الحق في الاعتراض أو أن تقول لا))، وقد عجت السجون بمن كان يخالف تلك القاعدة.. أما في مصر وإن كان الأمر يأخذ منحىً مختلف فلك الحق أن تعترض ولكن لا تنتظر من ينصت إليك، فأصبحت الشعوب مثل القنابل الموقوتة التي انفجرت في حكوماتها من دون سابق إنذار.

إن الكثير من الآباء يتحIRON بين أسلوبين في التربية.. أسلوب إما الطاعة أو العقاب والضرب، فهناك دائماً رئيس وهو المتحكم في الأمور

وهما الوالدان، وهم يعتقدون أن الاستماع للأبناء والتساهل معهم يفسدهم.

والأسلوب الآخر وهم الآباء الذين قرروا الاستسلام لرغبات أبنائهم وتجنب مواجهتهم وإغضابهم، رفضًا منهم لأسلوب القسوة في التربية.

وكلا النوعين من الآباء يحبون أبنائهم ولا يعرفون الأفضل كي يقدموه، فأسلوب القسوة وإن كان يجدي بالأمر فإنه لا يجدي مع أبناء اليوم، فأبناء اليوم أكثر حساسية وتقلبًا وانفتاحًا من أبناء الأمس، ولذا فهم لا يتقبلون أي من أنواع التسلط، فيلجئون إلى التمرد والعناد، أو يدعن له بعض الأبناء فيصبحون ضعاف الشخصية خاضعين.

وأسلوب التساهل والتسامح والرضوخ لرغبات الأبناء لا يجدي أيضًا لأنه يجعل السلطة في أيدي الأبناء ويضعف سلطة الآباء، بينما يكون الأبناء غير مستعدين لتحمل المسؤولية، فيربي أبناءً أنانيين ومتسلطين.

إن الأبناء يحتاجون إلى آباء أقوياء يعرفون ما هو الأفضل لأبنائهم، وفي نفس الوقت فهم يستمعون لأبنائهم ويتفهمون احتياجاتهم، ويسمحون لأبنائهم بالاعتراض والمقاومة أحياناً، ولكن يعرف الأبناء أن السلطة والكلمة الأخيرة للوالدين، ولهم في النهاية أن يقرروا أن ينفذوا قرارهم أم يقبلون بالتغيير إن كان للأبناء وجهة نظر أو فكرة جيدة.

إن السلطة التي تحمل المرونة والإنصات بين طياتها تشعر الأبناء بالأمان، وتحرر من تبعات المسؤولية التي في غير محلها، أو التي لم يمهد لها الطريق بعد.

لقد اتبع زوجي ذلك الأسلوب مع الأولاد عند احتدام الأمور، فلهم حرية المناقشة والاعتراض ثم تكون الكلمة الأخيرة بعد الاستماع ولا معقب، ولا ضير من الأخذ بمن لديه فكرة تغير مجرى الأمور، أو من يستطيع إقناعه بتغيير رأيه وإن كانت جنة ابنتنا الصغيرة ذات الخمس سنوات.

أحيانًا كثيرة كان أبنائي يعترضون على قرارات والدهم، وأحيانًا أخرى يغمغمون ممتعضين، ولكنهم مع الأيام يعترفون بفضل قرارات والدهم في النهاية، ويحمدون الله على أنه اتخذ عنهم القرار الذي رآه الأفضل لهم.

لقد كانوا يعترضون في صغرهم ويثور غضبهم إذا رُفض لهم طلبًا، ولكنهم تعلموا الآن كيف يعرضون طلبهم في هدوء، وكيف يتقبلون قرارات والدهم في رضا حتى وإن كان ذلك ضد رغباتهم، فأسلوب التربية على الاستماع مع الامتثال لقيادة الوالدين استطاع أن يعطيهم المرونة وتقبل الحدود وهم يعلمون أن من وضعها هما والدان محبان ومتفهمان، بل إنه استطاع أن يعطيهم النضج الذي جعلهم يفكرون في رغباتهم أولاً، ثم يقررون ما يحتاجون إليه بالفعل وما في صالحهم وما يضرهم فأصبحوا يتخذون قراراتهم بأنفسهم.

فعلى سبيل المثال الخروج مع الأصحاب هو من أحب الأشياء إليهم، وكثيرًا ما كانوا يطلبون من والدهم الموافقة عليها، ومن الطبيعي أن يُقبل طلبهم أو يُرفض بناءً على الوقت والمكان المناسبين، في السابق كانوا لا

يتقبلون الرفض، ولكن الآن أصبحوا هم من يرفضون اقتراحات أصحابهم للخروج طالما يتعارض مع الوقت أو المكان المناسبين. فالأبناء يحتاجون إلى أب قوي يستمع ثم يقرر ما هو الأفضل يرفع شعار "لك الحق في الاعتراض، ولكن لا تنس أن هناك قائدًا"

إن هذا الأسلوب من التربية الإيجابية مهم وضروري لنمو الأبناء فهو يحقق الفوائد التالية:

1. تجربة المقاومة والرفض تعلم الأبناء أن هناك حدودًا وحواجز يجب تقبلها والتكيف معها، ما لا يوفره أسلوبا القسوة أو التساهل.
2. التعايش داخل تلك الحدود يعلمهم احترام الآخرين دون إنكار أو رفض أنفسهم.
3. يتعلم الأبناء الذين يتربون على أسلوب التعبير عن الرفض والمقاومة ثم التخلي عنه كيف يؤجلون إشباع رغباتهم، فهم لا يثورون عند عدم تحقيق أهدافهم، وفي نفس الوقت لا يتخلون عن أحلامهم، فهم يثابرون من أجل تحقيقها ولكن بهدوء واستمتاع، فذلك يمنحهم

المرونة وتقبل العقبات والمحاولات المستمرة لتجاوزها دون تدمير، ما يجعلهم أكثر الأشخاص نجاحًا في حياتهم العملية.

4. تعلمهم مهارات التفاوض.

5. يتعلمون مهارة الاستماع والانصات للآخرين، وكيف لهذه المهارة من قوة للحد من رفض الآخرين ودفعهم للتعاون، فكما يعاملون في الصغر يتعاملون في الكبر.

6. إنصات الآباء لأبنائهم تعلمهم القدرة على إدراك ما يحتاجون بالفعل وليس ما يريدون فقط.



المقارنة مع الآخرين

"تقبل اختلافهم"

تحكي أم:

كنت الابنة الوحيدة لوالدي، فقد مات أبي وأنا في العاشرة، وقد كنت طفلة هادئة ومطبعة ومتفوقة فقد كنت الأولى على مدرستي، بعد تخرجي تعينت مهندسة كهرباء، ثم تم تعييني في مكان مرموق، وتزوجت بعد تخرجي من زميل لي ميسور الحال، ظروفه مناسبة، ووالداه محترمان فأنا شخصية عقلانية ومنهجية ولست عاطفية.

زوجي شخص عاطفي جداً كان يغرقني بالمشاعر التي لم أكن أعرف كيف أستقبلها، أنجبت رقية، ورقية مثل والدها عاطفية جداً، لذلك كانت الأقرب لأبيها دائماً ما كانا يتبادلان الأحضان والحركة والأحاديث، ودائماً ما كرهت ذلك، حتى أن زوجي بدأ يزهد مشاعري المتجمدة، ثم أنجبت ريهام التي حملت صفاتي العقلانية والتحدث

بحساب، أصبحت الأقرب لي والمحبة عندي، بينما كرهت شخصية رقية في داخلي، كنت كثيرة الانتقاد لها ومقارنتها بأختها ريهام بعقلها ورزانتها حتى أنها كرهتني وكرهت نفسها، أما زوجي فكان أميل لرقية ويصفني بالجفاء العاطفي.

ولكن فجأة.. مات زوجي في حادثة، فكانت صدمة كبيرة لي وتذكرت جفائي معه، أما رقية فقد انهارت تمامًا، ومن بعدها أصبحت في انعزال، ثم أصبحت فاقدة السيطرة على تهورها واندفاعها حتى أنها هددت بترك البيت ثم رحلت فعلاً بعدما قالت كلاماً عصيباً فقد قالت: "أنت لم تحبينني يوماً، ولم تطيقيني أبداً"، كانت كلماتٍ صعبة جداً جعلتني أبكي بحرقة، وظللت أبحث عنها إلى أن اتصل بي والد صاحبته وطمأنني بأنها مع ابنته، ظللت أسأل نفسي: لماذا تنفر مني هذه البنت، فأنا لم أهنأها أو أضربها إلا نادراً، أنا فقط حازمة معها.

طلب والد صديقتها أن يتحدث إليّ فهو طبيب نفسي.

فقال لي: إن رقية محبة للأحضان، وأنها تفتقدني وتشعر بكراهتي لها وتفضيلي لأختها ريهام عليها.

فقلت له: طبعي لأن ريهام أعقل.

قال لي: رقية مختلفة عنك، أحبي اختلافها، أولادنا ليس من الضروري أن يشبهونا، الحياة تحتاج الجميع، ورقية مشوهة النظرة لنفسها وتقول إنك لا تحبينها.

في الحقيقة لم أقتنع وبمجرد أن عادت أعطيها محاضرة طويلة في الأدب، لاحظت من بعدها أنها أصبحت انعزالية أكثر، دخلت عليها يوماً وجدتها تتحدث إلى شاب فأخذت منها الهاتف وأخذت أدعو عليها وضربتها، فنظرت إلى بلا بكاء وقالت: أنت دائماً لم تحبيني، ودائماً ما تشعريني بأني جئت لهذه الدنيا بالخطأ وبأني سيئة لأنني لست مثلك، وكذلك كان حال أبي معك من قبل، يا ليتني أموت مثل أبي.

لا أنكر أن اهتزت مشاعري ولكني قلت لها: هكذا تبررين قلة أدبك.

فصاحت: هذا الكلب الذي أكلمه هو بالفعل كما تقولين ولكنه على الأقل يشعرني بأني مهمة وجميلة ولست فاشلة ومتخلفة.

كل ما كنت أفكر فيه هو.. ما فائدة هؤلاء العاطفيين غير أنهم عبء على العقلانيين، هي وأبوها شخصيات مريعة.

ومضت حياتنا في صراع، ثم اتجهت للتدين بالجامعة وكفت عن التجرؤ علي ولكن بنفس البعد عني.

إلى أن تزوجت بمندوب مبيعات وكان شخصاً عاطفياً مثلها، أما ريهام فتزوجت بأستاذ في الجامعة، وأصبحت وحدي وأصبت بمرض السرطان وكانت ردود ريهام العقلانية: اهدأي، تجلدي.

أما رقية فكانت تبكي من أجلي، وعند مواعيد الطبيب كانت رقية تحمل ابنها الرضيع وتأتي إليّ بسيارة زوجها قبل الموعد، أما ريهام فتعتذر لأنها لديها تعب الحمل، وبعد ذلك لأنها لا تستطيع أن تخرج بابنها الرضيع فهي تفكر بعقلانية.

أول مرة بحياتي وأنا مريضة بالسرطان أعرف أن العواطف لها قيمة، وأن حضن رقية يهون عليّ آلامي رغم أنني لم أحبه يوماً.. أشعر وأنا في الخمسين أنني طفلة.

زوجها يقول لي من قلبه: سلامتك يا ماما.

كيف كرهت هذه المشاعر، كلاهما عطوفٌ جدًّا.

ريهام حزينة لكن دعمها بحساب.. تمامًا مثل شخصيتها.

أما رقية وزوجها دعمهما وعطفهما بدون حساب، بكيت من قلبي وتذكرت سابق حياتي، واحتضنت رقية.. كم هو جميلٌ حضنها.. بكينا سوياً، دعوت الله من قلبي أن يشفيني ويمنحني العمر كي أسعد بابتني المختلفة عني، وبالفعل استجاب الله لدعائي وشفائي، ومن لحظتها ولم نفرق أبداً أنا ورقية، أشعر أنني اكتشفت كنزاً.. كلامها يؤنسني، وحضنها يهدئي، أنا ورقية نعيش أسعد أيامنا.

إن كل طفل له صفات متفردة تميزه عن غيره، وما يحبط الآباء هو عندما يخالف الأبناء ما يتوقعونه منهم، غير أن لكل طفل مواهبه وملكاته وما يترتب عليها من احتياجات خاصة، ومهمة الآباء هي إدراك هذه الاحتياجات وإشباعها.

إن هذا التفرد هو ما يجعلنا ندرك أنه لا يوجد هناك طفل أفضل من الآخر، وهو أيضاً ما يجعلنا نتقبل أبناءنا على اختلافهم، فعدم تقبل هذه

الفكرة تجعلنا نتعامل مع أبنائنا وكأن بهم عيباً ما مطلوب الإصلاح وهي نفس الرسالة التي تصل للأبناء بأنهم سيئون وبهم خطأ ما حينما يعجزون عن إصلاحه فهم إذن أشخاص مرفوضون، فكأنما نصر على شجرة التفاح أن تطرح عنباً فإذا لم تطرح عنباً فيكون بها خطبٌ ما.

عندما يدرك الآباء هذه الحقيقة فإنهم يستطيعون التعامل مع أبنائهم بصبر وحكمة أكبر عندما يفهمون طبيعتهم، فلا يتسرعون بالمكافأة أو العقاب، بل باستخدام الأسلوب المناسب مع شخصيات أبنائهم.

فتورة عارمة وهياج خمدت بمجرد أن أخذت ابنتي بين أحضاني في لحظة غضب، وقصة خيالية استطاعت أن تجعل ابنتي الصغيرة أن تجلس في هدوء لتصفف شعرها، وبيعض الحديث المنطقي عن أهمية إكرام الضيف غير ابني وجهته ورغبته في المكوث واللعب في المنزل للخروج مع الضيف للتنزه خارجاً.

إن وعي الآباء بهذا الاختلاف يجعلهم يساعدون أبنائهم على إبراز مواهبهم ونقاط قوتهم، والتغلب على نقاط ضعفهم، ولقد أعجبنى تقسيم د. جون جراي لاختلافات الأبناء في كتابه "الأطفال من الجنة".

الاختلاف على أساس الطباع

يقسم الأبناء على أساس الطباع لأربعة أنواع: الحركيون النشطون، مرهفو الحس، سريعو الاستجابة، المتفتحون، وبالرغم من أن جميع الأبناء يحتاجون إلى التفهم والتعاطف والاستماع والروتين والقواعد والحدود إلا أن هناك من الأبناء من يحتاجون أكثر من غيرهم إلى الاستماع والتعاطف أو إلى الحدود والقواعد أو إلى الروتين والتكرار أو للإلهاء، وهذا التقسيم يساعد على تفهم شخصية الأبناء ومساعدتهم، وكيفية التعامل معهم وتجنب المصادمات وإبراز نقاط قوتهم ومواهبهم، وقد يجمع الأبناء بين نوعين من هذه الأنواع.

الحركيون النشطون

دائمًا متحفزون ويميلون للحركة والقيادة، ولديهم الكثير من الطاقة ويجبون أن يكون لهم تأثير على الأمور من حولهم، ويصبحون متعاونين ومتجاوبين عندما يعرفون ما يقومون به أو أن يكون لديهم خطة، فهم يحتاجون للتنسيق المسبق من خطة وقواعد وحدود ومعرفة من هو

الرئيس وإلا سيخرجون عن السيطرة ويقاومون السلطة، وهم يحبون أن يكونوا مركز الاهتمام.

والأطفال النشطون يميلون للسيطرة والسلطة ويريدون أن يكونوا دائماً على صواب، ولذا فالطفل النشط على استعداد أن يكون قائداً ناجحاً، وفي نفس الوقت فهو يحترم القائد الكفء، ولذا لا بد من وجود الأب القوي الوثاق من نفسه وليس الأب الضعيف المتردد.

ولأن لديهم الكثير من الطاقة فهم يشعرون بالإحباط إذا جلسوا بلا عمل لفترة طويلة، فمن الأفضل أن تحملهم المسؤوليات كلما أمكن، فهم دائماً بحاجة إلى أن يشعروا بأن الآخرين يحتاجون إليهم ويثقون بهم، ويخرجون أفضل ما لديهم عندما تضعهم موضع قيادة مع إرشادات واضحة، وهم يتعلمون عن طريق ارتكاب الأخطاء، ويحتاجون دائماً للتقدير وغفران أخطائهم.

لقد كان لزوجي صديق يعمل لواء في الشرطة وقد تطرقا ذات مرة للحديث عن تربية الأولاد وشرح له زوجي كيف تراجع عن فكرة

السفر من أجل ولدنا عبد الرحمن، فهو يحتاج لأب قوي يفرض القواعد وإلا خرج عن السيطرة.

فأشار عليه الرجل بأن يدخله كلية عسكرية، وقال له: لقد كان ابني صعب المراس مثل ابنك تمامًا ولقد تعبنا من الفشل في التعامل معه، إلى أن أدخلته كلية الشرطة، فتحول إلى شخصٍ آخر ذات هبة متحمل للمسؤولية، وأصبح قائدًا متميزًا.

لقد وفق الأب باختيار هذه الكلية المناسبة لطبيعة ابنه والتي استطاعت أن تطوع طبيعة هذا الابن النشطة إلى شخصية قيادية ذات كفاءة، فقد كان هذا الابن يحتاج إلى القواعد الصارمة، والقيادة الحكيمة الواثقة إذ لم يستطع البيت أن يوفرها له.

إن الأبناء النشطين يحتاجون إلى:

- أن يكون هناك قواعد وخطة مسبقة وحدود.
- التذكير دائمًا بأنك القائد والتأكيد على عبارة "أنا أريد منك كذا..."

- الطفل النشط بحاجة لأن يكون قائدًا ناجحًا.

- الأب القوي الواثق من نفسه غير المتردد.
- لا تسألهم بشكل مباشر عما يعتقدون أنه الأفضل، بل قرر أنت ما الواجب عمله مع تقدير اقتراحاتهم، وتذكر أنهم يتبعون القائد الكفء.
- أن يشعروا بأن الآخرين يحتاجون إليهم ويثقون بهم.
- أن تحملهم مسؤولية ما فذلك يكون بمثابة حافز لهم.
- استخدامهم في موضع القيادة مع إرشادات واضحة يحفزهم أن يخرجوا أفضل ما عندهم.
- تقدير نجاحاتهم وإنجازاتهم.
- التسامح والصفح عن أخطائهم.
- التعلم عن طريق العمل ومشاركة الآخرين وعن طريق ارتكاب الأخطاء، وليس عن طريق الاستماع للمحاضرات والمحادثات الطويلة فهي بمثابة نوع من العقاب لهم وتؤدي إلى نتائج عكسية.
- لا تتوقع بأن أن يقوموا بالعمل المطلوب منهم مباشرةً ولذا إذا أردت أن يستجيبوا لك في أمرٍ ما فعليك بالتالي: تقدير ما يقومون به "أرى أنك تلعب"

الطلب المباشر "وأريد منك أن تنظف غرفتك الآن"
إذا لم يستجب فكرر ما تريده برسالة حازمة ولكن هادئة
ثم قم بالبدء بالعمل وادعه لمشاركتك وادخل بالتفاصيل مباشرة
وافترض موافقته "دعنا نبدأ بتنظيف هذا الجزء من الغرفة أولاً"
فمشاركتك إياه تحفزه على العمل.

• نظام الاستبعاد المؤقت يكون فعالاً معهم بشكل كبير.
إن الابن النشط يحتاج للاحتواء والتقدير، ولأنه مفعم بالطاقة فإنه
يصاب بالإحباط إذا اضطر أن يجلس لفترة طويلة من دون عمل شيء،
وإذا لم يتم تصريف هذه الطاقة بشيء مفيد فسيثير المشاكل.
ولأنهم يتعلمون عن طريق ارتكاب الأخطاء فهم بحاجة للمساعدة
والصفح عن أخطائهم وإلا سيتوقفون عن التعلم والنمو.
وعندما يتم استيعابهم فإنهم:

- يخرج منهم القادة والعظماء.
- يصبحون أكثر حساسية وتعاطفاً مع الآخرين.
- يتعلمون تحمل المسؤولية ويمكن الاعتماد عليهم.

مرهفو الحس

هم الأبناء الأكثر حساسية للانتقاد والتجريح، وهم يحتاجون أكثر من غيرهم للفهم والاستماع، ومن صفاتهم أنهم كثيرون الشكوى، والأكثر قدرة على التعبير عن مشاعرهم، ومن غير المريح لهم أن تحاول إسعادهم، فأي محاولة لإسعادهم أو الإيحاء إليهم بأن الأمر بسيط يزيد الأمور تعقيداً ويجعلهم أكثر مقاومة، وبمحاولتك بصرفهم بالتركيز على الأمور الإيجابية تجعلهم يصرفون تركيزهم بصورة أشد على الأمور السلبية كمحاولة لإيصال مشاعره والتأكيد عليها، وهم يقاومون العلاقات والصدقات الجديدة، ويحتاجون لمزيد من الوقت لتكوين علاقة ومساعدتهم على خلق فرص جديدة للتعرف على الآخرين، وعند جرح مشاعرهم أو خيانتهم فهم يشعرون بالأسى الشديد لدرجة لا يستطيعون معها التسامح والنسيان بسهولة، ويتطلب من الآباء مع طبيعة هؤلاء الأبناء تعليمهم مهارة التسامح والتأكيد عليها، فمن خلال تفهمهم والاستماع إليهم تزيد قدرتهم على مواجهة إحباطات الحياة، والقدرة على التسامح.

إن الأبناء مرهفو الحس يحتاجون في التعامل معهم إلى:

• الاستماع والتفهم وسماع عبارات التعاطف مثل إنني أتفهم شعورك بالإحباط، أعرف كم كنت متعلقًا بهذا الأمر، أقدر شعورك بالحزن.

• الكف عن محاولة حل مشاكلهم.

• إشعارهم أنهم لا يعانون وحدهم.

• يحتاجون لرسائل واضحة بأنه لا بأس بأن يشعرون بمشاعر سلبية.

• أعط لهم المساحة والوقت للشعور بالتحسن ولا تصر على أن الأمور بخير ولا داعي للمشاعر السلبية فهم يحتاجون للمزيد من الوقت للشفاء من جروحهم.

• عندما يشعرون بتحسن لا تعر الأمر اهتمامًا بقولك مثلاً "ألم أقل لك" أو تشعره بأنه كان هناك خطأ ما به والآن هو بخير.

فإذا لم يستطيع الآباء احتواء أبنائهم مرهفي الحس وتفهم طبيعتهم فإنهم يستغرقون في مشاعرهم السلبية والتفكير بعمق بمعاناتهم، والميل

للشعور بأنهم ضحايا ويستغرقون في شعور الشفقة على أنفسهم،
ويفترضون الإهمال من حولهم وبأنه لا أحد يشعر بهم.

هؤلاء الأبناء تظهر مواهبهم في:

- أنهم أكثر الأشخاص مراعاةً لشعور الآخرين.
- لديهم قدرات كبيرة على التواصل.
- عطوفون ورفيقون، ومتعاونون ويحبون مساعدة الآخرين.
- مبتكرون ومبدعون ودقيقو الملاحظة.

وهؤلاء الأبناء يحتاجون لأصدقاء يشبهونهم في الطباع، وتعد تربية
الحيوانات الأليفة نشاطًا مناسبًا لهم.

سريعو الاستجابة

هم الأبناء سريعو الانفعال، وهم أشخاص اجتماعيون، يحبون
تكوين الصداقات الجديدة، ويكونون متحمسين دائمًا للتجارب الجديدة

والأشياء الأكثر إثارة، ويجبون الخروج في الأماكن المفتوحة، ويتشتت انتباههم بسهولة.

وهم يميلون للمرح والدعابة، والتحدث كثيرًا، ويجبون الجميع ولا يحملون الضغائن لأحد، تعد الفوضى والانفعالات المتضاربة جزءًا من حياتهم.

يحتاج الأبناء سريعو الاستجابة إلى:

- المزيد من الحرية لعمل الأشياء بأنفسهم.
- إتاحة الفرصة لخوض التجارب الجديدة.
- الإلهاء في حال المعارضة والمقاومة ثم التوجيه لنشاطٍ آخر.
- التنوع بين الأنشطة بين الغناء والموسيقى والرسم وممارسة الرياضة وغيرها.
- قراءة القصص تعد مفيدة جدًا في الإلهاء للأطفال سريعو الاستجابة.

• تحتاج أن تطلب منهم الأمر مرارًا وتكرارًا حتى يستجيبوا لك.

هذا النوع من الأبناء سريعو الغضب والانفعال ولكن من المفيد معه استخدام أسلوب الإلهاء ثم توجيهه مرة أخرى.

أتذكر ابنتي حورية عندما كانت في الثالثة من عمرها عندما كانت تدخل في نوبة غضب فكنت أستخدم أسلوب الإلهاء معها بأن أقول لها: انظري إلى هذه العصفورة فوق الشجرة، انظري إلى هذه السيارة الزرقاء فقد كان ذلك كفيلاً بأن يجعلها تكف عن البكاء وتبدي اهتماماً كبيراً، في حين أنني استخدمت ذاك الأسلوب مع ابنتي الصغيرة جنة فلم يجدي نفعاً حيث إنها تميل للأطفال النشطين أكثر.

إن الأبناء سريعو الاستجابة إذا لم يتم تفهم طبيعتهم فإنهم سوف يشعرون بالارتباك عند زيادة مسئوليات الحياة ويميلون لعدم تحمل المسئولية.

أما عندما يحتويهم الآباء ويعطونهم الدعم المناسب لطبيعتهم فإنهم:

- يصبحون أقوياء.

- قادرون على تحمل المسئولية وعلى التركيز.

- واثقون من أنفسهم وقادرون على توجيه أنفسهم.

• قادرون على تحقيق أهدافهم بجدارة.

عندما قرأت صفات الأبناء سريعو الاستجابة وجدتها جميعاً تنطبق على ابنتي حورية وهي صغيرة، إلا أن صفات شخصيتها الآن وهي في التاسعة عشرة من عمرها بها كثير من الاختلافات التي جعلتني أشك في هذا التصنيف بالنسبة إليها، فهي الآن واثقة من نفسها، متحملة المسؤولية بشكل كبير، وبالرغم أنها كانت تعاني من عدم التركيز في الماضي إلا أنها استطاعت التغلب على ذلك ما يظهر من تفوقها الدراسي حالياً، واستطعت التوصل إلى أنه عندما يتم تفهم طبيعة الأبناء واحتوائهم فإنهم يستطيعون التغلب على التحديات الكامنة بشخصياتهم واجتيازها وإخراج أفضل ما لديهم.

المتفتحون

يهتمون بطريقة سير الأمور والأحداث المتوقعة وكل ما سيطراً من تغييرات، وهم أكثر الأطفال مقاومةً للتغيير، ولذا فهم يقاومون المواقف الجديدة التي لا يعرفون ما يتوقعونه منها، وقيمون أنفسهم على أساس

ما يتوقعون حدوثه، وعامل الوقت مهم بالنسبة إليهم، وهم أكثر الأبناء طيبة ومراعاةً لشعور الآخرين، وهم لا يستطيعون اتخاذ قرارات سريعة، ويجبون أن تخبرهم بما يجب فعله لا أن تسألهم ماذا يريدون، لا يتحركون كثيرًا مثل باقي الأطفال، ويستغرقون في أحلام اليقظة، لا يمكنهم توجيه أنفسهم، ولا يمكنهم الابتكار والإبداع، ولكنهم بحاجة لمن يخبرهم ماذا يفعلون، وأنه قد حان الوقت لعمل شيء آخر، وهم يفضلون الجلوس والراحة والاستمتاع بالطعام والنوم ومشاهدة الآخرين ولا يحبون المخاطرة بما يفسد راحتهم أو متعتهم، ويشاركون عن طريق الملاحظة والمراقبة.

والأبناء المتفتحون يحتاجون إلى:

- الروتين والتكرار والتناسق.
- الوقت لعمل الأشياء بنظام، فهناك وقت محدد للطعام، ووقت للاستذكار، ووقت للعب، ووقت للنوم.
- جملة "قد حان الوقت لـ" تطمئنهم بأن الأمور على ما يرام.
- لا يحبون من يدفعهم أو يستعجلهم لعمل الأشياء.

- الاطمئنان بأن الأشياء خطط لها سابقًا.
- عندما يبدأون شيئًا فهم يحبون الاستمرار فيه للوصول لأدق التفاصيل، ولا يحبون المقاطعة ويقاومونها في هدوء وصمت لأنهم لا يحبون إثارة المشاكل.
- يخافون بشدة من الرفض، أو إحباط والديهم.
- يحتاجون إلى طقوس مكررة ومستمرة لتشعرهم بأنهم محبوبون ومميزون ولا يشترط أن تأخذ وقتًا طويلًا، فهم يشعرون بالتقدير بهذه الطريقة، فقد تكون نزهة قصيرة مع أحد الوالدين كافية، وقد تكون قصة قبل النوم، قد يكون اشتراك العائلة في حوار عائلي محدد بوقت أو لعبة يتشاركونها كل يوم.
- ولقد اعتاد والدي أن يصطحبني في أماكن كثيرة وأنا صغيرة، كالمرح أو عندما كان يذهب لأصدقائه، وكنت أحب صحبته دائمًا.
- كثيرًا ما يتم إهمال هؤلاء الأطفال بسبب هدوئهم الشديد، وتساهلهم وعدم كثرة طلباتهم، فهم قليلًا ما يعارضون أو يرفضون، ولذا فهم بحاجة لتحفيزهم برقة وهدوء لعمل الأشياء وتحديثهم لإنجازها.

إن هذا النوع من الأبناء لا يشعر بالأمان إلا من خلال الروتين والنظام، فلا بد أن تعطيه مهمة محددة وعندما لا يرغبون في المشاركة لا تجبرهم وتذكر أنهم يشاركون بالمشاهدة والملاحظة فقد يشاهدون الأمر كثيرًا ثم تجدهم فجأة يقومون به.

عندما يتم تفهم طبيعة الأبناء المفتحين ويحصلون على التناسق الذي يحتاجون إليه في حياتهم فإنهم:

- يستطيعون تنمية قدراتهم التنظيمية بشكل هائل.
- كونهم مسالمين وعمليين يساعدهم على التغلب على عقبات كبيرة لتحقيق أهدافهم.
- يكون لديهم القدرة والموهبة لتهدئة الآخرين الذين يحتاجون إلى دعم.
- يتحركون ببطء ولكنهم ثابتون وأقوياء متحديون في غير استسلام.

الاختلاف على أساس النوع

كثيرًا ما تصرّح الأمهات بأن تربية الأولاد أصعب من تربية البنات، وبالفعل فإنه من الطبيعي أن توجد الاختلافات بين طبيعة الأولاد والبنات، ولكن جهل الأمهات بطبيعة أبنائهم هو ما يجعلهم يظنون بأن التعامل مع أبنائهم الصبيان أصعب من البنات، ففي الغالب تفهم الأم طبيعة بناتها بالفطرة لأن أقرب إليهن في الطباع، بينما يحدث التصادم بينها وبين أولادها أو حتى بينها وبين زوجها لجهلها بطبيعتهم واختلافاتهم، فعلى الرغم من أن جميع الأبناء يحتاجون للرعاية والاهتمام والثقة والاستماع والتفهم ولكن القدر الذي يحتاجه أيًا من الجنسين يختلف وطريقة استقبالهم لحب والديهم يختلف أيضًا، وهذا الاختلاف يظهر بصورة أكبر في مرحلة المراهقة حيث مرحلة الإحساس بالذات واتجاه الأبناء نحو الاستقلالية.

الأولاد يحتاجون للثقة والبنات يحتجن للرعاية

إن الأولاد يختلفون عن البنات في طريقة استقبالهم لحب آبائهم وتواصلهم معهم خاصةً في مرحلة المراهقة فالأولاد يحتاجون لثقة

آبائهم وإعطائهم مساحة أكبر من الحرية، ويعتبرون الاهتمام والخوف الزائد عدم ثقة من آبائهم، فالطفل بعد سن التاسعة يميل إلى الابتعاد والاستقلالية ويظل حتى الثامنة عشرة وهو يقاوم أي تصرفات من والديه تحد من حريته، أو تشعره بأنه غير أهل للثقة وغير قادر على اختيار الأفضل، وفي نفس الوقت فهم يحتاجون للتحفيز وتقدير إنجازاتهم.

فقد تجد في هذه المرحلة تصرفات غير مفهومة لدى الأبناء تصيبك بالحيرة كأن يرفض بأن يمسك بيدك وأنت توصله للمدرسة، أو أن تقوم بمساعدته في تحضير حقييته أو ربط حذائه أو اختيار ملابسه.

فلقد غضب عبد الرحمن عندما دخل إليه والده الملعب ليقوم بتصويره عن قرب وكان يقف حارس مرمى، ولم يجد والده آنذاك مبررًا لغضبه، فلم يكن يعرف أن هكذا تصرف يجعله يشعر بالإحراج أمام أصدقائه ويحد من حريته.

فالأولاد يحتاجون للقيام بالعمل بمفردهم ولثقة آبائهم بأنهم جديرون بالقيام بذلك العمل، ويعتبرون الاهتمام الزائد أو القلق المبالغ

فيه عدم ثقة، وعرض المساعدة عليه يعتبرها إهانة تخبره بفشله بالقيام بالمهمة بمفرده، ولذا فالكثير من الأمهات تخطئ بمبالغتها في الاهتمام بابنها والقلق عليه، لولا تدري بأنها بذلك تضعفه وتصيبه بالإحباط. فلقد عرفت أم تلاحق أولادها باستمرار بالاتصالات الهاتفية عند خروجهم من المنزل لتتأكد تمامًا أين هم وكيف يتحركون ومن يقابلون، لقد تعلم أولادها الكذب عليها ومحاولات الهروب من ملاحظتها لهم الدائمة.

بينما الأمر يختلف بالنسبة للبنات، فالرعاية والشعور بالاهتمام هما ما يحتاجن إليه، فهن يشعرن بالحب والأمان من خلال ذلك الاهتمام، ويسرون عندما تعرض عليهم المساعدة والدعم ما يشعرهم بالتميز، وإلا سيشعرن بالإهمال.

عندما علمت ذلك تذكرت ابنتي حورية وآمال عندما كانتا يتتقدنني أحيانًا عندما كنت أتركهم عندما يخرجون مع صديقاتهن أو يكن في درس من الدروس ولم أتصل بهما، بينما كان عبد الرحمن يطلب مني أن لا

أُتصل به كثيرًا أو أقلق عليه بينما يكون مع أصحابه، فطريقة استقبالهم للحب تختلف من الأولاد للبنات فعليًا.

إن ذلك ما تحبه النساء سواءً كانت فتاة أو امرأة، فلقد أحبت ذلك كثيرًا من زوجي، فهو لا يمل أبدًا من الاهتمام بي أو الاطمئنان عليّ دائمًا إن كان خارج المنزل أو مسافرًا، ذلك ما كان يشعرني بالتميز وبأني مهمة لديه، ونفس الاهتمام أولاه للبنات عندما يخرجن أو كن في امتحانات، أو غير ذلك.

بينما يفسر صديق زوجي كثرة مهاتفة زوجته له في العمل أو في غيره شك به وعدم ثقة فيه.

إن خطورة افتقاد الولد للشعور بالثقة من خلال الاهتمام والقلق المبالغ فيه والاستمرار في ذلك من قبل والديه تجعله يتقبل ذلك ويطغى عليه الجانب الأنثوي فيشعر بالخوف والحاجة للمزيد من الاهتمام.

فقد كان الخوف الدائم والقلق من إحدى الأقارب على ابنها سببًا كبيرًا في تعلمه الجبن وعدم الإقدام على الأمور، فقد كانت تحشى عليه

حتى من السباحة أو الذهاب بمفرده لمكانٍ ما، مما أثر على شخصيته بين أصدقائه.

ونفس الشيء عندما تهمل احتياجات الفتاة من الاهتمام والرعاية فإن الجانب الذكوري غالبًا ما يطغى وتصبح قريبة الشبه بالصبيان في تعاملاتها.

الأولاد ينسون والبنات يتذكرن

إن الأولاد يميلون إلى تذكر شيء واحد فقط والتركيز عليه عندما يطلب منهم أشياء كثيرة، وتشكو الأم عادةً من ابنها أنه لا يستمع لها ويهمل طلباتها وينساها، فهي على الأحرى تجهل طبيعة النسيان لدى الأولاد، ويكبرون على نفس الطباع فعندما أطلب من زوجي شراء أكثر من شيء يطلب مني أن أكتب ما أريد، حتى وإن كانت صغيرة ويبرر لي أنه لن يتذكر كل تلك الأشياء، نفس الشيء مع الأولاد.

عندما يتعرض الأولاد للضغوط فإنهم يميلون للتركيز على شيء واحد أو مهمة واحدة أو مشكلة واحدة فقط ونسيان الباقي، بينما البنات فعندما يتعرضن للضغوط فإنهن يملن للتحدث عن أدق التفاصيل

واسترجاع كل ما حدث فذلك ما يخفف عنهم الضغط، فالرجل عند توتره ينسى، والمرأة عند توترها تتذكر كل التفاصيل وتحدث عنها، فكلًا له طريقة مختلفة عن الآخر لتصريف توتره.

وذلك ما يفسر سوء التفاهم دائمًا بين الرجل والمرأة، فالمرأة تفسر نسيان زوجها لمناسبة أو زيارة أو مهمة ما على أنه إهمال، والرجل يتهم زوجته بأنها دائمة الشكوى وإصرارها على تذكر أدق التفاصيل يصيبه بالملل.

ولذا فالولد بحاجة لأن تطلب منه الأشياء في صورة إيجابية حتى لا يشعر بالضغط وينسى، والبنت بحاجة للاستماع والإصغاء باهتمام حتى تتخلص من ضغوطها وتوترها.



التعامل مع طلباتهم التي لا تنتهي

"دعهم يطلبون المزيد"

كانت هناك نقطة تعد مثار خلاف بيني وبين زوجي ودائمًا ما نتجادل بشأنها، وهي ماذا تطلب من الله تعالى في دعائك، وما القدر الذي تطلبه منه؟

فكنت دائمًا أسمعهم يدعو الله على استحياء ويقول: "اللهم ارزقني، اللهم إني لا أطلب منك سوى الستري ولأولادي، والصحة والعافية". وكلما أسمعهم يدعو.. أقول له: أبسط في دعائك كما تشاء، فإنك تدعو كريم، لا تجعل سقف حاجتك من الله.

ولكنه لديه معتقدًا بأن الله تعالى يمكن أن يعطيه في مقابل أن يأخذ منه شيئًا آخر، فقد سمع شيوخًا كثيرين يبنون الاعتقاد بأنك لا يمكن أن تملك كل شيء، الصحة والمال والأولاد والجاه والتدين والالتزام، يعتقدون أن من عدل الله أن الخلق جميعًا متساوون في الرزق ولكن

مختلفون في الأقدار، فمن من الله عليه بالأولاد، من الممكن أن يقابله نقص في المال، وصحة متوسطة مثلاً، ومن يملك المال فإنه يقابلها بأن يعاني في صحته، أو لا يرزقه الله بالأولاد، أو ينقصه التدين والالتزام.

بيد أنني ضد هذا الاعتقاد تماماً، فلا شيء في القرآن أو السنة يدعم ذلك، فالله تعالى كريم، لم يجد عباده عن طلب أي شيء دون وضع حدود فقد قال: {ادعوني أستجب لكم}. غافر 60، وقد قال ﷺ: (إذا تمنى أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربّه عزّ وجلّ) ابن حبان والطبراني.

وقد كان ستة من الصحابة المبشرين بالجنة - رضي الله عنهم - من أغنى الأغنياء في عصرهم، وكان منهم من وجهاء مكة، فلا ضير أن نطلب المزيد والمزيد من الله تعالى.

فماذا نفعل مع أولادنا؟

نحن نعلمهم ألا يطلبوا، وإن طلبوا فهناك قدر وحدود لا يتجاوزونها، وإلا فإنهم متطلبون وأنايون، نعلمهم أنه يجب عليهم أن يكونوا ممتنين لما عندهم، وأن ينظروا لمن هم أقل منهم، ولا يملكون ما

لديهم من الأشياء، ولذا فليس لهم الحق في أن يطلبوا المزيد، وليس لهم الحق بأن يشعروا بالحزن عندما لا يحصلون على ما يريدون.

في ظاهر الأمور فإنها قيّم تحترم تلك التي يريد الآباء تعليمها لأبنائهم، فهم يريدون بنية حسنة تعليمهم قيمة الامتنان، ولكنهم بدون أن يدركوا ذلك فإنهم يسلبون منهم قيمة أخرى وهي قيمة الطموح. فالطموح هو في حقيقته طلب المزيد، إننا بذلك نطلب منهم أن يتوقفوا عن وضع الأهداف لأنفسهم، أو السعي للحصول عليها.

نحن نربينا على ذلك.. فما كانت النتيجة؟

لقد ربينا على هذه المبادئ بأنه من الخطأ أن نرغب في المزيد، وكانت النتيجة أننا لا نقدم على أمرًا ما إلا عندما نكون متوقعين الموافقة عليه، ولذا فإذا تم رفضه فإما أن نستسلم خاضعين للأمر الواقع، أو ننصرف غاضبين ومستائين.

فإذا وجدت صعوبة في تصديق هذا الكلام، فانظر كم البشر المحبطين، والناقمين على الأوضاع، والغاضبين الذين تقابلهم في

الشوارع، وعلى المكاتب، وفي المصالح الحكومية، وأمام شاشات التلفزيون، وعلى مواقع التواصل الاجتماعي.

إن تركنا الأولاد يطلبون ما يريدون دون حد لطلباتهم فسيصبحون أنانيين، مدللين، لا يعرفون قيمة الأشياء.. فكيف يكون هذا المنطق صحيحًا؟

إن السبب في فشل النتائج بعد التطبيق ليس معناه أن القاعدة غير صحيحة، ولكن يكمن السبب في التطبيق غير الصحيح، وعدم استيعاب المفردات الصغيرة، فعندما نسمح لأبنائنا بالرغبة في المزيد فهذا ليس معناه أن نستجيب لطلباتهم في الحال، فكما تعلم ابنك أنه لا بأس بطلب المزيد، فلا بد أن تتعلم أن تقول "لا" دون الشعور بالحزن، وهنا لن يستسلم الصغير لرفضك لطلبه، فقرة رغبته الداخلية تلح عليه ما سيدفعه لتعلم التفاوض الذي هو مهارة ضرورية من مهارات النجاح في الحياة، وسوف يحفزونك على الاستجابة لما يريدون، هناك فرق بين أن يتم السيطرة عليك من قبل مفاوض ذكي، أو من قبل طفل كثير الشكوى.

• إنك ستعطي لهم الحرية في طلب ما يريدون وبالقدر الذي يريدون.

• لن تقابل طلباتهم بالسخرية أو الاستهجان أو إشعارهم بالذنب، أو حتى بأنهم يملكون الكثير، بل تشعرهم بأن لديهم الحق بأن يطلبون ولا بأس.

• اتركهم يضعون أهدافًا كبيرة دون أن تخشى عليهم من خيبة الأمل.

• تعلم أن تقول لا دون الشعور بالحزن، فأنت لديك الحق في أن تطلب وأنا لدي الحق بأن أرفض.

• اسمح لهم بالشعور بالحزن أو الاستياء.

• اسمح لهم بالتفاوض مع وضع حدود للتفاوض.

• إنك ستسمح لهم بما يطلبون وأنت متحكم في زمام الأمور، مع وضع حد للتفاوض، إنك بذلك سوف تعلمهم أن يسعوا لهدفهم في الحياة بقوة وبدون استسلام فهم بذلك سيتعلمون:

• ألا يضعون حدودًا لطموحاتهم.

- لن تتحقق طلباتهم بمجرد أن يطلبوها.
- مهارة التفاوض المهمة للنجاح في الحياة.
- السعي لأهدافهم بقوة.
- تجاوز العقبات والالتفاف حولها حتى تتحقق أحلامهم.

إن الشيء الأكثر أهمية الذي يريد الآباء تعليمه لأبنائهم من تحقيق الأهداف هو التغلب على خيبات الأمل حتى تقف على أقدامك مرة أخرى والتحرك نحو هذه الأهداف.



الباب الخامس

مشاعرك وأفكارك تصنع فرقاً

*غير طريقة تفكيرك.

*تربية الأبناء مهارة يمكن تعلمها.

*لن أربي وحدي.



غير طريقة تفكيرك

حب الأطفال غريزة فطرية في قلب كل رجل وامرأة، لا يستطيع أحد من وصف وتصوير ذلك الحب مثل شخص حرم هذه النعمة، هذا الحب ما يدفع أزواج كثيرون للذهاب لأبعد الحدود للبحث عن العلاج مستعدين لتقديم كافة التضحيات في مقابل أن يستمعوا للكلمة بابا وماما في يوم من الأيام، ولكن بعد كل ذلك كيف يمكن لهذا الحب والشوق أن يتحول إلى كره وعداوة في يومٍ من الأيام.

نعم هناك من الآباء من يصل بهم الأمر لكره أولادهم عندما يفقدون السيطرة عليهم تمامًا، ويتحول الأولاد من نعمة لنقمة تنغص الحياة وتفقدوا بريقها، وتبدو معها الحياة بأنها معاناة لا تنتهي.

لقد كنت متابعة جيدة لبرامج الواقع في تربية الأطفال، واندعشت حين وصل الحال عندما سألوا أحد الأمهات عن مشكلتها أن قالت بالحرف: "أنا أكره أولادي"، لقد اعترفت أنها كانت في أحيانٍ كثيرة

تركهم يتعاركون ويتشاكسون دونها أي تدخل منها، بل إنها كانت تدخل غرفتها وتغلق الباب على نفسها بالمفتاح وتنزل تمامًا عنهم، فتساءلت: هل يمكن أن يصل الأمر لهذه الدرجة؟ ولكن وجدت للأسف أنه حال كثير من الأسر دون أن يصرحوا بذلك.

لقد قرأت كثيرًا عن قانون الجذب، واستمعت لمحاضرات كثيرة عنه، وعن كيف أنك بعقلك وفكرك يمكن أن تجذب إليك كل ما هو جيد أو كل ما هو سيء، فمسيرتك في الحياة وسعادتك وشقاءك ليست حظوظًا مقسمة لا مفر منها، ولكنها نتيجة لأفكارك التي تدور بفلك عقلك، والصور الذهنية التي تطبعها في عقلك هي ما تصبح ما أنت عليه في الحقيقة.

لقد سألت أم في إحدى الحلقات عن كيفية تطبيق قانون الجذب على أولادها التي كادت أن تكرهمهم بالفعل، وكانت الإجابة هي أن المشكلة في كيف ترى نفسها تتعامل مع أولادها وكيف تنظر إليهم بداخل عقلها، وبأن التطبيق يكمن في تغيير الصورة الذهنية التي ترسمها للعلاقة بينها وبين أبنائها.

لقد طبقت ذلك القانون بالفعل على نفسي، فلقد كنت أدور في نفس الدائرة المغلقة التي تعاني منها الأمهات، دائرة تكلم كما تريد ولن يستمع إليك أحد، واضرب رأسك بالحائط ولن ينتبه إليك أحد.

وبالفعل أخذت أنقح أفكاري وأتأملها، وأنظر على الصورة القابعة في ذهني عن علاقتي بأبنائي، فوجدتها في الحقيقة صورة قاتمة، وجدت صورة أم عابثة الوجه، قاطبة الحاجبين، تأمر وتنهاي وتصرخ طيلة الوقت، ورأيت أولادي يقفون بعيدين عني في ذات الصورة لا يضحكون، حتى أنني شعرت بحزنهم وبؤسي وإحباطي، لقد صدمت بتلك الصورة حقيقةً وقررت أن أغيرها في عقلي أولاً.

فأعدت رسم الصورة من جديد، صورة أم متهللة الوجه مبتسمة، تأخذ أولادها بين أحضانها وأراهم يضحكون ويلعبون، بدأت أشعر بالسعادة تدب بين جنبات الصورة، وقررت أن أتمسك بهذه الصورة ولا أسمح للصورة القديمة أن تتسلل لعقلي مرة أخرى، وكان بالفعل للصورة الجديدة مفعول السحر في حياتي وعلاقتي بأولادي، حتى وإن تخللها بعض العكار إلا أنها تعود وتصفو سريعاً، أراهم الآن يكبرون

سعيدة بهم يكبرون بين أحضاني، وأرى في مشاكلهم تحديات بالحب والحنان والصدقة نحلها معاً وليس بالأوامر والتسلط، ولا يخلو الأمر بالتأكيد لتسلل الصورة القديمة لعقلي وتصرفاتي معهم، ولكنها لا تكون الأصل أبداً فتزول سريعاً وتختفي.

غير شريط الفيديو

تخيل العلاقة بينك وبين أبنائك في عقلك كأنه شريط سينمائي، ماذا تريد أن يكون شكل هذه العلاقة؟

إذا توقفنا قليلاً وفتشنا عن شكل هذه الصورة في عقولنا ستتفاجأ بأننا نرى صورة أب متسلط وأم عسكري يعطي الأوامر طوال النهار، وكلاهما متجههم طيلة الوقت، إن ما جعل هذه الصورة مستقرة في ذهنك هو اعتقادك بأنك ستفقد هيبتك إذا غيرت هذه الصورة، جرب أن تغير تفكيرك والصورة الذهنية التي في عقلك، جرب أن ترى نفسك وأنت تضحك وتلعب مع أبنائك، وتدير حوارات ودودة معهم، تخيل نفسك وأنت مستمتع بمناقشاتهم ومتقبل بحب اختلاف وجهات نظرهم.

جرب أن تتخيل نفسك أبًا ودودًا وتتحلي نفسك أمًا حنونة لا
تفارقهم الابتسامة ونظرات الحب والحنو حتى وهم يوجهون الأوامر
لأبنائهم.

أكد لنفسك ولعقلك أن عن طريق الصورة الذهنية الجديدة سيحبك
أبناءؤك ويحترمونك بدلًا من أن يخافوا منك، كرر ذلك حتى يستقر في
عقلك، وينطبع على أفعالك.

إذا استطعنا أن نغير الصورة الذهنية الكامنة في عقولنا عن تربية
الأبناء سنستطيع أن نكسر حاجز الخوف والجمود في حياتنا وحياة
أبنائنا.



تربية الأبناء مهارة يهكف تعلمها

أحيانًا أتساءل.. لقد قرأت كمًا هائلًا من كتب التربية، وسمعت وشاهدت الكثير من برامج التربية ما يؤهلني لأن أصبح أمًا مثالية لأولادي ولا ريب، فأنا أبحث في هذا الموضوع من عمر أولادي تقريبًا، وبالرغم من ذلك فأنا أخطئ أحيانًا وأصرخ على أولادي أحيانًا، وأنسى ما قرأته وتعلمته كثيرًا، وأحيانًا أضرب بما تعلمته عرض الحائط، وأحيانًا أخرى أتهم نفسي بالفشل، وأقف عاجزة في بعض المواقف.. فلماذا يحدث ذلك؟

لقد فادني كثيرًا ما تعلمته عن تربية الأبناء بالرغم من صعوبة تطبيق قواعد التربية السليمة بحذافيرها، ولكن يظل تساؤلي قائمًا.. لماذا ما زلت أخطئ كثيرًا؟ هناك دائمًا شيء أفضل أستطيع تقديمه لأولادي.

أحمد طيب أسنان تزوج من إيمان أختي وهي صيدلانية، عملهم ليس له علاقة بتربية الأطفال، ولم أعلم أنهم قرأوا يومًا كتابًا عن تربية

الأطفال، ولكن بالرغم من ذلك استطاعوا أن يربوا أبناءهم تربية مثالية.

لقد تربى أحمد في بيتٍ هادئٍ لأبٍ خلوقٍ حريصٍ على التدين والأخلاق من جهة وعلى العادات والتقاليد من جهة أخرى واستطاع أن يزرع ذلك في أولاده.

أحمد بالرغم من عمله الذي يأخذ كل وقته تقريباً لم يمنعه من الحنو على أولاده وتشجيعهم بالكلمات الرقيقة، واللعب معهم في أوقات الإجازات، كان يلعب مع أولاده الشطرنج والراكيت، وينتهاز الفرص لتعليمهم آية أو حديث أو موقفٍ لصحابي من أصحاب الرسول ﷺ من خلال ممارسة الحياة العادية، لم أسمع يوماً يهين أحد من أولاده بل كان يعاملهم باحترام دائماً.

أما أختي إيمان فهي بطبعها هادئة وحازمة بذات الوقت، وبالرغم من أنها تعاني من كثرة انشغال أحمد وبالتالي فهي تتحمل المسؤولية الأكبر لأبنائها، إلا أنها استطاعت أن تحافظ على هدوئها وإصرارها على أن تقدم الأفضل لأبنائها دائماً، ولا تتوانى ببذل المجهود في سبيل ذلك.

كلاهما قدم لأبنائه الحنو والاحترام والحزم والبحث عن الأفضل بدون كلل أو شكوى.

أحياناً كثيرة يشكو الآباء من صعوبة تربية الأبناء، ولم يدركوا أن السبب يمكن أن يكون في طباعهم الصعبة أيضاً، قد تكون العصبية وقلة الاحتمال أو سوء معاملة الأبناء وعدم احترامهم، أو التهاون في تعليمهم للقيم والدين.

فهبة التربية الفطرية عطاء من الله سبحانه وتعالى لأحد الوالدين أو كليهما، وهناك من الأمثلة الكثير من الأمهات والآباء الذين شهدت لهم أخلاق أبنائهم وتربيتهم الصالحة لهم بغير أن ينالوا قدرًا من التعليم حتى.

ولكن.. ماذا إن لم نكن ممن من الله تعالى عليهم بهذا العطاء، فماذا نفعل؟

ليس معنى الافتقار إلى الموهبة الفطرية في التربية أنه لا يمكن تعلمها، فالتربية مهارة يمكن أن نتعلمها مثل السباحة أو ركوب الدراجة أو حتى قيادة السيارة لابد لإتقانها من التدريب والممارسة، فالكثير من

الآباء يشتكون من صعوبة تطبيق ما يتعلمونه عن التربية وهذا من الطبيعي فأي شيء في بداية تعليمه وممارسته يكون صعباً، ولكن مع الصبر والإصرار والتدريب والممارسة يسهل الصعب، فأبناؤنا يستحقون، ورحلة التربية تكون أكثر إمتاعاً عندما نتعلم ونخوض التحديات ونصُـر على تخطيها.

إن تعلم المهارة يأتي من التكرار، ولمس النتائج لا يتأتى من المرة الأولى، فأحياناً يقول الأب مثلاً: لقد جربت مع ابني كل طرق التربية وفشلت فهو لا يتغير أبداً.. ولكن لن تتأتى النتائج من محاولة واحدة أو اثنتين ولكن من يريد أن يتعلم ويلمس النتائج لا يمل أبداً من التكرار، فكأنك تريد أن تعلم ولدك السباحة من أول يوم وإلا تسميه فاشلاً وغيباً.

إن تحدي النشأة والعادات والمعتقدات والأفكار التي شكلت تكوينك يعد أكبر العقبات التي تعترض طريقك وأنت تربي أولادك، وما يجعل تطبيق قواعد التربية الصحيحة صعبة التطبيق هو مصدات وحواجز التربية التي نشأنا عليها، وسوف تصيبك الدهشة عندما تعلم

أن بعض الأطباء والمعالجين النفسيين للأطفال يعترفون بفشلهم بتطبيق هذه القواعد مع أبنائهم بالرغم من نجاحهم مع أطفال غيرهم.

فقد أجرى د. هايم جينو مؤلف كتاب (التربية المثالية للأبناء) اجتماعاً مع مجموعة من علماء وأطباء نفس الأطفال لمناقشة ما إذا كان خبراء الصحة الذهنية يمثلون آباءً أفضل لأبنائهم بحكم خبراتهم وتدريبهم المهني فثارت بينهم هذه المناقشة المثيرة

د. تشامبرز: السؤال هو، هل نستطيع شخصنة الكفاءة الاختصاصية؟ هل يمكن ترجمة المبادئ النفسية إلى ممارسات بترية الأطفال؟

د. دافيد: لدي شكوكي حول هذا الأمر، إنني متفهم وصبور مع الأطفال المرضى، لكنني أثور بسرعة مع أولادي أنا، أصبح غاضباً، أصرخ، أذمر، وأهين تماماً مثل والد، فحتى عند الاستفزاز لم يخطر ببالي أن أوجه أية إهانات لمريضٍ صغير، بينما أفعل ذلك مع ابني أنا.

د. هيل: إنني أتساءل عن السبب الذي نطبق فيه القليل من خبراتنا السريرية على تربية أبنائنا، أنا على سبيل المثال، أتعاطى مع ابني

بالأساس بنفس الطريقة التي عاملتني بها أُمي، حتى في بعض الأحيان أستعمل نفس نبرة صوتها، يبدو الأمر وكأنني أجاب مسجلاً معتاداً.

د. تشامبرز: هل علينا أن نبحث عن مسجل غير معتاد، أو نص

جديد؟

د. هيل: أنا لا أحب مسجلي الأبوي، العديد من الآباء يرددون

نصوصاً ماضية دون أن يدركوا ذلك، لكننا ندرك الأمر، علينا أن نكون

قادرين على كتابة نصوصنا الخاصة، وأن نستخدم كل ما تعلمناه

كمعالجين نفسيين للأطفال.

د. آدامز: يمثل الأبناء مشكلة يصعب حلها اعتماداً على العموميات

البراقة للحب، الاحترام، القبول، الفروقات الشخصية، هذه المفاهيم

فضفاضة كثيراً.

د. فيلد: إذا أخبرنا كوالد كيف استفدت من ذاتك كمعالج؟

د. آدامز: أنا لا أملك كل الأجوبة، لكنني تعلمت أن أجاوب بطريقة

أكثر إنسانية مع الصعوبات اليومية التي تشكلها تصرفات أولادي، إنني

متعاطف بنفس القدر الذي أنا متعاطف به مع مرضاي الصغار، أحاول أن أضع نفسي مكانهم كي أفهم ما يشعرون به.

تعلمت التعبير عن غضبي دون إهانة، حتى تحت ضغط الاستفزاز، فأنا لا أشتم أولادي، أنا لا أهاجم مميزات نفسياتهم، ولا أهاجم سمات شخصياتهم.

ولكن بدلاً من ذلك، فأنا أحدد ما أراه، ما أشعر به، وما الذي يتوجب علي فعله.

د. دافيد: أتعني أنك لا تستشيط غضباً مع أولادك؟

د: آدامز: على العكس من ذلك، لكني الآن لا أخاف من غضبي، ذلك لأنني أعرف كيف أعبر عنه بدون إحداث أذى، فكلماقي تناسب مشاعري.

لا أدعي أنني أشعر بالحب عندما أكون غاضباً، كما أنني تعلمت بأن بداية الحكمة هي الصمت، وأن السلطة تستدعي الاختصار، هكذا أنا أتكلم أقل وأصغي أكثر.

عندما تسوء الأمور فأنا لا ألقن الدروس، إنني أبحث عن الحلول، تعلمت أن أستجيب لشكاوى أولادي، بدون أخذ موقف الدفاع أو التشكي بالمقابل، عادةً ما أستخدم همهمات متعاطفة وتعليقات، مختصرة.

د. تشامبرز: مثل ماذا؟

د. آدامز: أوه. الآن فهمت.. إذن ماذا حصل؟.. إذن إنك تشعر بذلك.. إذن هذه وجهة نظرك.. أقدر مشاركتك لي بوجهة نظرك.. أشكرك على لفت انتباهي لها.. إنني أتجنب المنطق البارد في المواقف الساخنة، بينما العالم يتخاطب مع العقل، أنا أتخاطب مع القلب.

د. أيفي: بناءً على ذلك، نحن أيضًا نحتاج المساعدة كي نفي بأدوارنا الأبوية، إننا نمتلك المعرفة مسبقًا، ولكن ما نحتاج إليه هو نقل الكفاءة، وترجمة المهارة.



لن أربي وحدي

أنا وزوجي دائماً ما نتجادل في طريقة تربيته لأبنائنا، ولا أستطيع أبداً إقناعه بوسائل التربية الحديثة.. فماذا أفعل؟

وفاء: لقد اعتقدت أنني سوف أحتوي ابني كريم بعد أن يسافر والده، وسأكون قادرة على إبقاء الأمور تحت السيطرة طالما أنني متفهمة أكثر من والده لاحتياجاته، فلقد كانت مشكلتي الأساسية هي عدم تفهم والده لمرحلة المراهقة التي يمر بها، لقد فشلت محاولاتي المستمرة في إقناع والده بضرورة احتوائه وتفهم احتياجاته والصبر عليه في هذه المرحلة الخطرة بدلاً من الصراعات المستمرة بينهما.

ولكن كانت المفاجأة التي لم أكن أتوقعها أبداً، فبدلاً من إصلاح الوضع الذي ظننت أنني قادرة عليه أن ساء بدرجة لم أكن أتوقعها، ووجدت نفسي وجهاً لوجه مع ابني يناطحني وأناطحه، لقد زاد عناده وتمردته، وأصبح يتجراً علي أكثر وأكثر، ووجدتني أفقد السيطرة عليه

تمامًا، ولم أستطع أن أحتمل ثقل الحمل لوحدي، لقد أيقنت حينها أن الحل ليس أبدًا في الفصل بين كريم ووالده وإبعادهم عن بعض. فقلت لها: كلامك صحيح تمامًا، فقد كنت أفكر أحيانًا بنفس طريقتك عندما تتأزم الأمور بين عبد الرحمن ووالده، وظننت أن سفر والده للعمل خارجًا تعد فرصة لاحتواء عبد الرحمن في هذه السن، وأن الأمور ستصبح أفضل طالما لم أستطع أن أقنع والده أن يهدأ في التعامل معه.

ولقد شاء القدر ألا يسافر زوجي، وأن تمر علينا في ذات الوقت عدة مواقف أيقنت من خلالها أنني لم أكن لأستطيع أن أربي وحدي أبدًا دون وجود والده.

لقد أدركت أنه مهما كانت قسوة الأب أو عدم معرفته بطرق أفضل للتعامل مع أبنائه، فإن غيابه أخطر بكثير من تواجده مع عدم تفهم أولاده أو قسوته معهم.

لقد عاصرت في الواقع معاناة أسرة على وشك ضياع أبنائها بسبب ظروف عمل الوالد التي اقتضت غيابه دائمًا، ويقول الوالد بحزن وأسى شديدين: ماذا فعل لي العمل غير ضياع أبنائي وأنا بعيد عنهم.

ليس الحل في عدم تواجد الأب، ولكن الحل في التعاون بين الأب والأم.

قالت وفاء: لقد حاولت كثيرًا في الإصلاح.

فقلت لها: وأنا حاولت كثيرًا أيضًا، فأين المشكلة إذن؟

المشكلة هي في التعامل الخاطئ مع هذه المواقف، فغالبًا ما نسارع بالانتقاد، ولا أحد يحب أن توجه إليه الاتهامات، أو يشعره بالتقصير.

عندما وجه لي زوجي ذات مرة انتقادًا بإهمالي في المذاكرة مع الأولاد وقارنني بأمهات أخريات وكيف أنهم يهتمون بأبنائهم في المذاكرة، سرعان ما غضبت بشدة حينها، وأخذت في الدفاع عن نفسي لأنفي ذلك الاتهام وحسب، وأدركت أن هذا بالضبط ما نقوم به مع أزواجنا عندما نتقد طريقتهم في التربية، بل إن هذا ما نقوم به حتى مع أبنائنا، فيتحول الحوار إلى المشادات وتبادل الاتهامات.

أتتهميني أنني لا أستطيع أن أربي؟ وتسوء الأمور أكثر فأكثر، وتظل الأجواء مشحونة بالمشاعر السلبية، ولكن عندما نتعاون ونتوقف عن

الاتهامات والانتقادات لبعضنا البعض فسوف نستطيع أن نواجه معًا تحديات التربية ونتخطاها.

لقد تعلمت أن هناك دائمًا طريقة ما لحل الأمور، طالما أن هناك مرونة وإصرارًا في ذات الوقت، فلا بد من الحوار واتفاق الوالدين في النهاية، ولكن ما هي طريقة الحوار المناسبة.

إذا كانت الأم واعية باحتياجات ابنها وتعاملاتها معه سواءً بالفطرة أو بالتعلم، فستستطيع أن تتعامل مع زوجها بنفس الطريقة، فما الزوج إلا طفلًا كبيرًا، فإذا فشلنا في ذلك، فالمشكلة الأساسية فينا نحن بالدرجة الأولى، فإن كنا قادرين على التعامل مع أبنائنا بما يجعلهم متعاونين فسنكون قادرين أيضًا على إقناع أزواجنا بالتعاون أيضًا.

فلا بد عندما تثار مشاكل الأبناء أن تعرض على أنها موضوعًا عاديًا للحوار لنبحث الحلول معًا، لا من المتسبب فيها، فنحن معًا في هذا، وإن تصادمت طريقتنا في التربية، ولا يمكن أن أربي وحدي حتى وإن جمعت كل خبرات التربية، ولا يمكن أن يتنحى أحد الوالدين عن مسؤوليته في التربية، ولا يمكن أن يكتفى من الأب بأن يكون آلة نقود فقط، ولا

يمكن أن تكون مهمة الأم فقط هي الطعام والشراب والملبس، كلاهما مسؤول عن رعايتهما وتربيتهما.

الأم: لقد لاحظت عند وتمرد هشام مؤخرًا، ألم تلاحظ ذلك؟

الأب: نعم لاحظت، إنه يعاندني عندما أمره بشيء ما.

الأم: أترى في رأيك ما السبب؟

الأب: لا أعلم.

الأم: أعتقد أننا نعنفه كثيرًا، وهو لا يرتاح لذلك، أرى أنك الأقرب إليه، فهو يحبك كثيرًا، فلو احتضنته وصادقته فسيصبح الولد المحب المطيع.

لابد أن نبحث دائمًا عن نقطة التقاء، فنحن شريكان في هذا، ولن يكون من المفيد أبدًا أن ينسحب أي منا من المشاركة.

يقول د. جاسم المطوع أن دور الأب مهم جدًا في حياة الأولاد بالذات وخاصة في سن المراهقة، أو من بعد سن 12 سنة، وإن فرضت الظروف بأن الأب غائب فعلى الأم أن تشرك الخال أو العم أو الجد في التربية حتى يحدث التوازن في شخصية الأبناء.

لقد مرت علينا فترات محبطة ونحن ما زلنا في بداية مراهقة عبد الرحمن، والتي أعتقد أنها فترة مرهقة وليست مراهقة، وصل فيها والده لحد نفاد الصبر، ونفض اليدين، لم أستطع أن أقنعه بأن هذه التغيرات عادية، وبأنها فترة تقلبات وستنتهي، ولكني فشلت، فانتهزت فرصة سفره، وتحدثت إليه كتابةً عن طريق الماسنجر حيث كان ساعته على استعداد أن يسمع ويفكر في الكلام.. لقد كتبت له:

زوجي الحبيب

أنا لم أعود على الاستسلام أبدًا، ولن أسمح لك أنت أيضًا أن تستسلم.. فتربيتهم مسؤوليتنا نحن الاثنان معًا، ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يربي أحدهما فقط لوحده، ولذلك لا بد أن نصبر ونتعلم ونعلم لآخر لحظة من عمرنا من غير كلل ولا ملل لأنه في الأخير دورنا نحن، ولن يحملهم أحد عنا، وسوف نسأل عنه يوم القيامة.

لقد عاقب الله سبحانه يونس عليه السلام بظلمات داخل ظلمات في بطن الحوت، لأنه استسلم بسرعة عن دعوة قومه عندما عاندوه وصدوا كلامه، فتركهم ورحل.

ولقد صبر نوح على قومه 900 سنة من غير كلل.
ونحن بالنسبة لأولادنا أنبياء لابد أن نستمر في توجيههم مهما
حدث، وسيظلون محتاجين إلينا دائماً، ولا يمكن أن نتخلي عنهم أبداً.
المشكلة في أننا نبني أدواراً من دون أن نضع لها الأساسات فمن
الطبيعي أن تقع أشياء كل حين.. وإذا لم ننتبه الآن، فسوف يفوت
الأوان.. ومن أجل ذلك يجب أن نبني في البداية القواعد وهي تقوية
العلاقة بيننا وبين ابننا، علاقة الحب من غير أن نطلب منه شيئاً،
وبالأخص أنت يا زوجي الحبيب لأن تأثيرك فيه كبير جداً.
لقد قررت أن يكون دوري كل يوم أن أحكي له قصة من قصص
الصحابة قبل أن ينام، فهو يحب القصص، وسيتعلم منها الكثير دون أن
أوجه له النصائح.
نحن فقط نحتاج إلى أن نزرع القيم بطريقة صحيحة، لكنني متأكدة
أن ابننا عبد الرحمن بداخله رائع، يحتاج فقط للذكاء في التعامل معه،
وغمره بالحب والحنان.

التربية تحتاج إلى صبر وحلم وحكمة حتى نستطيع أن نحمي أولادنا
من الضياع.

وقد كان لهذه الرسالة صداها بحيث أصبح عبد الرحمن ووالده
صديقين إلى حدٍ كبير.



الباب السادس

غرس القيم في الأبناء

* أهمية القيم في حياة الأبناء.

* القيم وقوة الدين.

* كيف نغرس القيم في نفوس أبنائنا؟

* لعبة القيم وقلوب الأبناء ودور النباء.

* الأبناء واختلاف قيم الوالدين.



أهمية القيم في حياة الأبناء

إن القيم بالنسبة للأبناء الإطار الذي يحدد هويتهم، والحدود التي يخطون بها حياتهم، إنها كالأسوار التي تحميهم، فالأبناء إن لم يعلموا القيم في طفولتهم، لا قيم أو معتقدات يصوغون حياتهم في إطارها، فستصبح حياتهم بائسة، وسيبنون أية أفكار أو معتقدات ضالة أو منحرفة أو حتى سليمة إذا حالفهم الحظ بمن يرشدهم، فهم في ذاك الوقت يصبحون كالإسفنجة التي تشرب أية أفكار أو قيم، وإذا لم يجدوا من يأخذ بأيديهم للقيم السليمة فإنهم سيتيهون وراء القيم الدونية، كاللهث وراء الموضة والتقاليع الغربية، والمخدرات وغيرها.

فإذا لم يقيم الآباء بدورهم في تعليم القيم لأبنائهم فسيؤول الآخرون تعليمها إياهم كالأصدقاء أو التلفزيون أو الإنترنت أو ألعاب البلاي ستيشن.

لقد حكّت لي ابنتي آمال عندما ذهبت إلى رحلة الإسكندرية التي قامت بها المدرسة لطلاب المرحلة الثانوية، وكيف استمتعت هي وصديقاتها، ثم استطردت تحكي عن موقف حدث من مجموعة من الطلاب المرافقين لهم في الرحلة.

قالت: توقف بنا الباص عند محطة للبنزين، وكان هناك سوبر ماركت كبيراً، وقد سمح لنا المشرفون بدخول السوبر ماركت وابتاع ما نحتاج إليه من طعام أو شراب، فدخلنا واشترينا ما نريده، ثم استقللنا الباص وغادرنا، وبعد ما قطعنا مسافة قصيرة، سمعنا مديرة المدرسة تتحدث بانفعال مع شخص بالهاتف، فعلمنا أن هناك مشكلة ما، ثم أغلقت الخط وطلبت من السائق أن يستدير ويعود لمحطة البنزين التي كنا بها منذ قليل، ثم دخلت السوبر ماركت وغابت به قليلاً ثم عادت وأمرت السائق بالمغادرة ووضح عليها علامات الغضب الشديد، كنا مندهشين لما يحدث.

وفي اليوم التالي تم استدعاء مجموعة من الطلبة وتم استدعاء أولياء أمورهم، وتم فصلهم من المدرسة، وعلمنا بعد ذلك أن هؤلاء الأولاد

سرقوا من السوبر ماركت وبكميات كبيرة من الشيكولاتة والبسكويت والكانز وغيرها من الماركات الغالية ما يقدر بالآلاف، وقد صورتهم كاميرات السوبر ماركت من غير أن يتنبهوا، واضطرت مديرة المدرسة أن تدفع لصاحب السوبر ماركت ما طلبه من المال.

المدعش في هذا الموضوع أن آباء هؤلاء الأولاد من الأثرياء، ويصرفون ببذخ كل يوم في المدرسة حيث مصروفهم اليومي الكبير، فلما يسرقون إذن؟!

إنهم يسرقون فقط بغرض المزاح والإثارة، هؤلاء الأبناء لم يتربوا على قيم تمنعهم من التعدي على حقوق الآخرين، أو حدود تجربهم بالخطأ والحلال والحرام.

التربية الصامته

من أكثر الفيديوهات التي رأيتها تعبيرًا بدون الكلمات كان لأطفال صغار يسيرون وراء آبائهم، ويفعلون بالضبط ما يفعله الآباء أب يدخن وورائه ابنه الصغير يمسك السيجار ويدخن، أم تتحدث بعصبية وورائها ابنتها الصغيرة وهي تتكلم بنفس طريقة الأم.

وفيديو آخر عن أب يحضر الحذاء لأبيه المسن ويضعه أمامه ليلبسه، وفي نفس اللحظة يأتي ولده الصغير يحضر لأبيه الحذاء ويضعه أمامه كما فعل مع جده.

التربية الصامته هي الرسائل غير المباشرة التي تصل لأولادنا دون أن نتفوه بكلمة، عن طريق سلوكياتنا وتصرفاتنا وتعاملاتنا أمامهم، حتى نبرات أصواتنا، فكل ذلك يؤثر فيهم ويشكل شخصياتهم بطريقةٍ ما.

لا أبالغ حينما أقول إننا يجب أن نربي أنفسنا أولاً إن أردنا أن ننجح في تربيته لأولادنا، فإن أردنا أبناءً صالحين فينبغي أن نكون صالحين بنفس القدر الذي نرجوه منهم، فمن غير المنطقي أن أطلب من ابني أن يكف عن الصراخ وأنا أصرخ عليه طوال اليوم، أو أن آمره أن يكف عن ضرب أخيه بعقابه بالضرب، أو كيف ينهى أب ابنه عن تدخين السجائر وذات الأب يدخن أمامه، أو كيف تعاقب الأم ابنتها لأنها كذبت عليها وعندما يرن الهاتف تقول لها: قولي إنني غير موجودة.

ولماذا إذن كان موقف النبي ﷺ مع المرأة التي كانت تنادي على ابنها الصغير وتقول له: هاك، تعال أعطك. فقال لها النبي ﷺ: «وما أردت

أن تعطيه؟». قالت: أعطيه تمرًا. فقال النبي: «أما إنك لو لم تعطيه شيئًا كتبت عليك كذبة» أبو داود وأحمد.

لقد أراد ﷺ من هذا الموقف الصغير أن يعلمنا كيف يجب أن نراعي سلوكياتنا مع أطفالنا، لأن ما يرونا عليه ينطبع في أذهانهم ويشبون عليه ليكون شخصيتهم فيما بعد، فالأبناء مرآة منعكسة لأبائهم.

التربية الصامته هي القدوة التي يقلدها الأطفال بدون تفكير، فعندما يصبح الآباء مثالاً للسلوك المحترم، يتعلم الأبناء كيف يحترمون الآخرين، وعندما يرى الأبناء آبائهم يحافظون على هدوئهم وقت الغضب، فسيتعلمون تلقائيًا السيطرة على مشاعرهم عند غضبهم، إن موقف يراه الابن من أبيه يغني عن آلاف الكلمات والمحاضرات والدروس، فعندما رأى الولد أباه يحمل الحذاء لجده، تعلم الولد من خلالها قدرًا من القيم، التي إن فردنا لقيمة واحدة منها محاضرات ومحاضرات لن تكون بنفس التأثير كالرحمة وبر الوالدين والرفق واحترام الكبير والأدب.

إنها أفضل طريقة لغرس قيمة في نفوس الأبناء، فمفهوم القيمة معقد إلى حدٍ ما يصعب على الأبناء استيعابه إذا كان مجردًا، ولكن عندما يرون آباءهم يطبقونه أمامهم فسيحفر في وجدانهم وسيكون من الصعب نسيانه.

إن أخلاقنا هي اللغة الصامتة التي يتعلم منها الأبناء بدون بذل أي مجهود، بل إن لها أعظم الأثر في تربية الأبناء، فموقف واحد يراه الأبناء من الأب والأم بألف كلمة توجيه وأوامر، ولذا وجب علينا أن نبذل المجهود الأكبر في تربية أنفسنا أولاً.

لقد كنت أستغرب عند قراءتي للسنة عندما لم أجد الكثير من التوجيهات النبوية في تربية الأطفال، ومن الغريب أيضًا أن النبي ﷺ لم يترك صغيرة أو كبيرة إلا وعلمها لأمته، كيف كان يتعامل مع أصحابه، كيف كان يتعامل مع أزواجه، كيف كان يتعامل حتى مع أعدائه، ومع ذلك لم يُذكر له ﷺ إلا مواقف قليلة جدًا مع أبنائه، أو مع أبناء الآخرين ولكن من المدهش أنه استطاع أن يربي جيلاً رائعاً من الصحابة الذين أصبحوا بعد ذلك قادة لأمة استمرت حضارتها من القرن الثامن إلى

القرن الخامس عشر، والتي كانت من أزهى الحضارات في التاريخ، والتي أخذ عنها العالم بعد ذلك العلم والاقتصاد والتكنولوجيا وحتى الفن.

ذلك لأنه لم يكن بحاجة لإعطاء توجيهات، فلقد كان معلمًا ومربيًا بأخلاقه ورحمته وحلمه وشجاعته ومعاملاته مع الصغير والكبير، لقد كان أعظم مربّي بالقدوة.

د. فاروق الباز العالم المصري الجليل كان يذكر موقف لأمه تعلم منه التواضع، فقد كان ابنًا لأسرة متواضعة الحال في الدقهلية، وذات يوم حضر لزيارتهم ضيوفًا ومعهم سائق، وأخذت أمه في إعداد الطعام لهم، ثم نادى عليه ليذهب بالطعام للسائق، فقال لها: أليس من المفترض أن نقدم الطعام أولاً للضيوف ثم بعد ذلك السائق، فقالت له: هذا السائق البسيط أولى بتقديم الطعام له أولاً، فلقد تعب طوال الطريق من القيادة. ويقول إعلامي مشهور عن والديه أنها دائماً ما كانا يتعاملان معه هو وأخيه بأسلوبٍ محترم وهادئ حتى عندما كانا يخطئان خطأ كبيرًا، فكانوا يكتفون بتوضيح الخطأ لهما دونما أن يعلو صوتهما، وذلك ما

انعكس عليهما عندما كبرا، فيقول إن هذه التربية هي ما جعلته يحمل
سلامًا داخليًا هائلًا في قلبه كافيًا ليخلق لديه القدرة على المغفرة
والتسامح بلا حدود، ولا يحمل ضغينة لأحد حتى وإن أخطأ في حقه بل
ويشفق عليه أحيانًا، ويستطرد فيقول: إنه كان يرى من الالتزام من أبويه
ما علمه الانضباط في حياته كلها، والأجل من ذلك في أنها استطاعا أن
يربيا أولادهما على نفس الالتزام.

القدوة والهشاعر

لقد كان يتبادر إلى ذهني تساؤل أحيانًا عندما كنت أسمع قصصًا عن
هؤلاء الأبناء الذين حادوا عن الطريق وسلكوا سلوكيات غريبة بالرغم
مما يعرف من صلاح وتقوى آبائهم، لقد رأيت بعضًا منها بنفسني لأناسٍ
حولي، كيف لم يستطع هؤلاء الآباء أن يكونوا قدوة لأبنائهم في
صلاحهم؟

ووجدت أن هناك معنى مهمًا لا بد وأن نضعه صوب أعيننا، فبالرغم
من كل هذا الحديث الذي يعلمه معظم الآباء بالفعل إلا أن المغزى

الأكبر الذي يغيب عن ناظرهم هو أن صلاح الآباء المقصود هنا ليس صلاح التدين والالتزام وإقامة الشعائر والفروض فقط، وإلا لما عانت بعض بيوت الصالحين من أبناء متمردين بل ومنحرفين عن الطريق أحياناً. د. مصطفى أبو سعدة الخبير التربوي يرى أن السبب في أن الابن يقلد والده في صلاحه وصلاته عندما تكون علاقة الابن قوية بوالده، والتي تتحقق عند معاملته لابنه بالرفق واللين والمعاملة باحترام.

وهذا الكلام صحيح تماماً ولكني أعتقد أنه ما زال هناك شيء ما، لأن الأبناء كما يقلدون السلوكيات الجيدة فإنهم يقلدون السلوكيات السيئة أيضاً كالعصبية والغضب والعند والصراخ إلى آخره.. وبالطبع فإن هذه الأشياء لا أحد يحبها من والده، وبالتأكيد تنم على علاقة ليست على ما يرام مع والده.. فلماذا يقلدها إذن؟

إن الأبناء يقتدون بالتصرفات التي تؤثر بهم بشيء ما يمس قلوبهم، وفكرة ما تتعمق في عقولهم، فإذا اجتمعت الفكرة مع تحرك المشاعر تجاهها لم يبق إلا السلوك ليتشكل وذلك بالمشاهدة والملاحظة.

فكرة + مشاعر = سلوك

أعتقد أن تكرار هذه السلوكيات جعلتها أفكارًا متعمقة في عقل الطفل بأن هذا السلوك هو السلوك المفترض والمتعارف عليه للتعامل مع الآخرين، والمشاعر التي صاحبت هذه السلوكيات دعمت ذلك الفكر وإن كانت مشاعر كرهًا، فتتج عنه التقليد لهذه السلوكيات السيئة. أما تقليد السلوكيات الحسنة فوافقت الخير والفطرة الأصيلة في الطفل فتحرّكت معها مشاعره بالحب والإعجاب عندما رأى هذا السلوك من والده حتى وإن لم تكن علاقته جيدة مع والده، فأحيانًا يقلد من لا تربطه به أية علاقة، كموقف إنساني تأثر به فسار على نهجه.

فماذا إذن عن الصلاة كمثال؟

الصلاة كعبادة لن تستطيع أن تصل كمفهوم للطفل الصغير، هي بالنسبة له سلوك يشاهده من والده مجرد من الفكرة وخالٍ من المشاعر، فحتى وإن قلّد والده وهو صغير بالحركات فمثل بالضبط ما يقلد لاعب كاراتيه رآه في التلفزيون، ليس لأنه سيحافظ عليها لاحقًا اقتداءً بأبوه.

ولكن حيث تتأصل الصلاة في نفس الطفل لابد مع مشاهدة السلوك مع تغلغل الفكرة في عقله وتحريك مشاعر مصاحبة للصلاة كسلوك في قلبه.

السلوك.. في المشاهدة المتكررة لوالده وهو يصلي.
الفكرة.. نحن نصلي لأنها طريقتنا في التعبد لله تعالى وهذه طريقة عبادتنا لله كمسلمين.

الشعور.. نحن نصلي لأن الصلاة هي الرابط الروحاني بيننا وبين الله تعالى والطاقة التي تمدنا بالراحة والسكينة والقرب من الله تعالى الذي يحبنا ونحبه، وهي الجرعة الإيمانية التي تجعلنا راضين وممتنين لله تعالى، وتحميننا من القلق والاضطراب والاكتئاب والإحباط.

حين تصل هذه التركيبة الثلاثية للطفل فسيكون والده قدوة له في الصلاة، حينها لن يحتاج الأبناء أن نأمرهم بالصلاة، لأنهم سيكونون حريصين على تقليدنا في الصلاة من أنفسهم.

لقد رأيت طفلاً في التاسعة من عمره يترك الألعاب والملاهي وأصحابه المندمجين في اللعب ويذهب ليصلي بجانب عمود في مدينة الملاهي. فما دفعه على ذلك؟

ولكن ما يحدث هو أننا بدون أن نعي وبحسن نية فإننا نريد أن نحول الصلاة لسلوك معتاد مجرد من المشاعر ومن الفكرة، فيهرب منها الأولاد بدلاً من أن يقلدونها.

انظر كيف اتبع المسلمون النبي ﷺ، لقد كان نموذجاً يقتدى لأنه استطاع أن يقنع بالفكرة، ويحرك المشاعر.



القيم وقوة الدين

إننا نواجه مشكلة أن أبناءنا ينظرون إلى حضارة الغرب نظرة انبهار وإغراء بالتقليد والمحاكاة العمياء، بل إن بعض الآباء يساهمون في ذلك بشكل كبير، ولا يعلمون أن الغرب نفسه يعاني من سنوات مضت من افتقاد القيم الدينية والاجتماعية التي تحمي الأبناء من تيارات الانحراف والشذوذ العاصفة، بعدما ارتفعت معدلات الجريمة وإدمان المخدرات والجنس وظاهرة الانتحار بين الشباب.

إنهم يئنون ويصرخون بالعودة لتربية الأبناء على القيم الروحية والاجتماعية، ولقد انتقلت إلينا عدوى الأمراض الخلقية وآثارها الجانبية عن طريق العالم المفتوح الذي نعيش فيه، وحيث إننا لن نستطيع أن نوصد عليهم الأبواب، فلا بد لنا من وقفات في حياتهم تضع النقاط على الحروف، فلا تهاون في القيم والأخلاقيات التي ينفرط عقدتها حبة وراء حبة الآن.

كيف نعاني معاناة الآخرين ونحن نملك ما لا يملكون، فلدينا المعين الذي لا ينضب أبداً، منهج ومبادئ سامية نسير عليها، وقيم روحية نستمد منها القوة والراحة والطمأنينة، أسوار وقلاع أخلاقية تحمي أبنائنا من أي رياح عاتية تهب علينا بسبب ذلك العالم المفتوح، لدينا الدين المتين، فلماذا لا نوغل فيه برفق كما أمرنا النبي ﷺ.

إن الدين والقيم الروحية تمنح الأبناء الشجاعة التي تمكنهم من قول لا للخطأ ولكل ما يعارض قيمهم ومبادئهم، وتمنحهم عدسة يرون بها فيما وراء الأشياء الظاهرية سريعة الزوال، وتجعلهم قادرين على مقاومة الإغراءات.

إن تربية الأبناء الصحيحة على الإيمان تجعلهم يرون الله ويقدرونه حق قدره في حفظهم لأنفسهم ومعاملتهم مع الآخرين.

نحن نحتاج لغرس قناعات في نفوس الأبناء يستقون منها قراراتهم عندما لا نكون موجودين، وعندما لا يكون هناك قانون يحاسب أو سلطة تعاقب.

فعندما انقطعت الكهرباء عن بعض الولايات في أمريكا وكندا لعدة ساعات سنة 2003 عمت الفوضى وزادت حالات السرقة والسطو والاعتداء.

بينما عندما حدثت كارثة تسونامي في اليابان وتشرد الكثير من اليابانيين، ظهرت صورة الشعب الياباني القائم على القيم الروحية المستمدة من ديانتهم التي استطاعوا أن يحافظوا عليها حتى الآن، حيث التقطت لهم صورًا يتلقون المعونات الغذائية وهم يقفون بانتظام وهدوء في طوابير دون أن ينظمهم أحد.

وفي صورة أخرى لإمبراطور اليابان وهو يجلس معهم على الأرض في ملاجئهم يواسي الصغير والكبير.

ثم انظر ظاهرة الغش والتهرب الضريبي التي تنتشر بصورة كبيرة، بينما المسلمون يدفعون الزكاة المفروضة عليهم عن طيب خاطر، قارن من يتهربون من الضرائب بمن يتهربون من دفع الزكاة.

إننا نحمل في ديننا كنزًا عظيمًا من أخلاقيات ومبادئ رائعة حرامٌ هدرها.



كيف نغرس القيم في نفوس أبنائنا؟

1. يجب أن تكون هناك رؤية من الآباء ومنظومة قيم واضحة لما يريدون عليه أبنائهم من علاقة قوية بالله والتزام - ما يتعلق بالانتماء والهوية - علاقته بوالديه - الصحة والرياضة - القيم الأخلاقية - دراسته.
2. التربية بالتكرار والتنويع، فالدواء لا يؤخذ كله مرة واحدة ولكن لكي يعطي النتيجة يؤخذ بأقدار وعلى مراحل.
3. دراسة القيمة المراد غرسها ومعرفة كل المعلومات عنها حتى أستطيع شرحها لابني.
4. تفهم طبيعة الأبناء، واختلاف الظروف المحيطة بهم، والمرحلة التي يمرون بها.
5. الحوار والمناقشة مع الأبناء.
6. الحب والتعاطف، فالأحضان الأبوية وتقبل الأبناء على الدوام يجعل الأبناء عجينة طيبة، وعلى استعداد لتقبل الأفكار.
7. الدعاء لله بلا انقطاع.

هناك ثلاث مراحل لتكوين القيم

يقسم د. جاسم المطوع تكوين وغرس القيم لثلاث مراحل:

1. مرحلة الغرس

وهذه المرحلة يتم فيها إعطاء المعلومات عن القيمة والتعريف بها، كشرح الدرس لأول مرة في المدرسة.

2. مرحلة التعزيز

وهي عن طريق القدوة ومشاهدة هذه القيمة في والديه، وتكرار المعلومات، وتنويع الأساليب لتوصيل القيمة، والتعليم عن طريق الموقف، إعطائها كدرس بالمدرسة، أو قصص تعزز القيمة، أو قراءة كتاب عن القيمة.

3. مرحلة التفاعل

وهي مرحلة التطبيق، وتجربة الابن للقيمة والمضي قدماً بها، أي عندما تصبح جزءاً من شخصيته.

لهذا نغرس القيم ولا نلقى استجابة من الأبناء؟

1. عدم تفهم المرحلة التي يمر بها الأبناء، فالأطفال من سن سنتين إلى خمس سنوات يحبون المعارضة، ومن 5 إلى 9 سنين يحبون المناقشة، وفي مرحلة المراهقة فإن مفهوم الحلال والحرام، وفكرة المبادئ والقيم تكون غير قوية وغير واضحة لدى المراهقين، ولذا فهو يميل إلى تجربة الأشياء وكل ما هو ممنوع، كأنه يتحسس الأشياء ليتعرف عليها.
2. غرس القيم يحتاج لوقت طويل، ولكن يستعجل الآباء دائماً لجني الثمار، فهم يريدون أن ينهوا إلى القيمة مرة واحدة فينصاع الأبناء وينفذون مباشرة، ولقد ظل النبي ﷺ يغرس القيم في أصحابه ثلاثة عشر عاماً، ثم بعد ذلك أخذ يعلمهم الأحكام عشر سنين.
3. فكرة أن توعية الأبناء بالصواب والخطأ ثم قيام الأبناء بمخالفة ذلك لا يتقبلها الآباء ويعتبروها عنداً وعدم احترام للوالدين فيلجأون للغضب والعصية والتعنيف، مما يدمر التربية ويجعل الآباء يخسرون من الجولة الأولى.

4. استعداد الأبناء للاستجابة تختلف من طفل لآخر ومن سن لآخر، وتبعًا للبيئة التي يعيش بها الطفل، فقد تكون بيئة مغلقة أو بيئة اجتماعية، أو مع الجد والجدة، وقد تختلف المدرسة من حكومية إلى خاصة وتختلف معها القيم والمعايير ويختلف الأصدقاء، والطفل الأول غير الطفل الأخير في الأسرة.

وهناك طفل يستجيب مباشرةً، وهناك من يستجيب بعد شهر، وهناك من يستجيب بعد سنة، وهناك من يستجيب بعد سنوات.

5. غير الأسلوب الذي تتبعه، ولا تتبع أسلوبًا واحدًا، وكن حساسًا لما يشعر به ابنك أو حالته المزاجية، وتأكد من أن الكوب فارغ قبل أن تملأه مرة أخرى، فقبل أن تتكلم عن شيء انصت أولاً لما يشغل بال ابنك حتى يفرغ شحنته.

يحكي أحد الآباء: كنت أحدث ابني ذا السابعة عشرة من عمره عن أمجاد المسلمين وإنجازاتهم، كنت أحدثه عن كيف بُنى الحضارات بالقيم الأخلاقية والاجتماعية، ومن يحمل هم الأمة، وبصفتي مدرس

تاريخ، فكنت أستفيض له في هذه المواضيع وما هو دور الشباب في النهوض بالأمة مرة أخرى، كنت أحدثه كثيرًا وفي مناسبات كثيرة، وكان يظهر لي على ما يبدو الاهتمام، دون أن يشاركني الحديث، وفي مرة من المرات قال لي: أبي.. لقد ربيتني على الصراحة، وأنا أقول لك الصراحة: إن جلوسنا مع بعض صار مملاً جدًا، وأنا أحاول أن يكون قصيرًا قدر الإمكان، أنت يا أبي في وادٍ وأنا وادٍ آخر، أنت تريدني أن أكون مصلحًا وبانيًا لنهضة الأمة، ومسئولًا عن ترقية ما مزقه الآخرون، وهذا لا يدخل في حساباتي اليوم لا من قريب ولا من بعيد، أنا الآن مشغول بثلاثة أمور: الحصول على كمبيوتر جديد، وبلوغ الثامنة عشرة حتى أحصل على رخصة قيادة السيارة، وحل مشكلتي مع ثلاثة من أصدقائي المتحالفين ضدي.

من الوسائل التي تعين على غرس القيم

1. القدوة.

2. القرآن وقصصه.

3. القراءة.

4. القصص.
5. الحوار والاجتماعات العائلية.
6. الرحلات ومعسكرات الكشف.
7. ممارسة الأنشطة والهوايات كالموسيقى والفروسية وكرة القدم وغيرها.

كيف نحرص على ثبات الأبناء على حسن الخلق.. ونحن نجد الأبناء يتقلبون؟

يقول ﷺ: «إن القلوب بين إصبعين من أصابعه يقلبها كيف يشاء».

بعد اجتهاد الآباء في تربية الأبناء فإن الهداية بيد الله تعالى، لا ضامن لتقلبهم أو حافظ إلا هو تعالى، ولذا يقول الله عز وجل: {وليشخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله} وليقولوا قولاً سديداً {سورة النساء}.

ولكن لابد من الانتباه إلى ملحوظتين عند التربية:

1. لابد أن تغلف الثقة علاقة الأب والأم بابنهم، وعدم التشكيك أبدًا في كلامه، فإن قال إنه صلى فأصدق على كلامه، وإن قال إنه يقول الحقيقة ولا يكذب فقل له: أثق بك وأعلم أن ابني صادق دائمًا حتى وأنت تعلم أنه يكذب، فجزء من عملية التربية هي القائمة على الثقة، فتوقع التسامح والعفو مع الثقة من الأبناء تجعلهم يرجعون عن خطأهم بسرعة، والله المثل الأعلى في التوبة، فالباب المفتوح فتح القلوب دائمًا للخير.

2. العلاقة القوية بين الآباء وأبنائهم تحمي الأبناء من الوقوع في الخطأ.



لعبة القيم وقلوب الأبناء ودور الآباء

إن تحدي الآباء الأكبر ليس في غرس القيم، فالحقيقة أن القيم موجودة بالفعل في قلوب الأبناء بالفطرة، ولكن التحدي الأكبر في ترتيب الأولويات في مدرج قيمهم، فدورنا الفعلي هو مساعدة الأبناء على إعادة ترتيب أولويات القيم لديهم، بعد الفوضى العارمة التي تسبب بها المجتمع والأصدقاء والشاشات، وكثيرًا ما نكون جزءًا من هذه الفوضى، إنها كلعبة بازل متناثرة في الأرجاء، فإن لم نساعدهم على إعادة تنظيمها ووضع كل جزء منها في مكانه الصحيح، فستكون النتيجة بالتأكيد ضياع أجزاء من اللعبة واختفائها.

فالإنسان صادق بالفطرة ويجب الصدق، فإذا كان الصدق من أولويات قيمه فسيفضل أن يقول الصدق حتى وإن تعرض للأذى، ولكن إذا كان يمثل له قيمة هامشية لديه، فسيصدق أيضًا، ولكن بعد نفاذ كل ما يضطره للكذب، وبعد انقضاء مصالحه الشخصية، وبعد أن

يعقد صفقة مربحة، وبعد أن يأمن العقاب على شيء فعله، وبعد أن يطمئن على صورته المثالية أمام الآخرين.

وإن كانت قيمة مثلاً كقيمة المال في المقامات الأولى لديه، فلن يتورع من أن يضحي بقيم أخرى قيمتها لديه في المراتب الدنيا مثل الصدق والأمانة وحفظ العهود وغيرها، أما إذا كان المال في مرتبة أدنى من القيم الخلقية مثلاً، فسيفضل الجوع على أن يمد يده على حرام أو أن يتعدى على حقوق الغير، وهكذا.

كانت السنة التي حدث بها فوضى الغش الجماعي، وتسريبات الامتحانات، وظاهرة شاومينج، هي نفس السنة التي كانت بها حورية في الثانوية العامة، لقد اختبرها والدها ذات يوم عندما حدث فيه تسريب لامتحان الدين في الصباح الباكر قبل أن تذهب للامتحان وقال لها: ألقي نظرة على الامتحان قبل أن تذهبي.. فرفضت بشدة، وقالت: في لجنة الامتحان أرى الطلبة يغشون بكل سهولة والمراقبون لا يحركون ساكناً بل يساعدونهم على ذلك، وبالرغم من ذلك لم أفكر أبداً بالغش

حتى وإن كنت لا أعلم الإجابة، فكيف لي أن أغير مبدأي الآن وفي امتحان الدين؟

كان بعض زميلاتها أحياناً يحاولون استمالتها لكي تقوم بمساعدتهم بالغش في الامتحانات وكانت ترفض وبشدة، وعندما دخلت الجامعة، أول مبدأ وضعته بقوة مع زميلاتها وزملائها أنها لا تغش من أحد ولا تساعد أحداً على الغش.

لقد ساعدها مدرج القيم لديها بأن تعلي قيمة الأمانة على قيمة الصداقة أو الزمالة، أو قيمة النجاح نفسه.

إن الأبناء يحتاجون لجوانب خلقية عدة منها:

• الجانب الروحاني والإيماني

والذي يتمثل في علاقته بالله تعالى، وارتباطه بصلواته وفروضه.

• الجانب الاجتماعي

والذي يتمثل في كيفية التعامل مع الآخرين.

• الجانب السلوكي

والذي يتمثل في التحكم في غضبه، وحزنه، ومشاعره.

• جانب مهارات الحياة

والتي تفيده في حياته العملية.

• الجانب المالي

كيف يتعامل مع النواحي المالية.

إن جميع هذه الجوانب مهمة ولازمة لبناء شخصيته، إلا إنها إذا تعارضت مع بعضها البعض فلا بد أن يعرف كيف يرتب أولوياته، وعلى أي أساس يختار قراراته.

نحن نريد لأبنائنا أن يعرفوا الهدف من خلقهم حتى يرسموا لأنفسهم الطريق الذي يسرون عليه.
فالهدف من خلقي أن أكون:

• إنسان

• عابد لله تعالى {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}

الذاريات 56.

• خليفة في أرض الله {وإذ قال ربك إني جاعلٌ في الأرض

خليفة} البقرة 30.

فعندما يكون هناك هدف ورؤية يعيش من أجلها فلن يتساءل في يومٍ

من الأيام كما الكثير من الشباب الذي ضل طريقه:

لماذا خلقت؟

من أكون؟

ما فائدة هذه الحياة؟



الأبناء واختلاف قيم الوالدين

أم تقول: "زوجي رجل أعمال ناجح يهتم للمال كثيرًا، ويتحدث عنه كثيرًا بحكم عمله، كثرة الحديث عن المال، جعلت ابني يفكر بطريقة مادية دائمًا، فقد كان والده يغدق عليه الهدايا والألعاب، ويجعله مكافأة لتفوقه، أو سلوكه الحسن، حاورته كثيرًا عن أهمية أن يعلى القيم الأخرى، ونقلل الحديث عن المال من أجل ابننا فلم يقتنع، وقال: أنا رجل أعمال فعن ماذا تراني أتحدث؟ فماذا أفعل؟"

أب يقول: "أربي ابني على الخشونة حتى يصبح قويًا، ويستطيع مواجهة الحياة، أشعر أن أمه تهدم كل ما أفعله، فهي تدللني دائمًا، وتضرب بكلامي عرض الحائط، فعندما أمنع عنه المصروف تعطيه هي، حاولت معها كثيرًا، ولكن بلا فائدة؟"

أب يحكي كيف يتعاون هو وزوجته على إنبات الأبناء نباتًا صالحًا، يقول: "إننا نتعاون على تربيتهم على الأخلاق وحفظ القرآن، وتعليمهم

أفضل تعليمًا، نحن نتفق على مبدأ التعاون فيما بننا على صلاح الأبناء،
ولذا فأبناؤنا والحمد لله يتسابقون على المسجد لكل صلاة، ويحفظون
كتاب الله، والأحاديث وغيرها من كتب الفقه، ويعكفون دائمًا على قراءة
الكتب، ويحرصون على العادات السليمة، لقد رببتهم حتى يصبحوا
طلاب علم".

هؤلاء النماذج الثلاثة ليسوا فقط من يمثلون الأسر في المجتمع الذي
يتربى فيه الأبناء، بل إن هناك من يتربى بلا أب، أو بلا أم، أو بلا أب أو
أم، أو يجد نفسه في الشارع بلا مربى وهكذا.

كلنا نتمنى أن نكون مثل ذلك الأب وتلك الأم المتعاونين في تربية
أبنائهم على نفس القيم حتى يصلح الأبناء، كلنا نغبط ذلك النموذج،
ولكن بالرغم من أن هذه الصورة للأسرة المثالية، إلا أنه على أرض
الواقع لا تمثل الواقع نفسه إلا نادرًا.. كيف؟

يأتي الأب محملاً بقيم بيئته وتربيته، وتأتي الأم محملة بقيم بيئتها وتربيتها، ثم يأتي الأبناء متحيرين بين قيم الأب والأم، فتلعب لعبة الصراعات في قلوبهم، والذي يكسب فيها ذو العلاقة الأقوى بالأبناء.

فحل مشكلة الأم الأولى في أن تنظر فيما بين أيديها من نعم وإمكانات لدى أبنائها غير متوفرة لغيرها من الأبناء، فعلى الأقل لديهم أب حنون وكريم، أو لديه من الصفات الحسنة الأخرى الكثير، بينما هناك من الآباء مالا يطيقونهم أبنائهم محملاً من قسوتهم، أو بخلهم أو إهمالهم لهم.

ونفس الوضع بالنسبة للأب الذي يشتكي من زوجته التي تدلل الولد، ويخاف عليه من أن يفسد، فهناك من ليس له أم تهتم به ويتقاسمون حمل التربية مع بعضهم البعض، وهناك من الأمهات من تهمل أبنائها أو تقسو عليهم، أو تعلمهم أشياء وخصالاً سيئة.

إذن فالحل لتغيير القناعة لدى الابن التي لا يرغب بها الأب أو الأم ولا يعين على ذلك الشريك الآخر في هذه الخطوات:

1. أن تقوي علاقتها بابنها جيداً، وتشبعه عاطفياً من الحب

والحنان.

2. أن تفتح معه خط الحوار والتواصل المستمر.
3. تشاركه اهتماماته.
4. تتعاطف مع مشكلاته.
5. تنتهز الفرص لتبديل القناعة الخاطئة لديه بالقيمة الصحيحة، عن طريق موقف، أو عبارة، أو قصة، أو حكمة تكررهما على مسامعه مرارًا.
6. لا تمل ولا تكل من المحاولات المستمرة.
7. ومن جهة أخرى تعمل على إقناع الأب أو الأب يعمل على إقناع الأم ولكن برفق، وبدون غضب، فإن لم يقتنع فلا ضير وتظل تعمل على نفسها وابنها.
8. الدعاء ثم الدعاء ثم الدعاء.
9. التوكل على الله وتفويض الأمر إليه ليفعل ما يشاء.



الباب السابع

خمس مشكلات تتحدى الآباء وحلولها

✳ تربية المسؤولية في الأبناء.

✳ الطفل المتهرد والعنيد.

✳ الالتزام والصلاة.

✳ الدراسة والذاكرة.

✳ أبناؤنا والتكنولوجيا.



تربية المسؤولية في الأبناء

ذات يوم سألتني ابنتي حورية ذات السابعة عشر ربيعاً كيف أتعامل مع زملائي، فقد كانت حديثة عهد بالجامعة، هل أتجنبهم تماماً أم أتعامل معهم كما أتعامل مع زميلاتي.

لقد كان ذلك ما سألتني عنه ابنتي منذ سنة تقريباً عند دخولها الجامعة، وها هي الآن تذكرني بهذا الحديث الآن وتستعيد ما قلته لها آنذاك.

أتذكرين يا أمي ما قلتيه لي فأنا لم أنسه أبداً، وهو بالضبط ما أسير عليه منذ ذاك الحين فقد قلتي لي: لقد كبرتِ يا ابنتي وأصبح عقلك أنضج من ذي قبل، وتستطيعين أن تفرقي بين الصواب والخطأ، وبين الحلال والحرام، فتصرفي على هذا الأساس، وتأكدي أنني أثق بك تمام الثقة، فغداً ستتخرجين من الجامعة، وستعملين إن شاء الله، ومن المؤكد أنك ستتعاملين مع زملائك من الرجال والنساء، فانظري كيف ستتعاملين معهم وتعاملي مع زملائك في الجامعة بنفس الطريقة.

أذكر أننا تحدثنا كثيرًا يومها ووضعنا سويًا القواعد والحدود، فقد اتفقنا على أن:

1. أنها لم تختَر هذه الكلية عشوائيًا بل اختارتها بهدف أن تتفوق فيها لتسلك سلك القضاء مثل أبيها، وهي أيضًا تحب مجال التنمية البشرية، فأحلامها كثيرة ولا مجال لتضييع الوقت أو الحياء عن المسار الذي ترسمه لنفسها.

2. لا مجال لأن نسمح لأنفسنا في الدخول في علاقة غير ناضجة وغير مناسبة من حيث الخبرة أو التوقيت والتي يمكن أن تتسبب لها في الكثير من الآلام والانكسار والإحباط هي في غنى عنه، غير ما يحسب علينا اجتماعيًا وبنال من سمعتنا.

3. هناك حدود شرعية وضعها لنا الدين وحفظ من الله تعالى لنا لا يمكن أن نتغافلها إن كنا نريد أن نرضي الله تعالى وأن نعيش سعداء، هذه الحدود تشمل المظهر والتعامل مع الناس وطريقة الكلام وحتى في المزاح والضحك.

لم أفتح معها هذا الموضوع مرة أخرى أو أتطرق إليه بالحديث أو السؤال إلا إذا أرادت هي أن تسألني عن شيء من هذا القبيل فأفتح لها صدري ونتحدث كما تشاء.

أين أبناؤنا من المسؤولية الآن؟

الاتكالية وفقدان الحماس وروح المبادرة، والاعتماد على الأب والأم في كل شيء من أكثر سمات هذا العصر ظهورًا في الأبناء سواء كانوا صغارًا أم كبار، كل ذلك أضاف أعباءً فوق أعباء على الآباء أثقلت كواهلهم وأثنت ظهورهم.

إن أغلب شكاوى الآباء من أبنائهم هي الإهمال واللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية، غير أنهم بدون قصد هم من تسببوا بذلك، فهناك ثلاثة أخطاء غالبًا ما يقع فيها الآباء وهي عدم تعويد أطفالهم من بداية نعومة أظفارهم على الاعتماد على أنفسهم إما خوفًا عليهم أو حرصًا على إرضائهم، والخطأ الثاني هو عدم الثقة والتشكيك في قدراتهم دائمًا، والخطأ الثالث هو اللوم والتأنيب المستمر لهم.

وأنا لا أعفي نفسي من هذه الأخطاء مع أولادي، بل إن هذا الموقف مع ابنتي جعلني أتساءل لماذا لا يفكر ابني ذو الاثنى عشر عامًا بهذه الطريقة، لماذا لا يشعر بالمسؤولية تجاه دراسته أو صلاته.

ووجدتني أمارس الخطأ الثالث معه بكل جدارة أنا ووالده، وهذا ما لم أفعله مع أخوته البنات، فأنا دائمة اللوم والتأنيب له أنا ووالده على لعبه وتقصيره في المذاكرة، أعتقد لأنه الولد الوحيد ذلك ما دفعنا للخوف عليه أكثر، أو لأن الولد يميل إلى الحرية والتمرد أكثر، لا أعرف.. ولكني أيقنت في ذلك الوقت أن التربية تحتاج إلى الصبر والدعم المستمر.

إن اللوم والتأنيب يضع الابن دائمًا في حالة دفاع عن نفسه، والاجتهاد في إيجاد المبررات والأعذار التي ترضي ضميره وتعفيه من المسؤولية، ومع استمرار هذا التأنيب والتوبيخ يصل لحالة من عدم الامبالاة والاستهتار، لأنه في الأخير يكون قد فقد الثقة في قدرته على إرضاء والديه أو إرضاء نفسه حتى.

فلك أن تتخيل مديرك وهو يعنفك ويؤنبك دائماً على التقصير في العمل، فهل يمكن أن يكون ذلك دافع لتحفيزك على الجهد في العمل أكثر؟! إن الأمر لا يعدو إلا أن يصيبك بالإحباط وتخطيم معنوياتك، فهو يجعلك مضطراً دائماً للدفاع عن نفسك والتهرب من العمل، ودائم الحنق على المدير.

ولذلك عندما سئل أنس ابن مالك عن معاملة النبي ﷺ معه وقد كان صغيراً.. قال: "خدمت النبي ﷺ - عشر سنين، فو الله ما قال لي: أفٍ قط، ولا قال لي شيءٍ فعلته: لم فعلت كذا؟ ولا شيءٍ لم أفعله: ألا فعلت كذا؟" رواه البخاري.

إن ما يقابل التأنيب والتقريع للأبناء هو المدح والثناء على أفعالهم مهما كانت صغيرة، وتوصيل الإحساس لهم بأنهم جيّدون وجديرون بالثقة هو أقوى أسلوب لتغيير عاداتهم وسلوكياتهم الخاطئة.

فالثقة والدعم والتشجيع هو كل ما يحتاجه الأبناء ليكونوا ناجحين وملتزمين، وهو ما يجعلهم يشعرون دائماً بأن هناك مسؤولية ملقاة على عاتقهم بأن يكونوا جديريين بهذه الثقة، حتى وإن قابلوا لحظات إخفاق

في حياتهم فهم يملكون القدرة على العودة بأسرع مما نتوقع لتصحيح مسارهم.

وقد خلق الله تعالى الطفل وخلق فيه ولع التعلم، والتجربة والخطأ، والمبادرة، والميل للاعتماد على النفس، وتحمل المسؤولية، وحب الاستطلاع، والرغبة القوية في تحقيق الإنجازات، كلها سجايا فطرية لتؤهله للقيام بمهمته العظمى التي خلقه الله تعالى من أجلها.

وبينما خلق الله الإنسان ليصبح خليفةً في أرضه، خلقنا نحن إنساناً اتكاليا عالمة على المجتمع وأفسدنا تلك السجايا بداعي الحب والخوف والجهل في أحيانٍ كثيرة.

عندما قرأت السيرة النبوية وتأملت تربية النبي ﷺ لأبنائه وأصحابه لم أجد ذاك الكم الهائل الذي كنت أتوقعه من القواعد والإرشادات والقوانين التي يجب علينا أن نتبعها وأن نلزم بها أبناءنا ليصبحوا أفراداً صالحين، ولكن النبي ﷺ كان غالب تربيته وإرشاده متجهاً إلينا نحن، فلقد كان بفطنته يعلم أننا إذا أصلحنا من أنفسنا فسينصلح أبناءنا تبعاً بالملاحظة والقدوة، لم يطلب منا أبداً أن نصلح أبناءنا ولكن نصلح

خلقنا مع أبنائنا، ثم نتركهم على سجيّتهم فقط، ونفقد نفوسهم الطريق، ولا نجعل من أنفسنا قيمين عليهم ولكن نترك لهم مجرد إشارات مضيئة توجههم للطريق الصحيح ونتركهم بعد ذلك يكملون الطريق بأنفسهم.

كيف نربي في أبنائنا تحمل المسؤولية والاعتماد على الذات؟

لقد كان لدي اعتقاد راسخ بأن التربية قائمة على تعويد الأبناء وتربيتهم على تحمل المسؤولية والاعتماد على الذات، فالمسؤولية كما تعليم ابنك السباحة، فإن ظللت ممسكًا به خائفًا عليه من الماء فلن يتعلم أبدًا السباحة!

ولكن كيف أُلقي ابني في الماء وأنا مطمئنٌ عليه بأن لا يغرق؟! لقد كان ردي على كل أم تعاني مشكلة مع ابنها هو أن ارفعي يديك عنه، دعيه يتحمل مسؤولية قراراته، دعيه يخطئ ويتعلم من خطئه، وعلى الرغم من قوة هذا الاعتقاد بداخلي، وعلى الرغم من أن هذا هو نهجي مع أولادي، إلا أنني دائمًا ما أعود لأتساءل:

لماذا ما زلت أخشى على ابني من الغرق؟
أنا مقتنعة تمامًا أنه لا مسؤولية بغير حرية، ولكن.. ماذا لو أُسْتُغِلت
هذه الحرية بطريقة خاطئة من قبل الأبناء؟
فكما أنتجت الحرية أبناءً صالحين وناجحين أنتجت أيضًا أبناءً طالحين
وفاشلين، فأين هي المشكلة؟

المشكلة في أن هناك عنصرًا ناقصًا من هذه المعادلة، فما هو إذن؟
لقد اكتشفت أن المسؤولية لا تساوي حرية فقط، ولكن تحتاج
لتدريب قبل إعطاء الحرية، فعندما تلقي ابنك في الماء وتتركه فهناك
احتمالان: إما أن يتعلم السباحة بالفعل أو أن يغرق.
ولكن إذا علمته ودربته كيف يسبح ثم بعد ذلك تركته فإنه سيتعلم
بالتأكيد دون أن يغرق بإذن الله.

لقد تذكرت عندما كنت أوقظ أبنائي من النوم وهم صغار ليستعدوا
لموعد باص المدرسة، فإذا كبروا كفاية فكنت أوقظهم مرة ثم إن لم
يستيقظوا فكنت أتركهم، ثم بعد ذلك أخبرتهم بأنهم كبروا كفاية
ليتحملوا مسؤولية إيقاظ أنفسهم، ولذا فقد أصبحت مسؤوليتهم الآن،

وحتى يعلموا أني جادة في كلامي، لم تكن عندي مشكلة إن فاتهم ميعاد الباص مرة أو مرتين وفوتوا الذهاب إلى المدرسة.

فأنا أتذكر عندما كان أبي يوقظني، وكان يناديني كي أستيقظ أكثر من مرة كنت أماطل كثيراً بالرغم أني كنت في الجامعة، فأنا أعرف أن أبي سيعود مرة أخرى ليوقظني، ولكن عندما كنت أعلم أنه ما من أحد سيوقظني كنت أهرع من السرير لألحق بميعاد المحاضرة، فاتبعت ذلك مع أولادي.

غير أن عبد الرحمن يماطل عن إخوته قليلاً، ولذا فكنت أتخذ قراراً بأنه إن فوت ميعاد المدرسة ولم يذهب فقد كان في هذه الحالة يُمنع من مشاهدة التلفزيون أو الكمبيوتر أو الخروج هذا اليوم.
فلكي تعلم أبناءك المسؤولية فلا بد أن تدربهم عليها أولاً.

الدراسة

علمهم كيف يضعون جدولهم للمذاكرة وكيف يذاكرون، كيف يحبون التفوق ولماذا، وكيف يحرصون على واجباتهم.

الصلاة

كيف يحرصون عليها ولماذا، وكيف نتوضأ، وكيف نصلي، ونظل حريصين ومتابعين حتى يعتادوا عليها.

اتخاذ القرارات

يجب أن يتعلموا القيم والمبادئ التي يقيمون عليها قراراتهم وأولياتهم، يجب أن يتعلموا هذه القيم من خلال توعيتهم بها، ومن خلال المواقف اليومية.

اختيار الأصدقاء

كيف يختارون أصدقاءهم، وعلى أي أساس.

أعمال المنزل

يجب أن نعلمهم أن كل فرد في الأسرة يقوم بمهمة ما للمساعدة، وكيف يقوم بها.

لقد أعجبتني الملكة رانيا عندما سألتها أوبرا وينفري مذيعة البرامج الشهيرة كيف تربي أولادك وهم ملوك؟

فأجابت: ممنوع دخول الخدم غرف أولادي أو ترتيبها أو أن يغسلوا أطباقهم.. وممنوع على أولادي أن يطلبوا من الخدم كوب ماء أو عصير فيجب أن يجلبوه بأنفسهم.. فهم يرتبون غرفهم وألعابهم ويغسلون أطباقهم ويحضروا لأنفسهم الماء والعصائر.

كذلك يمنع الألعاب أو الهدايا إلا بالعيدين فقط وأعياد ميلادهم.. حتى نجاحهم بالمدرسة غرست فيهم أنه لأنفسهم فقط وأن دراستهم شأن يخصهم.

وبالرغم من أهمية تعويد الأبناء على الأعمال المنزلية وتنظيف غرفهم بأنفسهم، والمساعدة في أعمال المنزل وجلي الصحون، وإنجاز فروضهم المدرسية بمفردهم، وهكذا.. إلا أنها ليست بحجم الفاعلية والتأثير في تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الأبناء الذي كنت أتوقعه إذا اعتمدنا عليها فقط كطريقة لتعليمهم تحمل المسؤولية، فالمحاولات المستمرة والمضنية أحياناً لإجبار الأبناء على الطاعة هي سبباً أدعى ليفقدها فاعليتها، إن الفاعلية لا تأتي من خلال أوامر ونواهي ظاهرية، ولكنها تأتي من خلال زرع القيم والمبادئ.

تلك النظرة القاصرة لتعليمهم المسؤولية هي ما جعلتني في معارك مستمرة لسنوات طويلة مع أبنائي، فكيف لهم أن يكونوا ناضجين طالما ما زالت الفوضى تعم غرفهم، أو عندما يتأخرون عن مواعيدهم، أو عندما ينسون عمل فروضهم.

إنني لم أر المسؤولية في أبنائي في الغرف النظيفة أو الالتزام بالمواعيد أو في الدرجات المرتفعة، ولكنني وجدت عندما قال لي ابني ذات يوم: لقد وجدت صديقي في مأزق فلم أشأ أن أتركه رغم معرفتي بعواقب تأخري عن المنزل، وعندما أرى بناتي يتحدثن بطلاقة مع الآخرين ويبدن آرائهن بكل ثقة، أو عندما كن يحملن همي عند حملي بأختهم الصغيرة ويقمن بأعمال المنزل بدلاً مني، وعندما قرر أولادي أن يستقطعون جزءاً من مصروفهم ليعطوا المحتاجين، وعندما اختارت ابنتي حورية الكلية التي أرادت على أساس أحلامها وليس مجموعها، رأيتها في حرص ابنتي آمال على الصلاة وعلى معرفة الحلال والحرام، ورأيتها في اختياراتهم للكتب التي يقرؤونها وتقييمهم لها، رأيت

المسؤولية حتى في اختياراتهم الخاطئة وقدرتهم على التعلم منها وتجاوزها والبدء من جديد، لقد رأيتها في قراراتهم التي يتخذونها بأنفسهم في كل أمور حياتهم، واكتشفت أن المسؤولية ليست بصنع نماذج آلية في قوالب من صنع آبائهم، بل بتربية أشخاص صالحين من صنع قراراتهم واختياراتهم ومبادئهم وقيمهم، فتربية المسؤولية في قلوب الأبناء وعقولهم أكثر بكثير من مجرد فروض يومية، ولكنها تأتي عن طريق غرس قيم وأخلاقيات ثم إعطاء الحرية لهم.

فلكي تصبح المسؤولية وتعيدها للأبناء ذات فاعلية لا بد من أربعة أشياء:

1. الحب والحزم والتعاطف

فإشباع الطفل بالحب وملء الخزان العاطفي لديه يولد لديه الشعور بالمسؤولية التي تجعله مستحقاً لهذا الحب، والحزم والصرامة في تطبيق القواعد تعي له رسالة واضحة بالانضباط، على أن يغلف الحزم بالحب والتعاطف مع الأولاد.

فمثلاً

علاء: صديقي أحمد يملك موبايل حديثاً وأنا أريد واحداً مثله.

الأب: أتريد موبايل مثل صديقك؟

علاء: أتفهم شعورك بأنك تريد أن تمتلك موبايل حديثاً مثل صديقك، لا بد أنك تشعر بالحرج لأنك تمتلك موبايل أقل منه في الإمكانيات.

علاء: نعم يا أبي.

الأب: ولكن للأسف ليس من الممكن أن نشترى واحداً، لسنا مثل أحد.

علاء غاضباً: يصعد لغرفته متذمراً.. ولكن الأب مصمم على موقفه.

2. غرس القيم والمبادئ

إن ما يدعونا لاستخدام العقاب هو حاجتنا لتعزيز القواعد عندما لا يستطيع الأبناء التمييز بين الصواب والخطأ، وتنمية الشعور بالمسؤولية التي نرجو ليست هي المسؤولية القائمة على الطاعة، بل النابعة من القيم

الإيجابية التي يستقوها من آبائهم أو من مجتمعهم، فإن استطعنا تنمية الضمير وغرس القيم والأخلاق وتعاليم الدين في قلوب الأبناء فلن نكون بحاجة للعقاب حيث سيكون ذلك كفيلاً بتنمية قدرة الأبناء الداخلية على معرفة ما هو صواب وما هو خطأ بداخلهم.

3. التعليم والتدريب

فلا يمكن أن نترك للأبناء الحرية دون أن نعلمهم وندرهم على مسؤولية العمل الذي نريدهم أن يقوموا به.

4. الحرية

لقد أقام الله عز وجل هذا الكون على المسؤولية، فكل خلقٍ من خلقه له وظيفة وله مسؤولية موكلة إليه، وجميع الخلق مسخر للقيام بمسؤوليته، أما الإنسان فهو الخلق الوحيد الذي يمتلك المسؤولية القائمة على الحرية، ولذا فدورنا مع أبنائنا بأن ننمي بداخلهم الشعور بالمسؤولية، يجب أن نتعلم كيف تمنح ابنك المزيد من الحرية وفي ذات الوقت تظل متحكمًا في زمام الأمور.

لقد تعلم ابني تحمل المسؤولية الآن وتدريب عليها؟ هل انتهى دوري إذن؟

إن هناك أربع رسائل لابد أن يعرفها ابنك ويفهمها بعد أن يتعلم الاعتماد على النفس ويصبح إنساناً مسئولاً، وهي رسائل ضرورية لإتمام هذه المهمة على أكمل وجه وهي:

- لا بأس من الخطأ، فسنظل نتعلم دائماً.
- أنت ابني وأنا أثق بك وفي قدراتك.
- أنا والدك وسأظل أحبك مهما يكن.
- ستجدني هنا دائماً من أجلك عندما تحتاج إلي.

وتذكر أن تدريب الأبناء على المسؤولية كمن يسير على الحبل، إذا لم يشعر بالأمان بأن هناك شبكة تحت الحبل تحميه إذا وقع فلن يتعلم أبداً.

وتذكر أن المسؤولية التي تنتظرها من أبنائك لا تأتي إلا بعد:

1. وضع الحدود والقواعد.

2. إعطاء الثقة للأبناء.

3. إفساح المجال لهم للاختيار مع عدم التدخل إلا إذا طلبوا ذلك بأنفسهم.

4. الهدوء والتوكل وتسليم الأمر لله تعالى.

عندما تصبح المسؤولية جزءًا من شخصية الأبناء، فإن مطرقة الضمير ستظل مرافقة لهم طوال حياتهم، تطرق أبوابهم وقلوبهم، ولن تتوقف إلا إذا صححوا مسارهم عندما يضلوا الطريق.

لاحظت عصبيتها وانفعالها التي تحاول جاهدة أن تتجنبها عندما أتحدث معها فلم تكن على طبيعتها المرححة منذ أيام فسألتها: ما بك يا حبيبتي؟ لا أشعر أنك على ما يرام؟ أنت مريضة؟! أهناك أمرًا ما يقلقك أو يضايقك؟!

- لا يا أمي.

- إذن ما بك يا حبيبتي؟

- لا تقلقي علي يا أمي .. فأنا فقط أشعر بالضيق بسبب تقصيري في الصلاة، وأيضًا لست راضيةً عن نفسي في الدراسة والمذاكرة هذه الأيام. لم يكن عندي ما يقال إلا ابتسامة وقبلت على خدها، فلم تكن تحتاج إلى نصيحة أو مواساة، فقط وقفة مع النفس ثم البدء من جديد، فلم تكن تحتاج إلا لثقتي بها أنها ستصحح مسارها بنفسها دون الحاجة إلى محاضرات، فابنتي والحمد لله متفوقة وملتزمة ولن ترضى بأقل من ذلك فالإحساس بالمسئولية يولد الشعور بالذنب عند لحظات التقصير.



الطفل المتهرد والعنيد

"ابني يعاندني وكثيرًا ما يضرب بكلامي عرض الحائط، جدال ولا مبالاة وردود مستفزة".

هذا ما تصرخ به الكثير من الأمهات وخاصة عندما يدخل الطفل في أواخر طور الطفولة وبوادر مرحلة المراهقة، ولقد خضت هذه المعارك مرارًا شعرت فيها بالإنهاك الشديد وكثيرًا ما كدت أفقد السيطرة، وأستطيع أن أتفهم تمامًا ما تشعر به الأمهات في هذه اللحظات من غضب وإحباط وخوف.

ولكن مع تحديات كهذه لا يمكن أن نقف مكتوفي الأيدي مستسلمين لهذه المشاعر السلبية، مستخدمين سلاح الصراخ والتهديد وأحيانًا الضرب، ولنضع نصب أعيننا أن أبناءنا يستحقون الوقت والجهد والسعي لتقديم الأفضل لهم دائمًا.

ولذا فيجب أولاً أن نتعرف على خصائص المرحلة التي يمر بها الطفل، ومن ثم نستطيع أن نفرق بين ما هو طبيعي وما هو غير طبيعي ونتعامل معها على هذا الأساس.

فالطفل يتعامل بالفطرة، ومع ما نسميه نحن عندًا يعتبره هو حقًا مكتسبًا نريد نحن سلبه إياه، فظاهرة الرفض عند الأطفال هي ظاهرة طبيعية، ومحاولة السيطرة عليها بأي شكل كان يعتبرها تقييدًا لحريته، وما يوتر العلاقة دائمًا بين الآباء وأبنائهم عدم تقبل الآباء لهذه الفكرة، فصورة الابن المطيع هي الصورة المثالية التي يتوقعها الآباء دائمًا من أبنائهم، ولكن إذا ما علموا أن هذا العناد هو وسيلتهم الفطرية للوصول إلى الاستقلالية والاعتماد على الذات فبالأكيد سيختلف الأمر، بل إن قمع هذا العناد بأي من وسائل العنف البدني أو اللفظي قد يؤدي إلى تربية طفل ضعيف الشخصية والإرادة.

إن هذا التمرد والعناد هو علامة صحية تمامًا، فنحن لا نريد تربية طفل متبع مسوق بالأوامر، فطريقة القمع والإرهاب في التربية تصنع إما طفلًا منطويًا وإنسانًا مترددًا وجبانًا لا يستطيع أن يواجه أو يتحمل مسؤولية ويحتاج دائمًا إلى من يوجهه ويقوده كما تعود من والديه ما يجعله ينقاد بسهولة لأي شخص كان أو صديق سوء أو جماعة ما مهما كانت

معتقداتها وخلفياتها، وإما طفلاً متمردًا عنيدًا خارج عن السيطرة في أوقات كثيرة.

ولكن يبقى السؤال هنا؟؟!!

كلامٌ جميل ولكن ليس من المنطقي أن أترك ابني دون توجيه أو حماية أو رادع يردده عما يضره.. فما الحل إذن؟

يجب أن نعلم أولاً أن الطفل أو المراهق لا يتمرد أو يشاكس أو يعاند أيًا كان المسمى ليشير غضبنا أو أن يكون ندًا لنا كما نفترض، ولكن من وجهة نظره فهو يدافع عن حقوقه وحاجاته ورغباته، ولذا فبعد فهمنا دوافعه فحتمًا علينا أن نتعامل معه من خلال منطقته، فعملية التربية في الأساس يجب أن تدار بالهدوء والحكمة.

فطريقة تعاملنا نحن الآباء مع الطفل منذ بداية إدراكه هي التي تشكل سلوكياته مرورًا بكل مراحل حياته.. ففهمنا لطبيعة الأبناء والتعامل معهم من هذا المنطلق سيمرر أي عوائق في التربية بهدوء وسلاسة، أما مقابلة العند بالعند والتحدي والعنف فسيحول عملية التربية إلى معارك دائمة وغير متكافئة بين الآباء والأبناء يديرها الأبناء

بكفاءة والذين يرفضون الاستسلام، فالآباء غالبًا ما يعانون من ضيق الوقت الذي لا يسمح لهم بالمرونة الكافية، بينما الأبناء لديهم من الوقت ما يكفي للتحايل والمراوغة، ومع ما يشعر به الآباء من ضغوط تجاه التقصير في تربية أولادهم كالخوف على الأبناء أو التعرض للنقد، وأيضًا اتصال الابن بالعالم أوسع وأكثر تطورًا من والديه وهذه أيضًا ميزة تكسبه خبرات تحايليه أكبر، فيجد الوالدان أنفسهم في معركة خاسرة في النهاية.

ولذا كان الحل في الحوار والتوضيح والإقناع عندما يكون الطفل مدركًا.. أما عندما يكون طفل في الثالثة أو الخامسة من عمره مثلاً فالإلهاء يعد وسيلة ممتازة لصرفه عما يضره.
وإذا رفض وأصر على رأيه؟

أولاً.. كأباء علينا أن نوجه ونوضح ونتحاور عن فكرة الصواب والخطأ، وفي حال لم يقتنع فهنا ما علي إلا أن أتركه لي تجرب ويواجه عواقب قراراته وسوف يتعلم من أخطائه أكثر مما سيتعلم من نصائح وتوجيهات ومحاضرات مطولة لن يقتنع بها حتى يجرب بنفسه وبالتالي

فإنه سيكون أكثر حذرًا ووعيًا قبل أن يتخذ أي قرار في حياته، وفي نفس الوقت فإن تحدثي مع طفلي الصغير على أنه ناضج ويفهم ما أقوله تسرع من عملية نموه ووعيه وإدراكه للتفرقة بين الصواب والخطأ.

فالطفل وهو صغير يصعب إقناعه بأن لمسه لكوب الشاي وهو ساخن سيؤلمه، ولكن إذا ما تركناه يجرب ويلمس الكوب بالفعل فمحال أن يعيد هذه التجربة المؤلمة مرة أخرى.

ثانياً.. إشباع حاجة الحرية عند الطفل، ففي الغالب نكون السبب في إيصال مفهوم الحرية بالشكل الخاطئ في أذهان أبنائنا وذلك بكتبها منذ البداية ومحاولات الإجبار الدائمة لاتباع الأوامر دون منطق، وبالتالي فعند أول فرصة للتحرر فسوف توجه في الاتجاه الخاطئ.

أما توصيل مفهوم الحرية بطريقة سليمة للأبناء من خلال تخييرهم الدائم واستخدام كلمة أنت حر كثيرًا.

وتظل هناك القواعد التي ينبغي تطبيقها لتجنب المصادمات مع الأبناء وعدم الدخول في دائرة العند وهي:

1. لا تكثر الأوامر والتوجيهات والنصائح

فالعلاقة بين الآباء والأبناء يجب أن تكون علاقة صداقة وليست مهمة سلطوية، فما من صديقٍ يملئ على صديقه التوجيهات والنصائح طيلة الوقت، بل الأصدقاء يتحدثون ويضحكون بل ويلعبون مع بعضهم البعض أيضًا ما يجعل الوقت ممتعًا مع الأصدقاء، فعلاقة الصداقة والود والحب تعطي مساحة لتقبل النصح، بينما علاقة الأبوة السلطوية تصم الآذان عن الاستماع من الأصل ولذا كان النبي ﷺ لا يطيل على أصحابه حتى لا يملوا فقد كان ابن مسعود يقول:

(إن رسول الله ﷺ كان يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا) البخاري ومسلم.

وكان علي بن أبي طالب يقول رضي الله عنه: "إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة".

فيجب أن نراعي عدم التعامل مع الأبناء بصيغة الأمر طوال الوقت (ذاكر - كل - نظف غرفتك - نم....) ولكن بصيغة الطلب أو التنبيه (أمامنا خمس دقائق لنهي اللعبة - حان وقت النوم) وياحبذا إن ربطنا الطلب بصفة محبة أو بصيغة تنافسية (من سيرتب سريره أولاً؟- أعلم

أن ابني حريص على تفوقه ولذا سيقوم بعمل واجباته الآن قبل أن يلعب).

هذه الصيغ الخالية من أسلوب الأمر تتيح له فرصة الاختيار الذي تشعره بأن القرار بين يديه فلا يصبح هناك للعند ولا التمرد ويجب أن نراعي دائماً التنوع بين الأساليب.

وانظر أسلوب الطلب في الآية الكريمة {ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق....} الحديد 16.

2. وجه ولا تنتقد

فالانتقاد يضعف شخصية الأبناء ويفقدتهم الثقة بأنفسهم، فالنقد لا يقوم إلا على تكسير العظام، أو يقودهم إلى العند وسوء التصرفات، ويصيبهم بمشاعر الغضب والسخط، ولذا كان النبي ﷺ يمدح بدلاً من أن ينتقد عندما كان يريد لفت الانتباه أو التوجيه إلى أمرٍ ما كما فعل مع عبد الله بن عمر عندما قال له: (نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل) البخاري.

فبدلاً من أن تقول لابنك: كم أنك غبي، لقد شرحت لك هذه المسألة أربع مرات حتى الآن ولم تفهم، فيمكن أن تقول: يعجبني عقلك عندما تجعله يفكر ويركز في ما أقول.

وبدلاً من أن تقول لابنتك: إنك مستهترة.. ألا ترين نفسك في المرآة، كيف تسمحين لنفسك بارتداء هذا البنطلون الضيق يمكن أن تقول: ما أجملك من فتاة عندما ترتدين الفساتين الواسعة.

وبدلاً من أن تنهر ابنك عن تقصيره في الصلاة وتقول له: سيفعل الله بك كذا وكذا لأنك لا تصلي، فتقول له: ما أجملك وأطيبك عندما تصلي، أحب سماع صوتك بالقرآن عندما تصلي.

3. التفرقة بين ما هو مناسب ومقبول وبين ما هو غير مقبول
فما هو غير مقبول لا أستجيب له نهائياً حتى وإن غضب وثار أو صرخ أو اعترض بأي طريقة كانت وبعد أن يهدأ أوضح له لماذا رفضت طلبه، أما إن كان مقبولاً فلا وجه للاعتراض طالما لا يضره ولا أستخدم معه أسلوب الرفض لمجرد العند فقط.

4. تجنب التربية القائمة على الخوف والتهديد بالعقاب

فهذه الطريقة في التربية تفقد الآباء السيطرة على أبنائهم، وتجعلهم لا يستمعون ولا يتعاونون بل يقاومون ويتمردون فعندما تحدث الأخطاء فإن الآباء يتسببون بأي من احتمالين: إما أن يفكر الابن بخطئه ويعتذر ويتعلم من خطئه، وإما أن تنشب المعارك والصراخ وتسود الفوضى، وبالتأكيد لا يريد الآباء الاحتمال الثاني إلا أنهم يندفعون له بكل قوة بسبب عدم استطاعتهم بالتحكم في انفعالاتهم، ويبدأون بتوجيه الانتقادات والتهديدات والاتهامات، ومن ثم يقابلها الأبناء بالدفاع عن أنفسهم وتبدأ الصراعات التي تنتهى في الغالب باضطراب المنزل بأكمله.

بينما في الإمكان أن يتلافى الآباء تلك الصراعات عند التعامل بحكمة مع أخطاء الأبناء.

5. عند الخطأ يجب التركيز والتعامل مع الخطأ وليس الشخص.

فعندما ينسكب عصير أو ينكسر شيء ما بالخطأ من أحد أبنائي مثلاً، فكل ما أفعله هو أن أطلب منه بهدوء أن يصلح ما أفسده، فيحضر

منشفة لينظف ما حدث، أو أن يجمع ما قد كسر. فأنا فقط أريدهم أن يتعلموا من خلال هذه الحوادث الصغيرة كيف يتحملون نتيجة أخطائهم، ويتعلمون الحرص أكثر مع الأشياء.

فتوجيه التركيز على شخص الأبناء يصرفهم عن التفكير بخطئهم إلى التفكير بالدفاع عن أنفسهم وإلقاء الذنب على الآخرين وتجعلهم يشعرون بالظلم الواقع عليهم من آبائهم، بينما التركيز على الحادثة وحل المشكلة دون أي إضافاتٍ أخرى يجعلهم يتحملون مسئولية خطئهم وهم راضون وفي نفس الوقت مطمئنين أن تلك الحادثة لم تؤثر على حب آبائهم لهم.

6. لا بد أن تكون هناك قواعد متفق عليها بين الآباء والأبناء يجب أن تكون هناك قواعد مسبقة يكون الأبناء على علم بها، وبأن هناك عواقب لمن يخرق القواعد وعليه أن يتحمل النتائج. وأحياناً بعض الأبناء يعلقون في عنادهم ولا يستطيعون التراجع وخاصةً الأبناء ذوي الحساسية الشديدة، فابنتي جنة من النوع العنيد

ذات الكبرياء بالرغم من صغر سنها ولذا فقد كان من المفيد التعامل معها بطريقة الخيال.

فقد كانت ذات مرة تشاغب مع أخيها وترفض أي توجيه، ففكرت في حيلة تخرجها من حالة العند والمشاغبة هذه بأن فصلتها عن ذاتها قليلاً، فقلت لها: أنت لست جنة التي كانت تساعد ماما بالأمس وتستمع لكلامها وتطيعها، لا أعرف أين ذهبت اليوم، اخرجي إلى التراس قليلاً وأحضري لي جنة الجميلة وأنا سوف أنتظرها هنا، وبالفعل خرجت قليلاً ثم أقبلت علي تضحك ومعها الفرشاة كي أمشط لها شعرها وتوقف عن العناد، فقد وجدت جنة في هذه الطريقة مخرج لها بدون أن يمس ذلك شخصيتها أو كبرياءها.

وعندما كان يحتدم الأمر بيني وبين عبد الرحمن ويشتد عناده، وأصل لنقطة عدم السيطرة وعدم القدرة في نفس الوقت عن التراجع، كنت أتفق مع والده على أن يقوم بدور الأب الحنون الذي يستمع ويتدخل

كوسيط لعرض حلول وسط ومهادنة، فيظن ابني أنني راعيت خاطر والده وبذلك تنكسر شوكة عناده، وأحياناً تنقلب الأدوار ويحدث العكس وأكون أنا الوسيط بينه وبين والده، فلقد كنا نعلم أن استمرارنا في العند أمامه سيفقدنا السيطرة عليه تماماً، وسيفعل ما يريد في النهاية.



الالتزام والصلاة

احكي لنا قصتك مع الصلاة....

متى التزمت بالمواظبة على الصلاة؟

منذ طفولتك أم خلال سنوات مراهقتك أم عندما أصبحت شابًا.

ماذا كان الدافع وراء التزامك؟

هل كان شخصًا ما، أم كلمة سمعتها.. أكان حبًا وتقربًا إلى الله، أم

كان خوفًا وتجنبًا من عقاب الله.

من ساعدك على هذا الالتزام؟

والدك، والدتك، أحد الأقارب، أحد الجيران، مدرسك، صديق

لك، داعية سمعته.

ولماذا تفترضين أن من يقرأ لابد أن يكون ملتزمًا بالصلاة؟

لا أفترض، ولكنني على يقين بأن كل من يقترب من هذه المنطقة لابد

أن يكون ملتزمًا بالصلاة ويريد لابنه الخير الذي أراده لنفسه، ولذا لن

أثير الكلام هنا عن القدوة، فلن يستطيع الأب أن يأمر ابنه بعدم التدخين وهو مدخن أصلاً.

إذن لماذا تسأليني كل هذه الأسئلة، وما علاقتها بابني الذي أريد أن أدفعه نحو الالتزام؟

لأنك ستلاحظ أن إجابة كل شخص فينا مختلفة عن الآخر، وكلُّ منا تأثر بموقف مختلف عن الآخر، أو أثر به شخص مختلف عن الآخر، وفي وقت مختلف عن الآخر.

إذن.. ليست هناك وصفة ثابتة يمكن أن توصف للجميع، ونفس الشيء بالنسبة للأبناء، فلكل ابن من الأبناء مفتاح للوصول إلى قلبه وإقناعه بشيء ما.

(انظر التربية الصالحة ص)

لقد جرت بيني وبين زوجي مناقشة حول الصلاة، وكيف كان التزام كل منا على الصلاة، وقد كنا مشتركين في أنه لم يجبرنا أحد على الصلاة، ولكن كان التزامًا داخليًا جاء بالتدريج، وتساءلنا هل نترك أبنائنا أم نوجههم لذلك، نحن نخشى على أبنائنا كثيرًا والأمر ليس باليسير، فقرر

زوجي أن يعقد اجتماعًا للعائلة، والتي كانت تضم أبناء العمّة أيضًا، ووجه الحديث للجميع، ثم بدأ يلقي خطبة طويلة عن الصلاة وأهميتها، وأنها كبيرة من الكبائر، وعقوبتها، وحد تارك الصلاة، وأنا خلقنا للعبادة، وهكذا.

حينها أدركت أنها كانت أسوأ فكرة على الإطلاق أن شجعتة على التحدث معهم في هذا الموضوع، لقد كنت أنظر لوجوههم المتجهمة، وجفونهم المتراخية التي لا تبشر بأي خير، فلم يكن هناك أي تفاعل أبدًا منهم، وبعدما انتهى زوجي من حديثه الطويل، واطمئن بالآ أنه بلغ رسالته، وذهب إلى غرفته، نظر عبد الرحمن إلى كريم ابن عمته وقال له: هيا.. فقد حان وقت الذهاب إلى الملعب، فقال له: نعم، هيا.. ثم أخذنا حقيبتيهما وذهبا، إنهم حتى لم يفكرا أن يصليا صلاة العشاء قبل أن يذهبا. لقد ظللت أضحك في نفسي، لقد كان موقفًا كوميدياً تمامًا، لقد قلت في نفسي فلنترك الأمر لأهله، فنحن لسنا دعاة، أو شيوخوا حتى نتعدى على اختصاصهم، ولكن ما الحل إذن.. فما زلنا حتى الآن نسأل نفس السؤال كل صلاة: أصليت الظهر؟.. أصليت العصر؟.. أتوضأت أولًا؟

كيف لي أن أجعل ابني يلتزم بالصلاة ويحافظ عليها، فهو دائماً ما يتهرب منها، أو يدعي أنه أداها، أو يصلي دون وضوء؟

إن هناك الكثير والكثير من الكتب والمقالات والمحاضرات التي تتحدث عن تعويد وتحبيب الأبناء في الصلاة، ولكن في رأيي المتواضع أن هناك نقطة مبدئية غائبة عنا نحن الآباء يجب أن تسبق التساؤل عن كيفية تعويد وتحبيب الأبناء في الصلاة، أو الشكوى من عدم التزامهم.

نحن حريصون كل الحرص على أن يستيقظ أبنائنا كل يوم في الصباح الباكر للذهاب إلى المدرسة سواءً في الحر الشديد أو البرد القارس، حريصون على متابعتهم في دروسهم، ندخلهم أفضل المدارس وأغلاها، نعطيهم الدروس في كل المواد عوضاً عن المدرسة، نبذل الجهد والمال من أجل أن يتعلموا حرصاً على نجاحهم في حياتهم العملية مستقبلاً، وخوفاً عليهم من الفشل أو الضياع، إن ما يدفعنا إلى ذلك هو معرفتنا بقيمة وأهمية المدرسة بالنسبة إليهم.

نحن حريصون على أن نكسبهم عادات وقيم لا نتهاون فيها ونستمر بملاحقتهم ومتابعتهم حتى يستطيعون التمييز بين الصواب والخطأ كل

حسب أعرافه وأوليائه حتى يصبحوا مقبولين في المجتمع، ما يدفعنا لذلك أيضًا هو وعينا بأهمية هذه القيم بالنسبة لهم.

أما بالنسبة للصلاة فالوضع مختلف لكثير من الآباء، فنحن نعلم أهمية أن نعود أبناءنا على الصلاة ولكننا نعاني مشكلة مع الحرص على ذلك كما نتعامل مع المدرسة أو العادات والتقاليد، إن لدينا مشكلة كبيرة في استشعار الخطر الأعظم الذي ينتظر أبناءنا من جراء التقصير والتفريط في الصلاة.

فالصلاة عقيدة، وتركها كبيرة، وعقوبتها في الدنيا مثل حد الردة، كيف نحبههم بالفعل ونحن نتركهم يذهبون إلى الجحيم في النهاية. أجل إنها الحقيقة بلا مبالغة، فإذا أصابتنا الحيرة فلتعامل مع هذا الموضوع كما نتعامل مع المدرسة.

فإليك ما يحدث، فالأم والأب يأمران الابن بالصلاة، فإن كان صغيرًا فيفترضون أنه لا بأس من الالتزام طالما لم يكلف بعد، فنأمر مرة وننهار مرة، ونشدد مرة ونساهل مرات، ثم يأتي حديث النفس: (يكفيني كثرة الأوامر والمجادلات والمعارك طيلة النهار) فنترأخى، ثم

يأتي تأنيب الضمير فنشد.. وهكذا الحال إلى أن نفاجأ بأننا أصبحنا أمام
مراهق يتمرد على كل شيء، ويرفض أي شيء، فتزيد الأمور صعوبة،
ونعود لنبحث عن الحل أو نتركه وهواه.

إذا استطعنا أن نستشعر خطر التقصير في الصلاة على أبنائنا
فسنستطيع أن نتعامل معهم على هذا الأساس ثم بعدها تأتي الخطوة
التالية وهي أن نتعلم كيف نقوم بهذه الخطوة ونصل بأبنائنا للالتزام
بالصلاة عن حب واقتناع، فنحن لا نتهاون في ذهاب أولادنا للمدرسة
أو المذاكرة، ولكننا نتعلم كيف نحب إليهم الدراسة والمذاكرة، كذلك
الصلاة، المبدأ أنه لا تهاون في الوقوف بين يدي الله خمس مرات في اليوم،
ثم نبحث ونتعلم الطريقة ليتقدموا بحب لذلك الموقف، فللالتزام هبة
يجب أن يدركها الأبناء.

عندما ترى حال الأبناء في هذا العصر من جهل بالدين، والانقياد
وراء الآخرين ممن ليسوا على ملتنا، حتى أصبحوا يشبهونهم ولا تستطيع
التفريق بينهم، ومع طفل هذا اليوم وتمرده على كل العادات والتقاليد،
وعلى كل إلزام، ومع أننا لسنا من نربي وحدنا، وفي نفس الوقت لن

نستطيع أن نغلق عليهم، فيجب أن تستشعر الخطر أكثر، لقد زادت نسبة الإلحاد، وتعالّت الدعوات بخلع الحجاب.

إن الخطر يزداد شيئاً فشيئاً حيث تراجع الوازع الديني تراجعاً شديداً، فأين يذهب الأولاد ليتعلمون دينهم، فلا مدرسة أو مؤسسة تعلم، وحتى نحن سواء علمنا أم لم نعلم لا نستطيع أن نعلم الدين، إن أولادنا يستحقون الشفقة حقاً، فعلى الأقل ينبغي علينا أن نناضل من أجل تمسكهم بالعقيدة وبالصلة بينهم وبين الله تعالى.

لقد كانت الكتابة في مشكلة الالتزام بالصلاة أمراً محيراً جداً بالنسبة لي، فما زلت أعاني من تعويد ابني ذو الاثنى عشر عاماً من إلزامه بالصلاة والانتظام عليها، لذا أرجأت البحث والكتابة عنها في المواضيع الأخيرة، بحثاً عن أفضل الحلول العملية، فوجدت الكثير من السرد الذي لا طائل منه، واستمعت لكثير ممن يتحدثون عن هذا الموضوع باستفاضة عن الخطوات العملية مع كل مرحلة عمرية وما يناسبها من علماء وخبراء ودعاة، ولقد كان من أروع ما سمعت (تربية الأبناء على الصلاة) للدكتور طارق الحبيب.

ولكنني فضلت أن أكتفي ببيان خطورة هذه المشكلة إذا تهاونا بها مع أبنائنا، وسرد بعض قصص وخبرات بعض الآباء لعلها يكون بها بعض الإرشاد.

بعض قصص وخبرات بعض الآباء لتعويد أبنائهم على الصلاة

1. لقد كنت أحفز أولادي على الصلاة بطريقة مختلفة فقد كنت أقول لهم: أتعلمون لما يتكاسل شخصٌ ما عن الصلاة؟ لأن إبليس أمره الله أن يسجد لآدم عليه السلام فرفض، وتحدى الله سبحانه وتعالى، وأقسم أنه سيغوي عباده، ويصدهم عن السجود لله حتى لا يدخل النار وحده، ولكن الله تعالى قال له: لن تقدر على عبادي المخلصين المؤمنين، ولذا فعندما نصلي نحرق الشيطان ونفوز عليه ونكون أقوى ولا نجعله يتحكم فينا، ونكون من عباد الله المخلصين ندخل الجنة رغمًا عنه.

2. أنا أصلي مع أولادي وفي آخر الشهر أعطي هدية لمن صلى معي أكثر وهذا يجعلهم يتنافسون على الصلاة، وبعدها أصبحت عادة وبعد البلوغ تصبح عبادة وحب لله تعالى.

3. أنا كبرت مع الأم فقط، فقد كان أبي متوفياً وعمري 3 سنين أبداً ما أتذكر أن أُمي كلمتني عن الصلاة ولا علمتني إياها، ولما أصبح عمري 9 سنين تعلمت من كتيب صغير اسمه تعليم الصلاة، ومنذ ذلك الوقت وأنا مواظبة علي الصلاة لوحدي، حتى أُنِي في رمضان كنت أسأل أُمي كم يجب علي أصلي من ركعات في التراويح وكنت أصليهم. باختصار الله هو الهادي، وأنا الآن أتابع ابني عمرو سبع سنوات لكنه متكاسل.

4. كنت أترك ابنتي تصلي بجواري ولا أنتقدها في أي شيء مخالف تفعله، سواء صلت بدون وضوء، أم صلت الظهر ركعتين.. حتى كبرت قليلاً، وتعلمت الصلاة الصحيحة في المدرسة، فصارت تحرص على أدائها بالتزام.

5. ألحقت أولادي بدار لتحفيظ القرآن، وكانت المعلمة بعد أن تحفظهم الجزء المقرر في كل حصة تقوم بحكاية قصة هادفة لهم، ثم تحدثهم عن فضائل الصلاة وترغبهم فيها وحين يأتي موعد الصلاة أثناء الحصة تقول لهم: "هيا نصلي الظهر جماعة، وليذهب للوضوء من يريد"، حتى أقبل أولادي على الصلاة بنفوس راضية والحمد لله.

6. كان أب عند صلاة المغرب والعشاء يدعو أولاده الثلاثة وهم أبناء خمس، وسبع وثمان سنوات فيصلون معه جماعة وبعد الصلاة يجلسون جميعاً على سجادة الصلاة يتسامرون ويضحكون بعض الوقت، وكان لا يقول لمن تخلف عن الصلاة لم تخلفت، وكان يتركهم يجيئون ليصلوا معه بمحض إرادتهم، حتى استجابت الابنة والتزمت بالصلاة مع والدها في كل الأوقات، ثم تبعها الولدان بعد ذلك بالتدريج، وكان الوالد-بين الحين والآخر- يسأل الابن الأكبر حين بلغ سن الثانية عشرة من عمره: "هل أعطيت ربك حقه عليك؟" فكان يذكره بالصلاة دون أن يذكر كلمة الصلاة، إلى أن عقد المسجد الذي يقترب من البيت مسابقة للطلاب جميعاً لمن يصلي أكثر في المسجد، وأعطوهم صحيفة يقوم إمام المسجد بالتوقيع فيها أمام كل صلاة يصليها الطالب بالمسجد، فحرص الابن الأكبر وزملاؤه من الجيران على تأدية كل الصلوات- حتى الفجر- في المسجد حتى اعتاد ذلك فأصبح بعد انتهاء المسابقة يصلي كل الأوقات بالمسجد.

7. أم تحكي أن والد الطفل رجل أعمال ووقته الذي يقضيه بالبيت محدود، وكان لا يبذل أي جهد لترغيب ابنه في الصلاة، ولكن الله تعالى رزقهم بجار كان يكبر الولد قليلاً وكان يأخذ الصبية من الجيران معه إلى أقرب مسجد للبيت، فكانوا يخرجون معا عند كل صلاة ويلتقون فيمرحون ويضحكون في طريقهم من وإلى المسجد حتى اعتاد ابنها الصلاة.

8. لاحظت أن ابني الأصغر مستاء كثيراً لأنه الأصغر وكان يتمنى دائماً أن يكون هو الأكبر، فكنت كلما أردته أن يصلي قلت له: هل صليت؟ فيقول "لا"، فأقول: هل أنت صغير، فيقول "لا"، فأقول: إن الكبار فقط هم الذين يصلون، فتكون النتيجة أن يجري إلى الصلاة.

احذر هذه الطريقة

غالب شكاوى الآباء من ادعاء أبنائهم الصلاة، أو الوضوء دون أن يفعلوا ذلك، ولكن من الخطورة أن تتهم ابنك بالكذب أو توهي له بأنك لا تصدقه إذا قال إنه صلى وهو لم يصل أو قال إنه توضأ وأنت

تعلم أنه لم يتوضأ، فهذه الطريقة تدمر العلاقة بينك وبين ابنك، وعدم الثقة التي تصله من والده تحبط أي طريقة لتعديل سلوكه، ولكن يمكن أن تنهي عليه، وتدعو له بالبركة، ويمكن أن تحثه على أن يصلي معك مرة أخرى لتتبارك غرفتك، أو لتأخذوا ثواب الجماعة، أو تذهبوا المسجد سوياً، فأنت تربي وتؤدب بالثقة لكي تكسبه، بينما التشكيك في تصرفاته وكلامه يقطع خط الثقة بين الأب وابنه، فيجعلك تخسره ولا يتحقق لك المراد من التربية.

أسلوب الارتباط الشرطي

الارتباط الشرطي هي حالة تعرف في علم النفس بأنها ارتباط حدثين معينين في ذهن الشخص مع بعضهما البعض، بحيث إن ذكر إحدهما يذكر بالآخر، ويحدث الارتباط الشرطي حينما يظل يتكرر حدوث موقفين مع بعض لفترة معينة، فمثلاً تستمع لأغنية ما وأنت في حالة حزن، فعندما تستمع للأغنية بعد فترة فتشعر بنفس حالة الحزن التي ارتبطت بها تلك الأغنية في ذهنك.

فهذا الأسلوب من أفضل الأساليب التي يمكن اتباعها لربط الأبناء بالوضوء والصلاة، فيتحدث د. طارق الحبيب وهو بروفييور واستشاري علم النفس بالكويت، يحكي كيف أن كان بعض أولاده يصلون بدون وضوء، فاتبع معهم طريقة الارتباط الشرطي كي يحببهم في الوضوء، فيقول إنهم كانوا متعلقين بالكرة ومتابعين جيدين للمباريات المحلية والعالمية، فكان يتابع معهم المباريات أحياناً بالرغم من عدم اهتمامه بها، ثم عند الصلاة يستدعيهم للوضوء معه وأثناء الوضوء يتحدث معهم عن لاعبي الكرة وكيف كانوا رائعين في المباراة، فيثيرهم الحديث ويظنون يتحدثون عن الكرة وهم في طريقهم للمسجد حتى يصلون.

إن هذه الطريقة جعلتهم يربطون الشعور المحبب لشيء يحبونه وهو الكرة بشيء يستقلونه وهو الوضوء فارتبط الوضوء في ذهنهم بالسعادة التي يستمدونها بعلاقة الود مع أبيهم ولاعبي الكرة التي يحبونها.

ونفس الشيء فعلته أم عندما ربطت أولادها بالصلاة عن طريق وقت استراحتهم أثناء الدراسة بأوقات الصلاة، فرسخ في أذهانهم أن الصلاة راحة، ونجحت في ذلك بهذه الطريقة.

لقد أعجبني رأي شاب لم يرزقه الله بأولاد بعد في هذا الموضوع فقد قال: إذا رزقني الله بأطفال.. فأنا أرى أن أعرفهم من هو الله أولاً، ثم أعرفهم بما هي الأشياء التي بسببها نحب الله لكي أحبيهم في الله ويعرفونه أولاً، وبعد ذلك أعرفهم أننا عند الصلاة نحن نكلم الله وأن ذلك يسعد الله حين يجدنا نكلمه.. وأقول له إننا كما لا نستطيع أن نتصل بأقاربنا في بلد أخرى إلا عن طريق الهاتف برقم محدد.. كذلك التواصل مع الله يجب أن يكون في مواقيت محددة وبطريقة محددة.. وبالتالي يكون في عقل أطفالنا أنهم يتصلون بالله ويحدثونه أثناء السجود الذي هو أفضل وقت للدعاء.



الدراسة والذاكرة

هل أذاكر مع ابني دروسه، أم أتركه يستذكر بمفرده؟

هل أعتمد على الدروس الخصوصية أم لا؟

الواجبات المدرسية هل أحلها معه أم يحلها دون مساعدة مني؟

كيف أجعل ابني يحب الدراسة؟ فداائمًا ما يمل سريعًا ويفقد التركيز.

ذات يوم قالت لي ابنتي: أمي.. ألي أن أطلب منك طلبًا أنت وأبي..

فقلت لها: تفضلي يا حبيبتي، فقالت: أرجو منك ومن أبي ألا تطلبان مني

أن أذاكر، فاستغربت طلبها.. فقالت عندما تطلبان مني ذلك وتلحان

دائمًا فأعند مع نفسي ولا أذاكر وتفتري همتي تمامًا، وعلمًا بأن ابنتي متفوقة

ودائمًا ما تكون درجاتها عالية إلا أن الأمر دائمًا ما يضجر وينفر، وفعلاً

توقفنا عن ذلك، وفعلاً فقد أوفت بوعدنا.

الدراسة والذاكرة تحدي يعاني منه غالبية الآباء مع أولادهم، وهذه

هي الأسئلة التقليدية لكل أب وأم، فحبنا لأولادنا وخوفنا عليهم وعلى

مستقبلهم يلقي علينا عبئًا وضغطًا ينعكس على أولادنا بطريقةٍ ما، فنحن نخشى الشعور بالذنب من التقصير معهم وهذا ما يجعل من المذاكرة واجبًا وفرضًا ثقيلًا يمثل عبئًا علينا وعليهم، ونعتقد أننا من خلال الضغط عليهم دائمًا بكلمة ذاك، أو الصراخ والتأنيب واللوم المستمر هو ما سيحل المشكلة، أو حتى الجلوس على رأسهم لمتابعتهم ومراقبتهم في مذاكراتهم، ولكن ما يحدث أن ذلك يعقد من المشكلة أضعافًا وأضعافًا.. لماذا؟

لأن الإنسان يحركه دافعان إما الحصول على المتعة والسعادة أو الهروب من الألم، والمذاكرة في أذهان الأولاد مرتبطة بالملل والتعب وضغط الآباء عليهم فمن الطبيعي أن يحاولوا دائمًا الفرار منها.

لا شك أن كل أب وأم يريدان تنشئة أبناء متفوقين وناجحين وسعداء في حياتهم، وفي غمار إحساسهم بأنهم مسئولون عن ذلك فإنهم على استعداد دائمًا بتقديم كل أنواع الدعم والتضحيات سواءً التضحية بالوقت أو بالمال أو بالمجهود في سبيل تحقيق ذلك لأبنائهم، وهم

معذورون في ذلك فالأولاد قرة العين وبهجة الدنيا عندما نراهم كما نتمنى، ولا أبالغ بتعبير التضحيات فالأم مثلاً على استعداد أن تبذل من صحتها ومجهودها في مقابل أن تجلس مع أولادها وتذاكر معهم بعد إرهاق يوم طويل من العمل خارج البيت وداخل البيت، والأب على استعداد أن يوفر من قوته واحتياجات بيته بل وفي بعض الأحيان يستدين ليستطيع أن يسد مصاريف المدارس والدروس، ولكن مع كل ذلك دعونا نسأل أنفسنا عن معنى النجاح الذي نريد أن نراه في أبنائنا، هل هو فقط أن أرى ابني طبيباً أو مهندساً أو حتى عالم في يوم من الأيام، أو أن يصبح من رجال الأعمال أو الإدارة أو من الأغنياء، وإن كانت هذه آمنيات رائعة ومشروعة بالتأكيد، ولكن ماذا إن أصبح ابني طبيباً غير متحملاً للمسئولية، أو مهندساً ضعيف الشخصية، أو عالماً يفتقد للقيم.

فإن رضينا بهذا نجاح وكفى فلا أبالغ إن قلت إننا ستتحسر أشد الحسرة في المستقبل عندما يجازى ابني الطبيب على عمليات فاشلة قام بها أو أودى بحياة مريض، أو ابني المهندس الذي استطاع المكاول أن يؤثر

عليه بأن يستخدمًا موطًا مغشوشة في البناء فانهار المبنى على رؤوس الناس ودخل السجن، أو ابني العالم الذي لم يترب على القيم فلم ينفعه علمه عندما أسقط القيم في سبيل تحقيق نجاح تجاربه.

يحيى د. عبد الرحمن ذاكر الهاشمي طبيب ومستشار العلاج النفسي والتربوي عن كم المشكلات النفسية التي تأتيه من أصحاب شهادات ماجستير ودكتوراة، وأصحاب إنجازات، ويقول إن أهم شيء أن أربي ابنًا يفكر بسوية ويعبر بحرية بدلًا من أن أربي ابنًا متفوقًا ويحمل مشاكل نفسية وعقدًا اجتماعية.

إن بناء إنسان أصعب وأهم بكثير من بناء برج عال، ومن أجل ذلك فلا بد أن يكون بناء شخصية أبنائنا على رأس قائمة أولوياتنا، وأول وأهم مبدأ يجب أن نربيهم عليه هو تحمل المسؤولية ومواجهة الصعاب والتحديات بأنفسهم، والدراسة هي الجزء الأخطر من حياتهم والذي يقرر أن يتخرج إلى الحياة من خلاله شخصًا واثقًا ومعتمدًا على نفسه لديه الاستعداد والقدرة على خوض معترك الحياة وقادر على تخطي تحدياتها، أو شخصًا اتكاليًا معتمدًا على غيره مستسلمًا لأي هزيمة ويلوم

الظروف والحظ العاثر دائماً، فالأبناء يقضون أهم سنوات عمرهم والتي تبنى فيها شخصياتهم في الدراسة، وبسبب خوفنا وقلقنا على مستقبلهم فنتبع أساليب خاطئة ظناً منا أنها تساعدنا والحقيقة أنها تدمر شخصيتهم بمعنى الكلمة.

فالخطأ الأول..

هو الاعتماد على الأب أو الأم غالباً في المذاكرة والاستذكار إذ يُلقى بالعبء على الأم مع كثرة مسؤولياتها ويزيد من ضغوطها في حين يلقي بالمسئولية عن عاتق الابن، وكثيراً ما أسمع الأم تقول لو تركت ابني من دون أن أذاكر له فلن يذاكر، وسيتحصل على درجات متدنية!!

ورداً على ذلك:

فأولاً: هذه الفكرة هي بالضبط ما نوصلها للأولاد وهي أنه ليست لديهم القدرة على المذاكرة والتحصيل بمفردهم، فحتى آبائهم لا يثقون بهم فلذلك لا يتركونهم يستذكرون دروسهم بمفردهم.

ثانياً: مع مسؤوليات الأم الكثيرة وشعورها بالضغوط الكثيرة التي تستنفذ طاقتها سريعاً، فعندما تتوقع استجابة ابنها سريعاً وتقابل

بالعكس فتثور وتغضب، وشيئاً فشيئاً تسوء العلاقة بينها وبين ابنها وتفقد السيطرة عليه.

ثالثاً: عندما تعود الأم ابنها على المذاكرة له وهو صغير، فعندما يصبح في مراحل دراسية أكبر فاحتمال فشله تكون كبيرة لأنه لن يستطع أن يذاكر إلا كما تعود مع أمه، وفي الغالب إما أن الأم لا تستطيع المواصلة، وإما يتحول الابن للتمرد والعناد فلا يعود يتقبل هذه الطريقة وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يذاكر بمفرده لأنه لم يتعود على ذلك.

والخطأ الثاني.. فهو الدروس الخصوصية، فهي من أكبر الأخطاء التي يقع فيها مجتمعنا، والتي أدت إلى مشاكل كبيرة في التعليم، وأيضاً في قيم ومعتقدات الأبناء.

ففكرة التعليم ليست فقط لمجرد الحصول على شهادة لإيجاد فرصة عمل مستقبلية، ولكنها صرح ضخم لتعليم قيم وسلوكيات سوف تؤثر على المجتمع بأكمله.

فالخطأ الشائع والمتفشي بل إنه يزيد أكثر فأكثر هو الحرص الشديد على إعطاء الدروس الخصوصية للأولاد في جميع المواد، ولقد ظل هذا

الأمر يتطور شيئاً فشيئاً حتى تفشى كالمرض، فبدأ في بعض المواد ثم في المواد كلها، حتى أن وصل الأمر لأن يأخذ الأولاد درسين في المادة الواحدة.

بل تطور حتى بالنسبة للأطفال في الابتدائي بل في الحضانة أيضاً، بل لم تعد الدروس أيام الدراسة فقط بل يبدأ الأولاد قبل الدراسة بشهر لأن هناك حجراً عند المدرسين بل من يتأخر لا يجد مكاناً، فلم يعد الأولاد يستمتعون بإجازتهم، وأصبحت الدراسة أشغلاً شاقة بالنسبة لهم.

وأسوق لكم هذه القصة، حيث إنني من نوع الأمهات التي لا تذاكر لأولادها، لا أذكر إلا بضع مرات قليلة عندما كان أبنائي صغاراً، على أن يكون قبيل الامتحانات بأن أعطيهم امتحانات يحلون بها ثم أراجعها لهم، ذلك كان حتى الصف الرابع الابتدائي، أما ابنتي الوسطى فلم أذكر أنني ذاكرت معها ولو مرة حتى.

ذات يوم أثار زوجي نقطة المذاكرة مع الأولاد، وكيف أننا نهملهم بتركهم هكذا دون مساعدتهم في المذاكرة، وكيف أن كل الآباء يجلسون

على أيادي أولادهم يشرحون لهم، ويحلون معهم، ولا يتركونهم وحدهم أبدًا مثلما نفعل نحن، كان يتكلم بصيغة الجمع إلا أنني كنت أعلم أنه يقصدني بطريق غير مباشر، فالأم دائما ما يوجه إليها مسؤولية أي تقصير مع الأولاد وخاصة ما يخص دراستهم، وبالرغم أن كانت نبرته عادية إلا أنها كانت تحمل التأنيب الشديد، وكان ما أثار حفيظته لهذا الموضوع هو عندما كان يتحدث مع صديقه وذكر له كيف أن زوجته لا تترك الأولاد أبدًا بل تجلس فوق رؤوسهم حتى يذاكروا وتذاكر دائما لهم علما بأن أكبرهم كان في الثانوية العامة، لقد أخذ زوجي يسوق لي الأمثلة عن فلانة وفلانة وأنا أستمع بعد أن أصاب قلبي غصة، فأنا لست مع هذا المنطق أبدًا إلا أنني أم ولا أحب أن أشعر أبدًا بالتقصير تجاه أولادي.

في هذه السنة كان هناك ثلاثة من أبناء أقاربنا ومعارفنا في الثانوية العامة، وكانت ابنتي الكبرى على وشك أن تلحق بهم، فقد كانت تصغرهم بسنة أي في الصف الثاني الثانوي، وأذكر أنه دار حديث بيني وبين أمهاتهم عن شعورهن بالقلق والرعب من الامتحانات فقد كانت

قد بدأت وقتها، فمنهم من أصيبت بالسكر والضغط من كثرة قلقها على ابنتها، وكيف كانت تتابعها وتلاحقها وكيف كانت إجاباتها، ومنهم من كانت تدعو الله أن يوفق ابنها لمراقب لجنه متساهل لا يمنعهم من الغش، ومنهم من كاد نبض قلبها يتوقف من كثرة الخوف على ابنها من بعد كل هذا التعب في المذاكرة معه.

كنت أضحك منهن، لما كل هذه المبالغة، فأنا لا أراه إلا ضغطاً مفرطاً على الأولاد يمكن أن يأتي بنتائج عكسية، حتى أن ابنتي ساعتها قالت لهم وهي تضحك: أما أنا فأمي تنسى أصلاً أنني كنت في امتحان. الذي حدث في هذه السنة لم يكن متوقعاً أبداً، فالأولاد الثلاثة بالرغم من تفوقهم لسنواتهم السابقة إلا أنهم حصلوا على درجاتٍ متدنية لا تدخلهم الكليات التي يريدونها، وكانوا ثلاثة نماذج منهم من كان معتمداً على المذاكرة مع أمه، ومنهم من كان معتمداً بشكل كبير على الدروس.

ثم أتت السنة التي أصبحت بها ابنتي في الثانوية العامة، ولم أتبع معها إلا نفس الأسلوب الذي اتبعته معها طيلة سنوات دراستها، فقد كانت

معتمدة على نفسها تمامًا، ولم تأخذ من الدروس إلا ما شعرت أنها تحتاجه فقط، والحمد لله فقد كانت من أوائل مدرستها، ودخلت الكلية التي اختارتها بنفسها.

ولم أذكر أن زوجي حدثني في هذا الموضوع مرة أخرى.

ويحكي الدكتور إبراهيم الخليلي أستاذ علم النفس التربوي بالكويت بأن أولاده يبدأون في دراستهم بالمستوى C أي بمستويات متدنية وهو يتركهم يعتمدون على أنفسهم تمامًا دون الاعتماد على أحد، ودائمًا ما يرفض فكرة الدروس الخصوصية، ثم في المرحلة المتوسطة يسألونه أن يستخدمون الغش في الامتحانات كال كثير من زملائهم، فيقول لهم إن أردتم أن تغشوا فلكم ذلك، ولكن تذكروا بأن هناك أماكن في النار محجوزة لمن يغشون، أما في مرحلة الثانوي فيتحسن مستواهم كثيرًا ويكافئوا ويطلبون للبعثات، ثم يتخرجون من الجامعة بتفوق مع مرتبة الشرف.

ما دورنا كأباء إذن؟

نحن نريد لأبنائنا التفوق في دراستهم وأن يعتادوا ذلك التفوق بالتأكيد ولذلك يجب أن نعودهم مهارات النجاح والتفوق وحتى يتم ذلك:

- فلا بد من المتابعة المستمرة للأبناء في مذاكرتهم وليس المذاكرة لهم، والحرص على إنهاءهم لواجباتهم وليس القيام بها عنهم.
- تعويدهم على تنظيم أوقاتهم.
- متابعتهم في المدرسة مع مدرسيهم فالأبناء لابد أن يشعروا أيضًا باهتمام آبائهم.
- يجب أن يشعروا أننا متواجدون حينما يطلبون المساعدة، فلقد كنت لا أتوانى في أن أقرأ درسًا وأحاول فهمه وشرحه لهم عندما كان يستعصي عليهم فهمه، أو إذا واجهوا في مادة ما في فهمها فلا أتردد في إعطائهم درس في هذه المادة بالتحديد.
- لا يجب إظهار الاستياء عند حصولهم على درجات متدنية، بل الحرص على تشجيعهم وإخبارهم أن المطلوب منهم هو الالتزام والعمل

بجد وليس النتيجة، فلقد كان والدهم يكافئهم قبل أن تظهر النتيجة ويقول لهم: لقد رأيتمكم تبذلون أقصى ما باستطاعتكم في المذاكرة ولذا فأنا راضٍ بأي نتيجة.

فالحرص على الدرجات والتفوق يلقي بالضغط على الأبناء ويصبح عبئاً ثقيلاً قلما يتحملوه، ويصيب الآباء بالإحباط وخيبة الأمل إذا فشل الأبناء في تحقيق آمالهم، فينصرفوا تماماً عن أي مجهود بعد ذلك، فلقد وصل الحد ببعض الآباء والأمهات وحرصهم على المجموع والدرجات المرتفعة لحد الأمراض العضوية والنفسية لهم ولأبنائهم.

ظاهرة الدروس الخصوصية (من زاوية أخرى)

لقد قررت أن أنقل لكم وجهة نظر ابنتي آمال بعد معارضتها لوجهة نظري في الدروس الخصوصية وخاصةً دروس الثانوية العامة، ووصفتها بأنها وجهة نظر ظالمة بعض الشيء، وقررت أن أترك للقارئ الخيار!

لقد حضرت آمال ذات مرة الحفلة التي أقامها مدرس الإنجليزية التي أقامها لأوائل الطلبة في مادته للسنة السابقة، والتي حضرها الطلبة

الأوائل وأولياء أمورهم، وكنوع من التحفيز فقد قدم دعوات لطلابه الحاليين كمكافأة لمن يحصل على الدرجة النهائية في أحد الامتحانات التي كان يعطيهم إياها بصفة دورية، وقد استطاعت آمال أن تحصل على الدعوة عندما حصلت على الدرجة النهائية في الامتحان، وقد عادت من الحفلة مبهورة، فقد أقيمت في مسرح كبير (الذي كانت تعرض فيه مسرح مصر لأشرف عبد الباقي بأكتوبر)، وقدم فيها طلابه المتميزون مواهبهم من الغناء والشعر والرسم وغيرها من المواهب، وكرم طلابه المتفوقين.

إنها تقول إنني لا أستطيع أن أرى الصورة كاملة، فهي ترى أن طريقة المدرسين في الدروس الخصوصية تحفيزية، وتجعل من تجربة العلم تجربة ممتعة، بينما المدرسة لا تستطيع أن تقدم هذه المتعة وهذا التحفيز، إن المدرسين في الدروس يبدعون ويتفنون في إيصال المعلومة للطلاب، ويبدلون الجهد والمال، ويبتدعون الأفكار المحفزة لجذب الطلاب واستمالتهم عن طريق استخدام عناصر التشويق المختلفة من مكافآت وتشجيع وامتحانات مستمرة، وإلزام بالواجبات، وحفلات، فهناك

مدرس البيولوجي الذي أحضر لهم هيكلًا عظميًا لشرح لهم عليه،
ويستخدم برامج 3d مدفوعة الأجر للشرح من خلالها، ومدرس
الإنجليزية الذي يكافئهم على الدوام، ويعطيهم استراحة يبرزون فيها
مواهبهم، لقد قالت: لو خيروني بين المدرسة والدروس لاخترت
الدروس دون تردد.

لقد أبهرتني برأيها حينما قالت: إن كل من يتحدث عن التعليم
يتحدث بحجة مصلحة الطالب، بينما لا يتطرق لمصلحة المعلم الذي
يدرس لهذا الطالب.

فهذا المدرس التي تحكي عنه آمال أمضى عشرين عامًا من عمره في
الدروس الخصوصية، والتي اتجه لها بعد أن واجه الروتين والأسلوب
المتجمد الذي تطالبه به الوزارة في الفصول المدرسية، فقد وُجه إليه
الانتقاد الشديد حينما حاول التجديد في عرض المنهج لكي يحفز طلابه
أكثر، فترك التدريس في المدارس، ليطلق إبداعه في التدريس الحر.

إن المدرس أيضًا في حاجة إلى التحفيز ليقدم ما لديه كما الطالب، فهو
حتى لا يتلقى الدعم المالي الذي يجعله يحيا حياة كريمة، فيمكننا تغيير

المناهج وتحديثها لتماثل أفضل أنظمة التعليم بالدول الأخرى، وبإمكاننا تغيير هيكل المدارس واستخدام أحدث وسائل التكنولوجيا، ولكن إن لم نستطع إثارة حماس المعلم وتحفيزه لتقديم أفضل ما عنده، فكأنها نجري في المكان نفسه ثم نتساءل لماذا لا نصل؟

في دروس الثانوية العامة الطالب يبحث عن أفضل مدرس يحفزه بأفضل الطرق التي تجعله يستوعب المعلومة، بينما يعد ذلك سبباً كافياً للمدرس لتحفيزه لتقديم أفضل ما عنده كي يختاره الطالب.

فكلاً من الطالب والمدرس يتقاسما المنفعة، حيث تقدم لي خدمة مقابل الحصول على خدمة وإن كان التقدير المادي، بينما المدرسة تفتقر لتقديم الخدمة أو الحافز سواءً للطالب أو المعلم.

لقد أعجبني تشبيهه ابتني للموضوع بتطبيق أوبر المشهور، فالراكب يبحث عن أفضل سيارة وأفضل خدمة، والسائق حريص على تقديم أفضل خدمة حتى يحصل على التقييم الجيد الذي يعطيه له الراكب ليحصل على ميزات السائق الجيد.

واقترحت لما لا يوسعون أفقهم ويبادرون بحلول تخدم الطالب والمعلم، ويطبقون تطبيق أوبر على التعليم من خلال جهة أو مؤسسة. فقلت لها: كيف؟

قالت: أنا لا أعرف كيف ولكن هاك الفكرة يستطيعون أن يطوعونها بطريقتهم فكما كل سائق بسيارته، يمكن أن يأتي كل مدرس بإمكانياته.

لقد جعلتني أفكر في فكرتها الرائعة، فبدلاً من أن نقضي على ظاهرة منتشرة وواقع تأصل أساساً في المجتمع ونظل في محاربته، فلما لا نستفيد منه ونطوعه من أجل مصلحة المجتمع كله، ونطبقه ليس فقط على الدروس الخصوصية، بل أيضاً على الكتب الخارجية، بل نستطيع أن ننظر لأي مشكلة تواجهنا من هذا المنظور، فلعلها تكون فكرة للتعليم نسبق بها دولاً أخرى.



أبنائنا والتكنولوجيا

وليد وضع مستقبله ومهنة والده الحساسة على المحك، فقد قبض عليه من قبل الإنترنت، وكان سبباً في سحب الحصانة من والده، لا أحد يعرف ماذا حدث، حتى أسرته نفسها، كل ما في الأمر أنه كان مدمناً على استخدام النت، ومن المحتمل أن يكون استغله في أعمال جاسوسية، أو اخترق مواقع مخبرانية دولية.

رامي والده طيب، أقاموا له احتفالاً بمناسبة تخرج من الإعدادية وحضر الاحتفال الكثير من الأقارب، وقبل أن ينتهي الاحتفال تركهم وذهب ليس للذهاب مع أصحابه، ولكن ليمارس لعبته المفضلة على الإنترنت.

معاذ شاب هادئ لا تشعر بتواجهه في أي مكان يذهب إليه ليس لهدوئه ولكنه لا يترك اللاب توب من يديه فهو مستمر في تحقيق مستويات أعلى في لعبته المفضلة على النت فقد بدأ هذه الألعاب منذ أن

كان بالصف الثاني الإعدادي، معاذ تخرج الآن من الجامعة في انتظار الوظيفة، وحتى ذلك الحين فهو مستمر في لعبته المفضلة، لقد أصيب بالاكئاب والأمراض النفسية، ولكنه لا يستطيع أن يتراجع.

إنهم يجعلونها أكثر إغراءً وإثارة، فأدخلوا على هذه الألعاب خاصية البيع والشراء، كلما لعبت أكثر حققت مستويات أعلى وأصبح الإيميل الشخصي الذي تملكه وتلعب من خلاله له ثمن، تريد أن تستمر وتحقق المستويات الأعلى، يغريك الأمر فتفتح حساب ثاني وثالث ورابع، وتستمر دون توقف.. وهكذا.

بالتأكيد سمعتم عن لعبة الحوت الأزرق التي تقود الأطفال والشباب للانتحار، لقد أجمع أهالي الأطفال الضحايا على أن أبنائهم كانوا هادئين وخلوقين، فكيف استطاعوا أن يستقطبواهم إلى هذه الدرجة.

عبد الحق والد بسيط مسالم ومعروف عنه أنه أب مثالي لأبنائه، شاء القدر أن يصبح ابنه الوحيد من ضحايا لعبة الحوت الأزرق، يتحدث عبد الحق أنه لا يعرف شيئاً عن دواخل التكنولوجيا، فحتى الهاتف

المحمول الخاص به من الطراز القديم، عندما قرر أن يدخل جهاز الكمبيوتر إلى بيته، اتخذ مع هذا القرار الإجراءات الوقائية لحماية ابنه بأن وضع جهاز الكمبيوتر في حجرة المعيشة حتى يكون مكان ظاهر ليعرف ماذا يشاهد ابنه، فقد اعتقد أن الخطر يمكن أن يأتي من دخوله لمواقع سيئة أو إباحية مثلاً، لم يكن يخطر على باله أبداً أن تكون لعبة إلكترونية أخطر مما كان يتخيل، لم يتخيل أن لعبة إلكترونية يمكن أن تحصد روح ابنه.

بروفيسور. جويل مونزي مدير معهد تطوير الطفل بكندا يفيد بأن الموسيقى العالية التي تم تحضيرها في مخابر مختصة لألعاب الفيديو بطريقة تسمح برفع مستوى القلق وجذب انتباه الطفل، إنه يدلي بمعلومة خطيرة فيقول: أتعلمون أن تسع دقائق من مشاهدة أفلام الكرتون صباحاً تكفي لتشتيت قابلية الطفل للتعلم طيلة النهار.

أما عن ردود الفعل العنيفة، والانفعالات الشديدة غير المتوقعة والتي تصدر عن الأطفال عندما نمنعهم من المشاهدة أو اللعب فيجيب عن ذلك بأن إفراز مادة الدوبامين بكميات كبيرة عند مشاهدة التلفزيون

أو مع ألعاب الفيديو والتفاعل الشديد تجعل دماغ الطفل يتعود على وجود الدوبامين بنسب كبيرة خاصةً عندما يكون هناك تحفيز خارجي فوري مما سيصعب على المعلم في المدرسة استقطاب انتباه وتركيز الطفل عندما لا يدرس له أشياء تحفيزية كالألعاب التي يشاهدها.

إن الخطر ليس مقتصرًا على ألعاب الفيديو أو الأفلام الكرتونية وحسب، وإنما الأمر ينطبق على الاستخدام السيئ والمفرط للشبكة العنكبوتية ككل، كإدمان الشباب على المواقع ذات المحتويات السيئة أو الإباحية، أو استقطابهم لمواقع إرهابية، أو مجموعات ذات معتقدات منحرفة، أو استخدام تطبيقات شائعة ومتداولة لانتهاك الخصوصية والتجسس على أفراد أو دول، والتسبب بأمراض اجتماعية بسبب الإدمان على الفيس بوك، اليوتيوب، ومواقع التواصل الاجتماعي، لقد وصل الأمر بأن كان من ضمن أحلام عبد الرحمن أن يصبح youtuber ويحقق مشاهدات عالية.

لقد خضت تجربة مضية مع ابني وألعاب الإنترنت، فقد ظننت كما الكثير من الآباء والأمهات أنه لا بأس من هذه الألعاب طالما تشغل

وقته وتلهيه عن المشاغبة مع إخوته، وهي أفضل في كل الأحوال من مشاهدة التلفزيون بلا فائدة، فهي على الأقل ألعاب تفاعلية ومن الطبيعي أن تستقطب من في مثل سنه، وطالما في الإجازة الدراسية فلا بأس، ولكن ما حدث أن جذبته هذه الألعاب شيئاً فشيئاً، وافتقدناه تماماً في المنزل، لا يريد أن يأكل، أو يأكل في عجلة، لا يريد الخروج معنا للتنزه أو لتناول الطعام، وحتى تمرينات النادي التي كان يحبها ويحرص عليها أصبح يخلتق الأعذار للهروب منها، وأصبح يرفض اللعب مع أصدقائه، وتعرف على أصدقاء جدد من خلال هذه الألعاب يحادثهم من خلالها، أصدقاء مجهولي الهوية منهم الصغير ومنهم الكبير من أصحاب المهن التي يتخذونها كهواية، كنت أسمعه يردد مصطلحات غريبة مع أصدقاء اللعب، لقد انسحب من الحياة الاجتماعية تماماً، وفقدنا السيطرة عليه، فلم يعد تحديد وقت للعب ينفع معه، أو اتخاذ هذه الألعاب كذريعة لمكافأة أو عقاب، لا أعرف كيف تركناه يندمج

لهذا الحد مع تلك الألعاب ويصل لتلك المرحلة، فقد اكتسب صفات سيئة بسبب الإدمان على هذه الألعاب وأصبح متلاعباً وعنيفاً، وكان ينتهز أي فرصة لممارسة هذه الألعاب عندما كنا نمنعه.

لم يجد معه أبداً أي طريقة لتنظيم وقت لهذه الألعاب، حتى اتخذ والده القرار بقطع أي وسيلة اتصال بينه وبين الإنترنت، فقد حطم الموبايل الخاص به شر تحطيم كأنه يقتل عدواً، اشترى له موبايل من الطراز القديم بأضرار عادية، ولم يعد يسمح له باستخدام اللاب توب أو أي جهاز يسمح بالدخول لمواقع الإنترنت، لقد كان قراراً صارماً كان لابد منه لنحمي ابننا من الضياع، فقد كانت شبيهة لحد كبير باستخدام مشرط الجراح لكي ينقذ حياة مريض.

لقد عاد ابني الآن كما كان، أشعر وكأنه كان في سفرٍ بعيد، عاد ليكون طفلاً عادياً ودوداً واجتماعياً كما كان، يجلس معنا ويأكل معنا، ويلعب مع أصحابه، يستجيب أحياناً ويتمرد أحياناً كطفل عادي.

هل نمنع أبنائنا نهائياً من استخدام التكنولوجيا الحديثة؟

وكيف نتعامل مع الألعاب الإلكترونية؟

لقد حرصت على سرد هذه القصص لعلها تكون جرس إنذار لأباء كثيرين، فالأمر ليس باليسير كما نعتقد، الأمر بالغ الخطورة إذا لم نستطع تحجيمه أو السيطرة عليه، ولم يعد استخدام الأبناء لوسائل التكنولوجيا اختيار بل واقع نعيشه، وعلى قدر النفع الذي عادت به هذه الوسائل على البشرية على قدر الضرر الناتج عنها، وفي الحقيقة وبالرغم من كل هذه الأمثلة إلا أن منع وسائل التكنولوجيا عن الأبناء يعد درباً من المستحيل شئت أم أبيت، فتكون كمثّل من يسبح ضد التيار، وهذا ما أضاف عبئاً ومسئولية أكبر على الآباء، وأصبح تحدي الآباء الآن ليس فقط حماية أبنائهم خارج المنزل ولكن داخله أيضاً.

إن الحل ليس في المنع في ظل عالم اليوم الذي أصبح يتنفس بواسطة هذه التقنيات، ولن يكون هناك مكان في المستقبل لمن لا يستطيع أن يساير هذه اللغة الجديدة، لغة العالم الرقمي، خاصة عندما تعلم بأن هناك وظائف كثيرة ستندثر لأنها لن يكون لها مكان في ظل هذا العالم،

ولن يحتفظ بمكانته إلا من يستطيع أن يتعامل بلغة التكنولوجيا، ولكن الحل في التنظيم ووضع القواعد، لابد أن تتعامل مع عالم الإنترنت الافتراضي كما تتعامل تمامًا مع العالم الخارجي، فعندما تخشى على ولدك من الماء فليس الحل من أن تمنعه من نزول البحر ولكن في أن تعلمه السباحة.

إذن فماذا نفعل حتى يستفيد أبنائنا من هذه التقنيات دون القلق عليهم من أخطارها؟

1. تربية الأبناء على القيم وتثقيفهم دينيًا

تربيتهم دينيًا وخلقياً، وتزوين الإيمان في قلوبهم، فلا تعطهم معلومات في قوالب متحجرة، ولكن خاطب قلوبهم وأرواحهم، فالإيمان كفيل بأن يحميهم.

2. يجب على الآباء الحرص على تعلم التكنولوجيا ومعرفة كل

جديد

حتى يستطيعون مجاراتهم وفهم ماذا يفعلون وسؤال أبنائهم عما لا يعرفونه ويتعلمون منهم كيف يجارون كل جديد من التطبيقات، بل أن

يتعلمون الألعاب التي يهتمون بها ويلعبونها معهم أيضًا، فيكونون قريبين من أبنائهم ومصدر أيضًا لإسعادهم.

3. الحوار والتواصل الدائم مع الأبناء

يجعلهم يفتحون قلوبهم لأبائهم ومن هنا يسأل الآباء عما يفضلون فعله على الإنترنت ومواقعهم المفضلة، وما لا يحبونه، وإذا ما مروا بتجارب غير محبة.

4. توعية أبنائك بما يمكن أن يقابل من مخاطر أثناء استخدامه

للإنترنت

سيجعلهم يميلون للحرص فيما يشاهدونه أو يستخدمونه سواءً في حضورك أو غيابك، وهناك من المواقع التوعوية الموجهة للأطفال تحذر من مخاطر الإنترنت يمكن زيارتها مع أبنائك ليزيد من حرصهم مثل

موقع www.chatdanger.com

5.. التحكم والرقابة غير المباشرة

فلا يجب أن ينفرد الأبناء بهذه الأجهزة في الغرف المغلقة، بل توضع في مكان يسمح للأباء بمشاهدة ومتابعة ما يشاهده الأبناء، ويمكن الاستعانة ببرامج حماية وتحميلها:

• كاستخدام محركات بحث آمنة للأطفال مثل **kiddle** .:

• برامج الحماية على كل أجهزة البيت مثل **avast** .

• تنزيل برامج فلترة حتى يمكنك متابعة ماذا يشاهدون كبرنامج

k9 web protection administration فهو برنامج

لحماية الأطفال وحجب المواقع والمحتويات الإباحية،

وبرنامج **mobicip** الذي يسمح لك أن تراقب ما هي المواقع التي

يدخل عليها أبنائك حتى وإن دخلوا من أي جهاز خارج المنزل، وأيضاً

تستطيع من خلاله تحديد وقت لاستخدام الجهاز، وأيضاً يجب

المحتويات الإباحية والفيديوهات غير المناسبة لأعمارهم.

6. تشجيعهم على تحمل المسؤولية وإعطائهم الثقة

فالتحكم بشكل كامل لاستخدام الأبناء للإنترنت صعب المنال

خاصةً عند استخدامهم خارج المنزل، ولذا فيجب أن يشاركوا

المسؤولية في الأمر، وذلك بالاتفاق المسبق معهم بوضع القواعد

لاستخدام الإنترنت وشرح الأسباب وراء تلك القواعد، مع الإيجازات

والكلمات التي تدل على ثقتك بهم.

7. استمرار الحوار وإظهار الاهتمام والمتابعة.

8. التربية على التعامل مع العالم الافتراضي والاستخدام السليم

للتكنولوجيا

وإن كان هذا الأمر يلزمه تعاون جهات مشتركة كالجهاز الحكومية والمدرسة، ولكن يظل العبء الأكبر على الآباء، فالأبناء يحتاجون للتوعية عند التعامل مع هذه الأشياء.

ماذا تعلمهم؟

- كيف تحافظ على خصوصيتك.
- كيف تتعامل إذا اتصل بك شخص غريب عبر الإنترنت.
- ما الأمور التي يجب أن تبتعد عنها في الإنترنت.
- برامج تنمية مهارات ولكن بعد سن 3 سنوات وتطبيقات خاصة بالأطفال لا تحتاج للدخول للإنترنت مثل kidoz .

• الأطفال من 7 أو 8 سنوات البرامج التي تعلمهم التفكير بشكل علمي مثل البرمجة مثل برنامج robomind والهدف أن تعلمهم التفكير المنطقي.

كيف تعالج مشكلة إدمان ابنك على مشاهدة التلفزيون أو ألعاب الكمبيوتر أو البلاي ستيشن؟

1. حدد معدل عدد ساعات يومياً للجلوس أمام الشاشات ووجد أن أفضل معدل هو ساعتين يومياً كمتوسط، ومتوسط يعني أنه قابل للمرونة تبعاً للأيام أو الأسبوع، وتبعاً للظروف والمواسم حتى يصبح الأمر واقعياً وعادلاً.. كيف؟

في يوم دراسي عادي مثلاً يكون الطفل مثقلاً بالمهام فبعد المدرسة يقسم وقته بين تناول الطعام واستراحة وأداء صلوات وأداء واجبات مدرسية ومذاكرة وممارسة نشاط رياضي في النادي مثلاً، ففي يوم كهذا يمكن السماح له بساعة فقط، على أن يسمح له في إجازة نهاية الأسبوع بثلاث ساعات.

2. الأبناء في داخلهم يحتاجون لمن يضع لهم الحدود
اجعل ابنك يشاركك في تحديد الحد الأقصى وعدد الساعات التي
يقضيها أمام التلفزيون أو الكمبيوتر.

3. التقليل التدريجي لعدد الساعات
عندما يكون ابنك معتادًا على المكوث لساعات أمام الشاشات فيعد
التقليل التدريجي حلًا مناسبًا، فمثلاً إذا كان معتادًا على خمس ساعات
يوميًا فيمكن تقليلها لأربع ساعات في الأسبوع الأول ثم لثلاث ثم
لساعتين.

4. استخدم أسلوب مواجهة الواقع إذا فشلت في إقناع ابنك
بالتقليل التدريجي

وذلك بمنع مشاهدة التلفزيون أو استخدام الكمبيوتر لفترة زمنية
محددة، والموافقة على استخدامها مرة أخرى ولكن بعد إرساء القواعد
الجديدة.

5. تقسيم الوقت المسموح للمشاهدة واللعب إلى فترات زمنية
مدتها نصف ساعة

فعندما تترك طفلك فترة طويلة أمام الشاشات سيصعب عليك بعدها أن تبعده عنه، وفترة النصف ساعة تعد مناسبة لوضع جسمه الذي لا بد ألا يظل على الوضع ذاته فترة طويلة، وفي ذات الوقت يعد وقتًا كافيًا لإنهاء لعبة، والكثير من برامج التلفزيون مدتها نصف ساعة.

6. لا تسمح بوجود التلفزيون داخل غرف نوم الأبناء.

7. لا بد من الحزم والصرامة بشأن الوقت المحدد

فإن قلت "حان وقت الإغلاق" فإنك تعني ذلك، ويمكن الاستعانة بمؤقت بجانب التلفزيون أو الكمبيوتر كأداة تنبيه للوقت.

8. كن المثل الأعلى لأبنائك في الحد وتقليل عدد ساعات مشاهدة

التلفزيون

9. التعامل مع شاشة التلفزيون أو الكمبيوتر على أنها شيئًا واحدًا

فمدة الساعتين تتضمن شاشة التلفزيون وشاشة الكمبيوتر والتعامل

على أساس أنها جهاز واحد، وليس المدة لكلٍ على حدة.

10. الوقت المحدد يكون مخصصًا للتسلية أو اللعب فقط

فمدة الساعتين تتضمن المشاهدة للتسلية أو اللعب فقط، ولا تتضمن الدراسة أو الأبحاث أو التدريب والتعلم أو الأنشطة الابتكارية.

11. حاول ملء يوم ابنك بأنشطة أخرى بديلة ومفيدة بعيدة عن التلفزيون والكمبيوتر

كالقراءة والحوارات العائلية واللعب مع الأصدقاء وممارسة الهوايات كالموسيقى والرسم وغيرها.

12. وقت حضور الأصدقاء للمنزل غير مخصص لمشاهدة التلفزيون أو اللعب على الكمبيوتر.

فلتكن قاعدة في المنزل، ويجب تشجيعهم على اللعب الجماعي.



الباب الثامن

المراهقة كابوس الآباء

* غير العدسة التي ترى بها أبناءك.

* اعرف ما يمر به ابنك في هذه المرحلة.

* 11 مشكلة يواجهها الآباء مع أبنائهم المراهقين وأسبابها

وحلولها.



غير العدسة التي ترى بها أبنائك

لم أستطع مقاومة رغبتي في الكتابة عن هذه المرحلة بعينها بعد أن عدلت عن الفكرة وقررت إنهاء الكتاب على ذلك، فقد خفت الإطالة والملل، وهذه المرحلة بالذات تحتاج إلى كتب وليس كتاباً فضلاً عن جزء في كتاب.

ولكن ما دفعني لإعادة التفكير في الأمر هو أن كثيراً ممن أعرفهم دائماً ما كانوا يوصوني بهذه المرحلة خاصة، فهم يتلهفون لمن يرشدهم عن أي حلول تحد من الصراعات التي لا تتوقف مع الأبناء في هذه الفترة، فهؤلاء لن يحتملوا الصبر في انتظار لكتاب آخر، وذلك ليس لقلة الكتب التي تتحدث عن هذا المجال، ولكنها ثقة أعتز بها وأفخر، وتشجيع أمتن له وأشكر، وأسأل الله تعالى أن يعينني أن أكون أهلاً لهذه الثقة.

أما الدافع الآخر فهو ما لهذه الفترة من عمر أبنائي من مكانٍ في قلبي، فهي تمثل بالنسبة لي مرحلة مغامراتٍ وإثارة، فقد كان يستهويني دائماً

مشهد أب يسير بجانبه ابنه الذي تجاوزه في الطول، أو مشهد أم عندما تمشي بجانبها ابنتها يظنون أنها أختان وليست أم وابنتها، فكنت أغبط ذلك الأب وتلك الأم عندما كان أبنائي صغارًا.

بالنسبة لي أشعر أنه إنجاز كبير أن تتحول النطفة في الأحشاء إلى طفل صغيرٍ يحبو ثم فجأة إلى شابٍ كبير يفوقك طولًا وعرضًا، إن الأمر أشبه بعمارة عدد أدوارها بعدد سنوات عمر ابنك، فكم وصل عدد أدوار عمارتك؟

كل ما عليك أن تحسن البناء.

أبنائي بالنسبة لي كوقود حياتي، وأبطال قصتي، الأمر عندي يختلف عندما نتكلم عن فترة المراهقة، فأبنائي هم أصدقائي وسندي وأحبائي وبهجة دنيتي.

حورية هي اسم على مسمى حقًا، فهي حورية من الجنة، هي حب الناس وعالم الأصحاب، هي حب الحياة وحب الخير ومساعدة الآخرين، حورية ابنتي هي النقاء والصفاء والإثارة في ذات الوقت.

آمال هي الرقة والعذوبة، هي الحنان ومراعاة شعور الآخرين، هي الطموح بلا حدود، صفاتها لها حظٌ كبير من اسمها، فهي الأمل والبشرى لنا دائماً.

عبد الرحمن هو المرح والبهجة، هو العقل عندما تحتاجه، والسند عند اللزوم، تفتقده عندما يغيب، هو الرجل الثاني والقلب الحنون مثل والده، لا تخش على نفسك طالما هو معك.

أما جنة فهي جنة البيت كله، هي الشقاوة والدلال والحنان، دائماً ما يقول لها والدها لولاك لكنا كهلنا من زمن، احترس عندما تتحدث معها فهي تفهم ما تقوله جيداً ولن تمرر لك كلمة من غير أن تفهمها، ولا تحاول أن تحبطها لأنها ستذكرها لك حتى عندما تصبح عجوزاً.

ماذا ترى أولادك في عينيك؟

نصيحةً مني.. أن أحبيهم كثيراً، لاحظ الجمال بداخلهم، اسعد بهم وأنت تشاهدهم يكبرون، استمتع بلعبهم وضحكاتهم، وثرثرتهم، وشقاوتهم.

احيا معهم حيواتهم مراتٍ ومرات، تعاطف معهم، واشعر بحزنهم،
عش مشاكلهم، أنصت لهم، قبلهم وخذهم بين أحضانك، هم يحتاجون
إليها باستمرار مثلما كانوا صغارًا وأكثر.

قبلة منك على جبينهم وحضن كفيل بأن يواجهوا أعتى المشاكل.
عود نفسك دائمًا أن تتجاهل كثيرًا، وتغض الطرف كثيرًا، وتسامح
وتعفو، أشعرهم بحبك وأنت تعاقب، أشعرهم بحبك وأنت تقول لا.
أولادي دائمًا ما يفتحون لي قلوبهم، ويحكون لي تفاصيل حياتهم،
مشاكلهم، أصدقاءهم، هم يحبون أن يحكون فقط حتى لو تفاصيل
صغيرة تبدو لك تافهة، أحيانًا أنتظر المغزى من الحكاية التي يحكونها فلا
أجد أي شيء، ولكني مع ذلك أصغي لهم باهتمام، هم يشعرون
بالأطمئنان هكذا، هذا يشعرهم كأنك كنت متواجدًا معهم، وكأنهم
يريدون أن يحملوك معهم في كل تفصيلة من حياتهم حتى يشعرون
بالأمان.

أما والدهم فهو الصديق المرشد، والأب الحنون، نضحك ونمزح،
ونتناقش، ونتشاور، ولكن عند اللزوم هو قائد الجيش عند الحاجة.

والدهم أيضًا يستمع ويشاركونهم برأيه، أوقات كثيرة ينادي عليهم جميعًا لنجتمع جميعًا في غرفة نومنا ونجلس على السرير لتسامر معًا ونضحك على أية مواقف، كثيرًا ما يلقي الكلمات المشجعة لكل واحد منهم، نتحدث عن ذكرياتهم وهم صغار ونضحك. نتشاور معهم ونطلب آراءهم في أمور كثيرة، نتحدث معهم دائمًا على أنهم كبار منذ أن كانوا صغارًا.

زلازل وبراكين

ليس معنى هذا أننا لم نقابل تحديات المراهقة وعواصفها كمثل جميع الآباء، ففترات مراهقة الأبناء كمثل الزلازل تضرب أحيانًا حينما تظن أنك في أمان منها.

عصبية، تمرد، أحيانًا تطاول، أفكار جديدة، جدالات لا تنتهي، مناقشات عقيمة، بكاء، اتهامات لنا بعدم فهمهم.

كثيرًا ما كنت أحتاج لمن يرشدني.

كثيرًا ما شعرت بالذنب والتقصير.

كثيرًا ما خفت على أولادي ومستقبلهم.

كثيرًا ما واجهت مشاكلهم بالصمت.

الصمت

الصمت ذلك الصديق للآباء في أوقات الغضب، وأكبر جلاذ للأبناء إذا كان الأب والأم يشكلون فرقًا في حياتهم.

استخدم الصمت حين لا يفيد الكلام، عندما يتحول الحديث إلى جدال، وتحتد المناقشات بين الآباء والأبناء، حينها سيحتاج الطرفان لفترة هدوء وصمت حتى يكون هناك فرصة للتفكير، وإعادة ترتيب الأمور إلى نصابها.

دور الوسيط

لقد كنت أفضل من تمثل دور الوسيط في أي مسرحية تراجيدية تقام على أرض المنزل، عندما كانت تؤدي المشاهد المأساوية والانفعالية الشهيرة بين الأبناء ووالدهم.

فلم يكن عندي من مانع عندما أتلقي اللكمات الكلامية هنا وهناك،
فما أريد إلا الإصلاح ما استطعت.

أما زوجي وإن كان لا يجيد هذا الدور غالباً، إلا أنه كان يسرقه مني
أحياناً عندما كانت تنقلب الأدوار وأصبح أنا الأم الشريرة.
عندما أنظر ورائي، ومن خبرة سنوات في التربية أجد أنني تعلمت
الكثير والكثير حقاً.

فلقد تعلمت أن:

1. التربية تحتاج للصبر والتحكم في الأعصاب وإدارة الغضب.
2. ابنك في فترة المراهقة أكثر مرحلة رجوعاً عن الخطأ، فكن
موجوداً عندما يرجع، وسامحه عندما يعتذر.
3. لكل مشكلة حل مهما بدت خطيرة ومعقدة.
4. لست وحدك في هذا فكل الآباء يمرون بصعوبات مع أبنائهم
في هذه المرحلة حتى المتخصصين منهم.
5. تعامل مع مشاكل ابنك ولا تتجاهلها، فالمشاكل حينها لا تواجه
أو تتجاهلها فيمكن أن تتحول لأمراض نفسية.

6. المراهق يحتاج للمساعدة وإن لم يطلب ذلك.
7. عندما تواجه مشكلة مع ابنك ابحث وادرس واقرأ وتعلم، واستشر الخبراء في هذا الأمر ولا تتردد.
8. استمتع بأبنائك، واستمتع بحياتك معهم.



اعرف ما يمر به ابنك في هذه المرحلة

يجب أن يتعرف الآباء على الخصائص الطبيعية لهذه الفترة، حتى يتفهموا طبيعة هذه المرحلة وكيفية التعامل معها:

1. فهو لا يتفاعل مع الآخرين ويجد صعوبة في التعبير.
2. المراهقة مرحلة هدوء حركي، ويتم تعويض كثرة الحركة الطفولية بالردود العنيفة والمستفزة بالنسبة للآباء.
3. الحساسية المفرطة خاصة إذا لم يجد من يتفهمه.
4. يجب الاختلاء بنفسه والتأمل.
5. مصادقة من هم أكبر منه فهو يتطلع للمرحلة التالية.
6. يميل إلى الفوضى وعدم الترتيب والنظام، ويخطئ الآباء حين يرغمونه على الترتيب والنظام لأنهم يفوتون عليه تعلم مهارات حياتية أخرى مهمة في هذه الفترة.
7. يرفض الأوامر وغير مستعد لتحمل المسؤولية التي تفرض عليه.

8. يميل للمنافسة والتحدي والمغامرات، فإذا لم تستغل هذه

الخاصية فسيصبح في مشاكل دائمة مع الأقران.

9. كثير التساؤل والتفكير، فهي فترة تعلم واكتساب خبرات.



11 مشكلة يواجهها الذباء مع أبناءهم المراهقين

وأسبابها وحلولها

هل ابني يتحداني؟

أشعر أن ابني يتحداني، فعندما أطلب منه القيام بشيء فإنه يرفض، ويفعل العكس، ونفس الشيء يحدث إذا كررت عليه الأمر، وينظر إليّ نظرات تحدي، هل أعاقبه أم أضربه، أم أتغاضى عن تصرفه هذا وأسكت؟

في هذه المرحلة يبحث الأبناء بالبحث عن الاستقلالية، فيتمرد ويعند، فهو يختبر الحدود، ويعلن العصيان والتمرد على السلطة الأبوية، تمامًا كما الطفل الصغير عندما يبدأ برفض مساعدة أمه واستقلاله عنها بقول كلمة لا.

لا تجعل ردود فعلك انتقامية أو مهينة.

ركز على ما تريد بكلمات مختصرة.

كرر الطلب بحزم وببنبرة هادئة.

كرر مرة أخرى بنفس النبرة إذا لم يستجب، وتجاهل نظراته إليك.

(انظر متى تأمر وكيف) الباب الثالث.. فصل 3

جنوح الأبناء وتطرفهم أحياناً.. كيف نعالجه؟

لم نكن هكذا ونحن في مثل سنهم، فلم نكن نجرؤ أن نرفع أصواتنا أمام أبينا، وطلباته أوامر من دون مناقشة، لقد كنا نعرف للكبير قدره، أما أبنائنا اليوم فيتصرفون عكس ذلك معنا؟

لقد تربينا على الشدة والضرب، وها نحن أفراد صالحون وناجحون، فكيف تقولون إن هذا الأسلوب يدمر شخصية الأبناء؟

ابني يستفزني بكلمات وتعليقاته التي أشعر منها بعدم احترامه لي، كيف أتعامل معه؟

عندما نعلم خصائص هذه المرحلة فإننا سندرك أنه من الطبيعي أن يحاول الأبناء إثبات شخصيتهم الجديدة، فهم يحاولون الخروج من شرنقة الطفولة، والتعلق بمرحلة الشباب والرجولة، وتعرضهم لهزات المراهقة العنيفة نفسياً واجتماعياً وجسدياً تجعلهم سريع الانفعال،

مشتتين، فاقتدي التركيز، فلا بد أن تبذل الجهد حتى تفهم هذه المرحلة من عمر ابنك وتحتويها.

يحكي أب تجربته مع أبنائه ويقول: إن الهداية أولاً من الله تعالى، ثم بعد ذلك جعل لنا الأسباب التي نأخذ بها لتقودنا لنتائج منطقية، ولقد اتفقت مع زوجتي على أساسيات في الحوار مع الأولاد للتعامل مع تهورهم أو جنوحهم أو مبالغاتهم، وأمثلة على ذلك:

0 كنا نقول لهم باستمرار إن هناك أموراً كثيرة قابلة للخلاف والجدال، ولذلك لا بأس أن نختلف فيها ولكن بشرط ألا يسفه بعضنا بعضاً.

0 حينما كان يحدث الجدال بيننا في بعض الأمور، ويرتفع صوت بعض الأولاد، أقطع ذلك بقولي لأحدهم: توقف عن الكلام، وخذ نفساً عميقاً، أو أقول: لدينا فاصل دقيقة، وألتفت إلى زوجتي، وأقول لها: ما عشاؤنا اليوم؟

0 طالما قلت لأولادي إن كل الناس وكل الأشياء وكل الأوضاع لها إيجابيات وسلبيات، وحتى نراها على حقيقتها، فيجب أن نتعرف على

إيجابياتها وسلبياتها، وأذكر أنني كنت أجد تعلق أحد الأولاد بالحصول على شيء ما، وكان يجتهد لإقناعي به، فقلت له: كلامك جميل، ولكن أود أن تذكر لي أربع من سلبياته قبل أن أوافق أو أرفض.

0 في مرات كثيرة كنت أوقف النقاش وأقول: صرنا نكرر الأفكار، وهناك منكم من تجاوز حدود المنطق، وهناك من تجاوز حدود الأدب، ولن نبحث في هذا الموضوع قبل مرور ثلاثة أيام، وهذه فرصة لمراجع كل منا موقفه.

وهذا عن الجدالات التي لا تنتهي؟

أحياناً أتحدث مع ابني أجده ينتقد تصرف لأبيه، ثم ما لبث أن أوضح وجهة نظر أبيه، فأجده ينتقد أخته كيف تعامله، ثم بعد ذلك ينتقدي لأنني لا أعدل في توزيع المسؤوليات.

إن المراهق في هذه الفترة يكون في حالة عدم اتزان، ذلك ما يجعله يفقد التركيز في جدالاته ومناقشاته، فيحول نقطة الجدل الصغيرة لمعركة كبيرة تشمل البيت كله، ولذا فالحل في هذه الحالة هو أن نتحدث الأم أو

الأب بلهجة حازمة، ويصر على مناقشة مسألة واحدة فقط، وفي وقت آخر يمكن مناقشة مسألة أخرى، وهكذا.

التقليد الأعمى

ابني يقلد قصة شعر غريبة تقليدًا لمطرب معروف؟
إن ظاهرة التقليد الأعمى من المشكلات المصاحبة لفترة المراهقة، فالمرهق في هذه الفترة يبحث عن هوية وقدوة يحتذي بها، فإن لم يسبق الآباء بهذه الخطوة ويعلقوه بقدوات صالحة مثل عالم ناجح، أو طبيب مشهور، أو شخص متميز في مجاله فإنه سيبحث بنفسه عما يظهره له المجتمع في صورة ملونة مثل الفنانين ولاعبي الكرة وغيرهم ممن تسلط عليه الأضواء.

فالحل هنا ليس بمنعه ولا بانتقاده وإنما بمنافستي لأي شخص يريد تقليده على قلب ابني، فالأب عندما يبني علاقة صداقة ومحبة مع ابنه فسيطمح أن يقلد والده وليس المطرب المشهور.
والخطوة الأخرى أن نعرفه على القدوات الإيجابية مثل العلماء ونعلقه بقصص الصحابة مثلاً.

أذكر عندما كانت ابنتي آمال صغيرة، وحدثتها ذات مرة عن الدكتور مجدي يعقوب، وكيف أنه جراح مصري معروف في العالم كله لأنه جراح متميز في القلب، ويعيش في إنجلترا حالياً، ولكنه ينزل مصر كل فترة ليجري عمليات مجانية للفقراء، كان ذلك قبل أن يرجع مصر ويقيم مستشفى القلب للأطفال بأسوان، ولكن لم أكن أعرف أن ابنتي سوف تتعلق بهذه القصة لدرجة الهوس، فمنذ سماعها لهذه القصة عندها طموح جامع أن تصبح جراحة في القلب حتى تصبح مثله، وأمنيته أن تقابله في يوم من الأيام، هي الآن في الثانوية العامة وأدعو الله تعالى أن يحقق لها أمنيتها.

معارك لا تنتهي

كيف أفض المعارك الدائمة بين أبنائي؟

هذه المناوشات والنزاع والتجادل بين الأخوة من الأمور الطبيعية في كل بيت حيث كل واحد منهم يريد إثبات ذاته، أو يتنازعون على أمور مشتركة، أو اشتراك الأولاد في غرفة واحدة، أو عدم وضوح المهمات

والمسئوليات في المنزل لكلّ منهم، وأحياناً بسبب مقارنات الآباء التي تؤدي للحقد والحسد، أو تفضيل أحد الأبناء على الآخر.

الحل

1. يجب أن نعلمهم ونعوّدهم من البداية على استخدام الكلمات اللطيفة والألفاظ المهذبة دائماً، مثل أنا آسف، من فضلك، أقدر لك ذلك، لم أكن أقصد إزعاجك، سامحتك، أحبك، أنت على حق، لم أنتبه، هذا يشرفني، من بعض ما عندكم، عفواً، شكراً، هذا من دواعي سروري.. فالكلمات الجميلة تولد المشاعر الجميلة وأحياناً إساءة السلوك تكون بسبب عدم معرفة استخدام الكلمات، أو لا يوجد قاموس للكلمات المهذبة في ذاكرة الأبناء، وهذه المشاحنات تكون فرصة لتعليم الآباء للأبناء كيف يحلون مشاكلهم باستخدام الكلمات المهذبة.

2. وكثير من الجدالات والمنازعات بين الأخوة يكون بسبب الفراغ الذي يعانون منه، ولذا فيفضل أن يبحث الوالدان عما ينشغلون به، ويرتب لهم جدولاً يومياً مملوءاً بالأشغال.. إن كان حفظ قرآن، أو

الذهاب إلى النادي، أو ينشغلوا بعمل بأجر، أو مساعدة والدهم أو أعمال المنزل.

3. تحديد نظام لكل واحد يعرف يرتب به أشياءه الخاصة، وتحديد المهام والمسؤوليات لكل واحد في المنزل.

4. وضع حدود وما هو مقبول وما غير مقبول بالمرّة من عدم استخدام الأيدي في النقاش، وعدم استخدام الألفاظ النابية، ممنوع الصراخ أو الأصوات العالية، والتعبير عن الغضب بالكلمات المهذبة، أنا مستاء منك، أنا غاضب، لقد آذيتني، من فضلك أعد أشياءي إلى مكانها.

5. نترك لهم فرصة لحل خلافتهم، وتنظيم أشياءهم بأنفسهم، ولا نهرع لحل مشاكلهم.

كيف أحمي ابني من أصدقاء السوء؟

ابني يصادق من هم أكبر منه سنًا، ومنهم الفاشلين في دراستهم، إنني أخاف عليه من الانحراف، فنحن نسمع كل يوم عن حوادث الإدمان والسرقة، وهو يرفض أن أتدخل في اختياره لأصدقائه.

إن العمل على قنوات الطفل منذ البداية لها الأثر الكبير في حمايته، فعندما يتربى الابن على قوة الشخصية، وإشباع حاجة التقدير لديه، فلن يحتاج أن يبحث عن هذا التقدير في الخارج، نحن نخشى من أن يصاحب الابن من هم أكبر منه حيث القنوات والسلوكيات مختلفة، ولنا الحق في ذلك، ولكن من غير أن نأمره بأن يصاحب فلانًا أو يترك فلانًا، فلا بد أن نعلمه ما هي المعايير التي يختار عليها أصدقائه من البداية، فهذه المعايير مع المبادئ التي تربى عليها ستحميه، وتجعله قادرًا على الاختيار بنفسه.

لقد قضينا الصيف الماضي في مكان ما في الساحل، وقد كانت فترة كافية ليتعرف عبد الرحمن على أصدقاء جدد، فقد كان كل ليلة يذهب إلى الملعب للعب كرة القدم التي يحبها، وقد كان يلعب مع الجميع الصغير والكبير، وكان هناك مجموعة من الشباب عرف عنهم أنهم يدخنون ويتعاطون المخدرات، عندما علم والده بذلك أصابه الرعب خشية أن يؤثر عليه أحد، فجلس معه جلسة حوار هادئة، وعرض عليه

مخاوفه، ومع ذلك فهو يثق فيه وفي تربيته، فقال له: لا تخش على يا أبي،
فأنا أعلم كل ما تقول وأحتاط لذلك، فأنا أحياناً ألعب معهم بالفعل،
ولكني لا أصادقهم، أو أمشي معهم.

وللتعامل مع ذلك فهناك بعض الأمور التي نتبعها:

1. لا تهاجمه أو تهاجم أصدقاءه أو تصفهم بالسوء حتى لا تسوء
العلاقة بينكما.

2. تحدث عن مساوئ أصحاب السوء بطريقة غير مباشرة
وتأثيرهم السلبي، وتركز بالذات على مساوئ أصدقائه بدون ذكرهم.

3. ابتعد عن التهديد بمعاقبته إن لم يتركهم لأنه سوف يعند.

4. استعن بآخرين في هذه المهمة مثل مدرس الفصل.

5. عرفه على أصدقاء جدد عن طريق تعرف الأم على أمهات
زملائه، ودعوتهن وأولادهن في المنزل، والخروج معهن.. فهذا قد يوطد
العلاقة بينه وبينهم.

6. اشغل وقت فراغه بالأنشطة.

ابني والجماعات المتطرفة

كيف أحمي ابني من الانضمام لجماعات منحرفة أو متطرفة؟

إن الآباء المتساهلين الذين لا يضعون الحدود للأبناء من منطق الحرية أو من منطق الإهمال أو الانشغال، يفاجئون بعاقبة هذا التساهل والإهمال أن ابنهم انضم لجماعة منحرفة مثل عبدة الشيطان، أو جماعة الإلحاد أو غيرها، أو حتى إلى جماعة من الجماعات المتطرفة، فالابن يحتاج للحدود والقواعد كما يحتاج للحرية، هذه الحدود تشعره بالأمان، فإن لم يجدها من والديه فإنه يبحث عنها خارجاً.

إن هذه الحالة تكون من الحالات الصعبة، فالجماعات من هذا النوع تكون مسيطرة على تفكيره وعلى قناعاته بشكل كبير، وحتى يتخلص من سيطرتها سيحتاج لزعزعة هذه القناعة بالتدريج، وسيحتاج الأب للحوار الودي الدائم واستشارة المتخصصين.

ماذا تفعل إذا اكتشفت أن ابنك مدخن أو يتعاطى المخدرات؟

هذه المشكلة تفاقمت بشكل كبير بين المراهقين، تبدأ بالتدخين وأحياناً كثيرة تنتهي بتعاطي المخدرات، والسبب في الأصل أن يكون

الأب أو الأم من المدخنين، أو أصدقاء السوء، والأسوأ من ذلك أنه أصبح مشهدًا عاديًا تشاهده في كل مكان، والأولاد والبنات على حد سواء، لقد رأيت في ذات مرة فتاتين غاية في البراءة والجمال دخلتا إلى كافيه معروف، وبمجرد أن جلستا، طلبتا الشيشة وأخذتا بشرها حتى رأيت الدخان يخرج من فمهما وأنفهما، وكأني رأيت الجمال والبراءة اختفوا في وسط الدخان.

فإذا اكتشف الأب ابنه في البداية فسيكون من الأسهل عليه أن يحاول إثناؤه، بينما إذا اكتشف في مرحلة متأخرة، فمعنى ذلك أنه كان من البعد وانقطاع الصلة بينه وبين ابنه جعلته لا يكتشف ذلك باكراً، ولذا فعليه أن يقيم علاقته بابنه ويصادقه ويتقرب إليه ولا يعنفه، ويفتح خط الحوار والتواصل بينهما.

إن مسألة التدخين أو التعاطي لا بد أن تكون لها وقفة كبيرة في حياة الوالدين، لا بد من التعامل الحكيم معها، ومصارحة الأبناء بدون

تعنيفهم، يجب أن يعرف الوالدان لماذا وصل الأمر بابنهما لهذه المرحلة؟ وكيف؟ عن طريق الحوار.

فإن لم يستطيعا فلا بد من استشارة الخبراء في هذا المجال، أو طلب العلاج في حالة تعاطي المخدرات، وفي كلتا الحالتين فسيحتاج الأبناء للدعم الشديد من الآباء.

يحيكي د. جاسم المطوع عن مراهق يبلغ 14 سنة من عمره أحضره والده ليقنعه بأن يقلع عن التدخين، فسأله د. جاسم: كم تدخن من سيجارة في اليوم؟

الولد: 40 سيجارة.

د. جاسم: صحة وعافية.

د. جاسم: لماذا تدخن؟

الولد: لأنني رجل.

د. جاسم: جميل.

د. جاسم: أيمكن أن أطلب منك استشارة؟

الولد: كيف، ألسنت أنت من تساعد الناس؟

د. جاسم: وما الخطأ في ذلك كلنا نحتاج مساعدة، وسيدنا سليمان
أخذ المعلومة من الهدهد.

الولد: كيف أساعدك؟

د. جاسم: أن تعرفني كيف أصبح رجلاً، فأنت تقول إن من يدخن
السجائر يصبح رجلاً وأنا لا أدخن.

الولد: ولكن هناك رجالاً لا يدخنون أيضاً.

د. جاسم: أيمكن أن أعقد معك اتفاق.

الولد: نعم.

د. جاسم: أيمكن أن تسقط كل شهر أربعة سجائر فقط ونتقابل كل
شهر، أتوافق؟

الولد: نعم موافق.

د. جاسم: إذن ورقة وقلم ونوقع العقد.. الطرف الأول.. الطرف
الثاني.

يقول د. جاسم إن الأبناء في هذه السن يميلون إلى التحدي حتى
يشعر بذاته، وهذا ما عمل عليه، فبدايةً من زعزعة قناعاته، إلى أن

وضعه أمام تحدي، وفي نفس الوقت تدريجيًا، وبالفعل أقلع الولد عن السجائر بعد عشرة أشهر من الاتفاق.

وقصة أخرى يحكيها مراهق في سن السادسة عشرة: فذات يوم ذهب مع صديقه المدخن في سيارته، فأشعل السيجارة ودخنها، فامتلأت ثيابه برائحة الدخان، وعندما عاد إلى البيت، شم والده رائحة الدخان، واتهمه أنه يدخن، فأقسم له أنه لم يفعل ذلك وحكى له القصة، فلم يصدق والده واتهمه بالكذب وأخذ يهين ويضربه أمام إخوته الصغار.

يقول الولد: في اليوم التالي ذهبت مع صديقي وأقسمت أن أدخن بالفعل لأنتقم من والدي، ففي كل الأحوال هو لا يصدقني، ثم مكثت على هذا الحال أسبوعين، وفي ذات يوم وبعد أن صليت العشاء مع والدي، اصطحبني إلى محل عصير أو قهوة، ثم قال لي: اطلب شيئًا، فطلبت

ثم أخذ يحدثني أنه يحبني، ويجب لي كل الخير، فلا أحد يجب أحدًا أكثر من نفسه إلا ابنه، وأخذ يحدثني حتى تأثرت من حديثه، ثم قال لي:

إن كنت تدخن أم لا كما تقول، فأرجوك يا ولدي أن تقلع عن هذا من أجلي.

لقد تأثرت جداً بحوار والدي معي، ولم أستطع من يومها أن أرفعها إلى فمي، خوفاً من خيانة أبي.

ابنتي والعلاقات

ابنتي تعرفت على شاب وتكلمه من خلال الإنترنت، فماذا أفعل؟
الأبناء والبنات في هذا السن يحتاجون للإشباع العاطفي والإنصات من والديهم، فإن لم يجدوه فإنهم يبحثون عنه عند شخص آخر، وفي البنات احتياجها لهذه الأمور أشد، عندما تفتقد البنت إنصات والديها وتفتقد الحب والعاطفة لديهم، فإن هذا ما يحدث بأن تنجذب لأي شاب يشبع عندها ثلاثة أشياء تفتقدها من والديها وهي الإنصات والحب والتقدير عن طريق مغازلتها بالكلام الجميل.

إن الحل في هذه الحالة ليس بالتعنيف أو التهديد أو العقاب، ولكن أولاً بالحوار الهادئ، وثانياً بالانتباه وتعويضها بما افتقدته من حب واهتمام

وثناء على تصرفاتها أي إشباع لديها الحاجة العاطفية والحاجة إلى التقدير.

لقد تابعت حلقة ذات مرة تتحدث عن مجموعة من الآباء في أمريكا، كونوا مع أنفسهم جماعة لها عقيدة وهي حماية بناتهم من الدخول في علاقة قبل الزواج، وذلك بإشباع بناتهم عاطفياً بالحب والحنان والاهتمام والكلام الرقيق، فحل الأب محل الصديق، وقد تحدثوا إلى البنات اللاتي كان آبائهن منضمين إلى هذه الجماعة، فقالوا إنهن لم يحتاجن للدخول في علاقة تشعرهن بذاتهن، لأن آباءهن قاموا بهذا الدور، وبعدها تزوجن كانت علاقتهن بأزواجهن هي العلاقة الأولى بالنسبة لهم، وأنها كانت لها مشاعر مختلفة تماماً لها جمالها الخاص، وأقررن بنجاح هذه العقيدة.

ولقد كانت هناك أم أعرفها علمت أن ابنتها على علاقة بزميل لها في المدرسة، وكان تصرفها أنها أثنت على ابنتها أنها أخبرتها، ولم تصرفها عن ذلك وإنما فتحت بينها خط الإنصات والحوار، فقد كانت البنت متعلقة به تماماً، وكانت مقتنعة أنها ستزوج به بعد أن ينهي دراسته، وبالرغم أن

البنت كانت ما زالت صغيرة جدًا لأن تدخل في علاقة، إلا أن أمها سمحت لها أن تستمر في هذه العلاقة على أن تظل مطلعة على ما يدور بينهما أولاً بأول، لقد كانت الأم واعية حيث كانت تعلم أنها علاقة غير ناضجة ولن تكتمل، وبالفعل قطعت البنت بنفسها هذه العلاقة بعد أن كانت متعلقة جدًا بذلك الشاب.

إن ما فعلته هذه الأم هو الإنصات والحوار مع ابنتها، فأنا لا أعرف ماذا كانت تقول لها في حواراتها معها، ولكن حوارها مع ابنتها وعدم صدها لها فتح خط الثقة بينهما، وجعلها تأخذ قرارها بنفسها.

ماذا تفعل إذا اكتشفت أن ابنك يشاهد مواقع إباحية؟

إذا اكتشفت أن ابنك يشاهد مواقع إباحية، فلا بد من الحوار الهادئ معه، وتبين له أنك لم تتجسس عليه ولكن علمت صدفة حتى لا نصبح الخطأ بخطأ أكبر مهما كانت المبررات.

من خلال الحوار أعرفه بخطئه وبخطورة هذه المواقع، ولا أعنف ولا أهين، هو في الأصل سيكون مقرًا بخطئه ومتقبل للحوار الهادئ، ثم نؤكد على ثقتنا به أنه لن يعود لمثل هذا الخطأ.

ومن الخطأ في هذه الحالة أن نشور أو نضح من الأمور، يكفي أن يعلم أن ما فعله خطأ وفعل لا يرضي الله تعالى، ولا يرضي والديه، أما إذا عاد فلابد من إجراء عقابي بأن يؤخذ منه الموبايل، وأن يوضع الكمبيوتر أو اللاب توب في مكان يمكن مشاهدته.

الذبناء وتغير الظروف الاقتصادية

لقد تأثر دخل الأسرة بالظروف الاقتصادية، كيف يفهم الأبناء ذلك، وكيف يتكيفون مع الوضع الجديد؟

هذه مشكلة عامة أصبحت تعاني منها أسر كثيرة في ظل الظروف الاقتصادية الحالية، ولكن ليس هناك حلاً أفضل من مصارحة الأبناء بظروف الأسرة الجديدة، وإطلاعهم على الحقيقة حتى يشعرون بالمسئولية مع والديهم ويقدرونهم، فمسايرتهم في طلباتهم خوفاً عليهم لن يخلق منهم إلا أشخاصاً أنانيين، ولذا فإنه يجب إشراكهم في أي ظروف جديدة تتعلق بالأسرة، والخطوة الجديدة التي سيشتكون في وضعها لضبط ميزانية الأسرة، وما هي الطلبات المتاحة وغير المتاحة،

فأحياناً يشاركون بآرائهم ويبحثون عن اقتراحات وحلول لتحسين الدخل مع آبائهم، تلك المصارحة مفيدة أيضاً لهم حيث يتعلمون إن هناك كبوات في الحياة لابد أن نتكيف معها حتى نستطيع اجتيازها، فيتعلمون بذلك درساً مهماً من دروس الحياة.



الباب التاسع

مهسة لكل من يفهم الأمر

*استرخوا أيها النباء.

*مهسة في أذن كل أم.

*رسالة لكل معلم.

*قوة الدعاء.

*دراسة جديرة بالاهتمام.



استرخوا أيها الآباء

إن هناك حقيقة مهمة يغفلها الآباء وهي أن الأبناء بذور مثالية لا تحتاج إلا للماء والأرض الخصبة لكي تنمو بشكل جيد، ونحن ما علينا سوى أن نوفر لهم هذه التربة الخصبة لكي ينمو بشكل سليم دون عوائق.

إذا ما علمنا أن تربية الأطفال لا تحتاج لكل هذا العناء من أجل التغيير والإصلاح وتجنب الأخطاء لجعلهم أفضل، لكننا وفرنا على أنفسنا الكثير من القلق والإرهاق والإحباط والإحساس بالذنب والتقصير.

لقد خلق الله تعالى كل إنسان وفي جعبته كل ما يؤهله لأن يكون شخصاً مميزاً، وله دور يؤديه على مسرح الحياة، لكل صفاته المتفردة، ومواهبه التي يتميز بها عن غيره، ودورنا يأتي في مساعدته على اكتشاف هذه المواهب وتوظيف هذه الصفات التي يتميز بها بما يظهر الجوهرية

التي خلقها الله بداخله، وليس المطلوب منا أن نضعهم في قوالب معينة ليتشكلوا بالشكل الذي نعتقد أنه يجب أن يكونوا عليه.

ولكل طفل مشاكله الخاصة وصعوبات يمر بها، تلك الصعوبات والتحديات ضرورية لاكتمال نموه، وهي التي تثقل شخصيته وتخرج الشخص المبدع من داخله، وليس دورنا أن نجنبه هذه الصعوبات والتحديات ونحميه على الدوام، ولكن دورنا أن نساعد ونعلمه كيف يتجاوز تلك الصعوبات وكيف يواجهها ويتغلب عليها، وهذا يشبه الكتكوت في محاولاته للنقر والخروج من البيضة، فإذا حاولنا مساعدته للخروج وكسر البيضة، فإما سيموت أو سيخرج معاقاً لأن عضلاته ضعيفة ولم يكتمل نموها بعد.

هم لا يحتاجون إلينا أن نسعى لنجعلهم جيدين لأنهم جيدون بالفعل، هم فقط يحتاجون منا أن نعطيهم الثقة بأنهم كذلك بالفعل، ويحتاجون بأن نؤكد لهم على الدوام أننا هنا من أجلهم، وأنهم سيجدوننا دائماً عندما يحتاجون إلينا مادين إليهم يد الدعم والحب.

فدورنا كأباء لا أن نيسر لهم كل شيء فيصبحوا ضعفاء هشين لا يستطيعون مواجهة تحديات الحياة، ولا أن نتركهم من دون دعم أو مساندة فيقعون في مشاكل جمة يصعب السيطرة عليها، ولكن نجعلهم يواجهون تحديات الحياة ونحن في ظهورهم، نساندهم ونعلمهم المهارات التي يتغلبون بها على هذه التحديات.



هوسة في أذن كل أمر

كلمة أم تعني العطاء ولا تعني التضحية، والعطاء هو الحب والحنان والرحمة والرعاية وتقديم الأفضل لهم دائماً، وليس معناه التضحية بسعادتك وصحتك من أجل إسعادهم، لا تجعل من نفسك شمعة تحترق لتضيء للآخرين حتى وإن كانوا أولادك، بل اسعديهم واسعديهم ومعهم، واعلمي أن دورك معهم هو تعليمهم كيف يواجهون تحديات الحياة، وكيف يتعاملون مع مشاكلهم، وليس أن تحلها لهم، ليس دورك أن ترفعي عنهم الحرج دائماً، إذا عودتهم على العطاء فقط فستصبحين عالة عندما ينفد رصيدك وتكوني غير قادرة بعد على العطاء، وكلما كان مخزونك من السعادة ممتلئاً فستستطيعين أن تفيضي عليهم من هذه السعادة، وكلما كان مخزونك خاوياً فأنت لكي أن تسعديهم، ففاقد الشيء لا يعطيه، وكل إناء ينضح بما فيه، إنهم يجب أن يتعلموا قيمة العطاء وليس الأخذ فقط، يجب أن يتعلموا أن يكونوا

ممتنين، فقيمتا العطاء والامتنان لن يتعلموهما أبداً ما دام هناك من يعطي بدون مقابل.

فقد أعجبتني نصيحة قرأتها موجهة للأمهات تقول:

عزيزتي الأم..

لا تخرجي من المنزل بشكل غير لائق

لا تقولي إنك أم لعدد من الأطفال ولا يوجد من سيكثرث لشكلك

تزيني من أجل نفسك.. كوني جميلة من أجل روحك الأجل

خصصي وقتاً لنفسك.. اقرئي.. تعلمي

اخرجي للاستمتاع.. مارسي الرياضة التي تفضلينها

لا تقولي أبداً.. هي عيشة والسلام

لأنها عيشتك الوحيدة ولا تملكين غيرها

لا تأكلي البواقي.. لا تشربي من أكواب أولادك التي اتسخت

سخني الأكل قبل أن تأكله.. زيني الطبق لنفسك

لا تشربي في أكواب بلاستيك.. كلي في الطقم الجديد

كلي وأنت جالسة ومستقرة.. اجلسي في مكان مريح أثناء الأكل
لا تؤجلي أي عمل يستهويك القيام به
نظمي وقتك.. اشترى لنفسك المثلجات والشوكولاتة والعطر الذي
تحبين

اخرجي مع صديقاتك كل فترة.. لا تنظفي عند وقت نوم أولادك
ارتاحي وشاهدي التلفاز على أريكتك المريحة
الأمومة ليست مهمة إدارية.. الأمومة مسؤولية نفسية
حب.. عطاء.. فرحة.. تعليم.. ضحك.. استمتاع
وكل ذلك يحتاج إلى أن تهتمي بنفسك قبل أي شيء
حتى تستطيعي أن تتواصلي مع العالم
فكري دائمًا في أنه في حالة انتهاء الوقود
ستقف السيارة بمن فيها.. وأنت وقود عائلتك
وتذكرني دائمًا أنك أنت جميلة
أنت متميزة.. أنت مهمة.. وأنت الحياة.



رسالة لكل معلم

إذا كنت لا تحب هذه الوظيفة فتركها فوراً بلا تردد، فطالما لا تحب المهنة فلن تستطيع أن تجعل الأطفال يحبونها، وإذا قررت العمل بهذه المهنة فتعلم كيف تحب الأطفال وكيف تجعلهم يحبونك.

(ريتا بيرسون) تلخص تجربتها في التعليم لمدة أربعين عاماً وتقول: إن أساس التعليم هو الحب وبناء علاقة تواصل بين المدرس وتلامذته، فالأطفال لا يتعلمون من الذين لا يحبونهم، وتحكي عن أمها التي عملت بنفس المهنة حتى ماتت، وكانت ترى دائماً حقيبتها ممتلئة بالحلوى والبسكويت لتضعه في أدراج طلابها، وتقوم بزيارتهم بعد الظهيرة، وتقول إنها بعد تقاعدها بسنوات كان يأتي إليها الأطفال ويقولون لها: لقد صنعت فرقاً في حياتي وجعلتني أشعر أنني شخص مهم، وفي جنازتها كانت تبكي ليس لفراقها بقدر ما كانت تبكي من المشهد المؤثر لكم من حضروا جنازتها من تلامذتها السابقين.

وتحكي عندما عرض عليها فصل ذا مستوى متدني، وكيف استطاعت أن تجعله من أفضل الفصول عندما أخبرتهم أنها أفضل معلمة ولذا اختاروا لها أفضل فصل، ولذا امشوا في الطرقات متبخرين رافعين رؤوسكم، وتعالوا نريهم أفضل ما عندنا ليقلدونا.

المشكلة أن المدرس لا يقدر قيمة تأثيره على طلابه، ويظن أن وظيفته التي يتقاضى عليها أجره هي التدريس فقط وليس مطلوب منه أكثر من ذلك، ولكن لو علم المدرس أنه مثل أعلى وقيمة يمكن أن يبني بها شخصًا بالغًا ويغير بها حياة طفل لكانت نظرتة لمهنته أفضل بكثير بأن يعلم أنه إنسان قبل أن يكون معلمًا.

يحكي أحد الأثرياء السعوديين عن أثر معلم له وكيف غير حياته بريال واحد، عندما عجز عن الاشتراك في رحلة للمدرسة وكان متشوقًا جدًا لها، ولكن فقر أسرته كان حائلًا دون هذه الرحلة وكانت الاشتراك بها بريال واحد، وقبل الرحلة بيوم أجاب إجابة صحيحة، فما كان من المعلم غير أنه أعطاه مكافأة ريال، يقول هذا الثري، لا أعلم حتى الآن ما كانت نية المعلم أكان هذا الريال مكافأة أم صدقة ولكن ما كان يعرفه

أن هذا الريال كان سبب سعادة غامرة بالنسبة له، وهذا ما جعله يبحث عن هذا المعلم عندما كبر وأصبح مليارديراً، وفعلاً وجد هذا المعلم وقد ترك العمل وفي ظروفٍ صعبة ويستعد للرحيل، فذهب إليه وقال له: يا أستاذي لك في ذمتي دينٌ كبير فقال: ليس لي عند أحد دين، فذكره بهذا الريال،، فتذكر وقال ضاحكاً: أتبحث عني لترد لي الريال؟ فقلت له نعم.. وأركبته السيارة وتوقفنا عند فيلا كبيرة ونزلنا ودخلنا فقلت له يا أستاذي الفاضل هذا هو سداد دينك مع تلك السيارة وراتب تطلبه مدى الحياة.. وتوظيف ابنك في مؤسسة.

ذهل المدرس قائلاً: لكن هذا كثير جداً.

فقلت له: صدقني إن فرحتي بريالك وقتها أكبر بكثير من حصولي الآن على 10 فيلات كهذه، وما زلت لا أنسى تلك الفرحة.

دراسة جدية بالاهتمام

كتبت الخبرة التربوية البريطانية "يلين بيرسون" مؤلفة كتاب: "مشروع الحياة" هذه الدراسة البريطانية بدأت في عام 1946م، بعد

بضعة أشهر فقط من نهاية الحرب، عندما أراد العلماء أن يعرفوا كيف يمكن لامرأة لديها طفل أن تتعامل وتتكيف مع هذه الأجواء، في ذلك الوقت قاموا بإجراء هذا المسح الضخم للأمهات، وانتهى بهم الأمر إلى تسجيل ولادة كل مولود تقريباً في إنجلترا وإسكتلندا وويلز في أسبوع واحد.

كان عدد ما تم تسجيله يقرب من 14000 طفل. الأسئلة التي تم طرحها على هؤلاء النساء تختلف كثيراً عن الأسئلة التي قد طرحها اليوم، نجحت التجربة فتم تكرارها في عام 1958م وفي عام 1970م، وفي عام 1990م، ومرة أخرى في مطلع الألفية، وفي كل مرة كانوا يسجلون آلاف المواليد.

إجمالي من تم تسجيلهم خلال هذه الدراسات عبر تلك الأجيال الخمسة تجاوز 70000 طفل، وقد كان العلماء يسجلون المزيد من المعلومات كل بضع سنوات عن هؤلاء الناس، كمية المعلومات التي تم جمعها حتى الآن على هؤلاء الناس محيرة تماماً، حيث تشمل الآلاف من الاستبانات الورقية، كما اشتملت على بنك ضخمة من عينات الأنسجة،

والتي تشمل أجزاء من الشعر، قصاصات الأظافر، أسنان الطفل والحمض النووي، لقد قاموا حتى بجمع 9000 مشيمة من بعض الولادات.

أصبحت البيانات ذات قيمة كبيرة بالنسبة للعلماء، وتم تأليف ما يزيد على 6000 ورقة أكاديمية وكتاب، لكن الاكتشاف الأكثر أهمية في هذه الدراسة يتعلق بكيفية استخدام العلم لتقديم الأفضل دائماً لأطفالنا.

أهم نتائج الدراسات:

الدرس الأول: هو أن ظروفنا الحياتية في سن مبكرة يكون لها أثر عميق على الكيفية التي تسير بها باقي حياتنا، فأكبر رسالة تم الحصول عليها من هذه الدراسة أن التنشئة في ظروف صعبة ستجعل من مسيرتك في الحياة أكثر صعوبة، فالأطفال الذين ولدوا لأسر فقيرة، أو أبناء لأسر الطبقة العاملة في الأغلب واجهوا صعوبات في حياتهم، أكثر

من غيرهم، وكان أداؤهم في المدرسة الأسوأ، وانتهى بهم الأمر في وظائف سيئة، وكانوا أقل قدرة على كسب المال.

في المقابل فإن الأطفال الذين لديهم بداية أكثر رفاهية وقوة في الحياة هم أكثر عرضة إذا تقدم بهم العمر، لأن يصبحوا غير صحيين، وهم أكثر عرضة لزيادة الوزن، وارتفاع ضغط الدم، وبشكل عام يعانون بعد ذلك من ضعف عام في الصحة.

لكن ليس كل شخص يبدأ بداية صعبة، ينتهي به المطاف في ظروف صعبة. فالعديد من الناس كانت بدايتهم صعبة، ولكن انتهى المطاف بهم بشكل جيد رغماً عن كل شيء.

الدرس الثاني: الوالدان كان دورهم محوري في هذه الدراسة، خصوصاً في السنوات الأولى من عمر الطفل، فالآباء المهتمون، أصحاب الطموح والآباء الحريصون على مستقبل أبنائهم كان تأثيرهم في نجاح أبنائهم مهماً لدرجة كبيرة.

في إحدى الدراسات بحث العلماء فيما يقارب 17.000 طفل ولدوا في عام 1970م، وقاموا بتحليل جميع البيانات التي جمعوها، في محاولة لمعرفة ما الذي سمح للأطفال كانت لديهم بداية صعبة في الحياة على الماضي قدمًا، والأداء بشكل جيد في المدرسة والتغلب على الصعاب. أشارت البيانات إلى أن أكثر الأمور التي لها تأثير هو وجود والدين مهتمين وحريصين على أبنائهم، خاصة مراحلهم الأولى في الحياة، حيث كان لذلك تأثير جيد على الأولاد في المدرسة.

كانت هناك أمور يسيرة، يقوم بفعلها الوالدان، ارتبطت بشكل كبير بنتائج الأطفال، نحو التحدث والاستماع للطفل، والتجاوب معه بشكل ودي، تعليمهم الحروف والأرقام، أخذهم في الرحلات والزيارات، يبدو أن القراءة للأطفال كل يوم مهمة جدًا أيضًا، إذ في إحدى الدراسات كان الأطفال الذين يقرأ آباؤهم لهم يوميًا عندما كانوا في الخامسة من العمر، ثم أظهروا اهتمامًا بتعليمهم في سن العاشرة أقل عرضة للفقر في سن الثلاثين مقارنةً بالأولاد الذين لم يقرأ آباؤهم بهذه الأشياء.

في هذه الدراسة نظر العلماء إلى النظام (الروتين) اليومي لوقت النوم لنحو 10.000 طفل وُلدوا في بداية الألفية، حيث تحليل سلوك الأطفال الذين يذهبون للسرير في أوقات منتظمة، أو يذهبون للسرير في أوقات مختلفة خلال الأسبوع؟

أظهرت البيانات أن الأطفال الذين يذهبون للسرير في أوقات مختلفة كانت لديهم على الأغلب مشكلات سلوكية، بينما الذين لديهم ساعات نوم اعتيادية أظهروا تحسناً في السلوك.

من النتائج الأخرى المهمة في هذه الدراسة أن الأطفال الذين كانوا يقرأون من أجل المتعة في سن الخامسة والعاشرة، بمعنى أنهم التقطوا مجلة، أو كتاب مصور، أو كتاب قصص، على الأرجح أداؤهم في المدرسة كان بشكل أفضل، وأيضاً في الاختبارات المدرسية، ليس فقط اختبارات القراءة، بل اختبارات الإملاء والرياضيات أيضاً.

لقد حاولت هذه الدراسة السيطرة على جميع العوامل، لذلك تعاملت مع الأطفال الذين كانوا على القدر نفسه من الذكاء ومن الخلفية الاجتماعية نفسها، بمعنى كانت جميع العوامل متشابهة ما عدا عامل

القراءة، لذا بدا الأمر كما لو كانت القراءة هي التي ساعدت هؤلاء الأطفال، ليحققوا نتائج أفضل في تلك الاختبارات المدرسية في وقت لاحق من حياتهم.

ماذا يعني كل ذلك؟

يجب أن يكون هناك بعض العلم في تربيتنا لأطفالنا، والانتباه بأن كل ما علينا فعله لننشئ أطفالاً ناجحين وسعداء هو الحديث معهم، والاهتمام بمستقبلهم، ووضعهم في السرير في الوقت المحدد، وقراءة كتاب يوميا معهم، هكذا ستكون وظيفتنا كاملة.

بطبيعة الحال الأمور ليست بهذه السهولة. لكن ما أريد الإشارة إليه أن هذه الدراسة تبحث فيما يحدث لآلاف وآلاف الأطفال في المتوسط، ولكن هذا لا يعني بالضرورة أن هذا يحدث للجميع.

في النهاية كل طفل من أطفالنا سوف يسير في طريقه الخاص، وهذا الطريق نتاج لعوامل وراثية، وبالتأكيد التجارب التي مروا بها خلال حياتهم، بما في ذلك تفاعلهم معنا.

تقول المؤلفة والصحفية هيلين بيرسون: سأخبركم ما فعلت بعد أن تعلمت كل هذا، لقد أدركت أنني كنت مشغولة بالعمل، فقامت بتحديد وقت للكلام في المنزل، وهو عبارة عن 15 دقيقة في نهاية اليوم أتحدث مع الأولاد، أحاول أن أسألهم ما الذي قاموا بفعله اليوم، وأظهر لهم بأنني أقدر ما يفعلونه في المدرسة بالطبع، أتأكد من أن لديهم دائمًا كتابًا للقراءة. أخبرهم أنني طموحة فيما يخص مستقبلهم، وبأنهم يستطيعون الحصول على السعادة، وإنجاز أمور عظيمة، لا أعلم إن كان أي من ذلك سيصنع أي فرق، ولكنني واثقة جدًا أنه قد يكون مفيدًا لهم.



قوة الدعاء

لاحظ مدير المدرسة أن هناك أربعة من الأخوة في مراحل مختلفة من التعليم متميزين في كل شيء، فهم متفوقين في دراستهم، ومن أكثر طلاب المدرسة تميزًا بأخلاقهم وأدبهم وسلوكهم، بل ومعروفين باستقامتهم وتدينهم وحفظهم لكتاب الله تعالى، فأثار ذلك فضول مدير المدرسة وما كان منه إلا أن استدعى الابن الأصغر وطلب منه استدعاء والده.

تخوف الابن من هذا الطلب الغريب خشية أن يكون أساء التصرف ولكنه استدعى والده بناءً على طلب المدير، وعندما حضر الأب وكان شخصًا عاديًا، ليس عالمًا أو داعية، فسأله المدير عن سر صلاح أبنائه الأربعة، فقال له: ليس في تربيتي لأبنائي شيئًا غير طبيعي غير شيئين أفعلهما.. أما الأول فهو أنني أطعمهم من حلال ولا آخذ مال من شبهة، والثاني أنني بعد كل صلاة، وبين كل أذان وإقامة أدعو الله بهذا الدعاء:

اللهم احفظ أبنائي وأبناء المسلمين، اللهم بارك في أبنائي وأبناء المسلمين، اللهم اصلح حال أبنائي وأبناء المسلمين.

حينما ننخرط في مشاكلهم، ويكسرنا الخوف عليهم، نتعلق بالأسباب، وننسى أن الله تعالى هو خالقهم، وهو القادر على حمايتهم وحفظهم، مما يجعلنا نشعر أننا في متاهة لا نهاية لها.

ولكن عندما نتقطع بنا السبل فلا نجد غير الله لكي نحمل عليه همومنا، ونفوض الأمر إليه، كي يؤمننا خوفنا على أبنائنا.

تحكي أم عن ابنتها وهي في الصف الخامس الابتدائي، والتي عانت معها كثيرًا للالتزام بالصلاة دون نتيجة، لدرجة أنها كانت تفتersh سجادة الصلاة وتدعي بأنها صلت وهي لم تصل، وبالرغم من تجربتها معها لكل وسائل التحفيز والتخويف بالله حتى الضرب دون فائدة، إلى أن حكّت لها صديقتها أنها كانت في زيارة لصديقة لها وعندما حضرت الصلاة لاحظت أن أبنائها الأربعة قاموا للصلاة دون أن تنادهم، فسألتها عن ذلك فقالت لها: والله لا أذكر شيئًا غير أني كنت أدعو دائمًا

بدعاء ما حتى من قبل زواجي وهو ((رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ربنا وتقبل دعاء)).

تستطرد الأم وتقول: ومن حينها وأنا لا أترك هذا الدعاء في كل الأوقات، بعد الصلاة وبين الأذان والإقامة وفي الوتر وفي كل أوقات الإجابة، وها هي ابنتي الآن وصلت للمرحلة الثانوية ولا تترك فرضاً، بل تستيقظ لصلاة الفجر وتدور على كل أهل البيت لتوقظهم للصلاة. وصالح الأبناء هو توفيق ومنة من الله تعالى تستحق الشكر، وشكر الله على نعمته هو سبب حفظ النعمة، فالشكر هو إقرار بفضل الله علينا دونما فضلٍ منا.

تحكي امرأة القصة على لسان سيدة مسنة قابلتها في الحج تقول: أنا أرملة وكان لدي ابن صالح - والله حسيبه - حافظاً للقرآن، وكان يقوم الليل منذ صغره.

وكنت أرى لقريباتي أبناء ليسوا بمستوى ابني من الصلاح والخير، فكنت ألومهم على تقصيرهم وتهاونهم مع آبائهم.. وأنظر لهم نظرة

استنقاص في سري.. رغم أنهم لم يكونوا سيئين.. لكن كنت أقارنهم في نفسي بابني.

وكنت أفتخر في نفسي أني ربيته هكذا ووالده متوفى منذ صغره.. وأقول كيف أن هؤلاء معهن أزواجهن ولم يستطيعن تربية أبناءهن مثلي. وفجأة.. انتكس ابني الشاب.. دون مقدمات.

لم يترك الصلاة في المسجد فقط.. بل تركها نهائياً. وأصبح يرافق صحبة سيئة.. ثم اكتشفت أنه أدمن نوعاً من المخدرات.

ظلمت نحو ثلاث سنوات أنصحته وأوجهه وأدخل أخواله لنصحته دون جدوى.

وعرفت لأول مرة ما كانت تلك الأمهات يعنينه حين كن يقسمن لي أنهم حاولن ويحاولن دون جدوى مع أبنائهن رغم أنهم لم يصلوا لما وصل له ابني من انحرافه.

لقد وصلت به الحال أني كنت أدخل غرفته فأجمع الحبوب والصور الخليعة من أدراجه وأتخلص منها.. فيغضب ويصرخ ويدفعني حتى يكاد يضربني بل إنه فعلها ذات مرة.

انكسرت نفسي وأصبحت أخجل من رؤية من كنت أنتقص أبناءهن
بنظراتي وبين نفسي.. سمعة ابني السيئة وصلت للجميع
للأسف.. وعلمت أن الله يعلمني ويؤدبني.

والله ما انفككت عن الدعاء له.. ثلاث سنوات وأنا أدعو وأبكي..
وأبكي بحرقة.. لكن لكأن الله أراد أن يريني.. وفعل.. سبحانه.

وعندما انكسر ما كان في نفسي تماما من عجب بتربية ابني.. ومن
لومي للأخريات لتقصيرهن، ولم يبق في قلبي منه شيء، وعلمت أني لا
شيء، إنما كانت رحمة الله وإرادته هي سبب صلاح ابني.. وإنما كنت
مجرد سبب.. فلما أمسك الله رحمته عنه.. ضل وفسد.. وعندما وصلت
لهذه المرحلة من التعلق التام برحمة الله.. والتخلص من كل تعلق بنفسي
وبتربيتي.. وكنت أدعو في مصلاي ذات ليلة وأبكي.. دخل علي في
غرفتي.. وكانت الساعة الثالثة ليلاً.. وعيناه حمراوان من السهر ورائحته
تفوح بالدخان.. فقبل رأسي وقال ارض عني يا أمي.. ثم حضنني
وبكى.. وعندها خنقتها دموعها ولم تكمل.

قلت لها: وماذا حصل يا خالة؟

قالت: الحمد لله.. انظري إلي.. هو الذي أحضرني الآن للحج يا

ابنتي.

إن الاجتهاد في تربية الأبناء، والسعي لحصولهم على الأفضل دائماً، وأن نكون لهم آباءً صالحين وجيدين هي مسئولية، وضرورة حتمية للأخذ بالأسباب الدنيوية، ثم يأتي التوكل على الله وتفويض الأمر له والأخذ بالأسباب الروحانية التي تجعل البركة في الرزق والأولاد.

فعندما تتقطع بك الأسباب، وتشعر بأن الأبواب كلها قد تغلقت أمامك، أو تشعر بأنك أخفقت في تربيتهم، أو اتخذت قرارات خاطئة، أو إذا استشعرت بالخطر على أولادك، فلا ملجأ إليك إلا الله والبكاء بين يديه، والتوسل إليه، ثم توقن كل الإيقان بأن ربك لن يرد يدك صفراً خائبين أبداً.

فالدعاء هو الملاذ عندما نشعر بالعجز وضخامة المسؤولية وثقل الحمل.

والدعاء هو الملاذ عندما نخشى على أولادنا من أي مكروه قد يصيبهم.

والدعاء هو الملاذ لحفظ أبنائنا عندما نراهم على خير.



الخاتمة

كنت أتمنى لو أنني قرأت كل كتاب أُلّف عن التربية، وكل مقالة، واستمعت لكل محاضرة وكل ندوة وكل برنامج وكل حلقة، وحضرت جميع دورات التربية.

أتمنى لو أنني أملك خبرات جميع الآباء والأمهات على وجه الأرض، أتمنى لو أنني أملك حلم الأنبياء، ورهافة قلب الشعراء، وصرامة الحكام، وحكمة الفلاسفة.

أتمنى لو ألفت كتابًا يحمل آلاف الصفحات عن قصص الآباء والأمهات الذين كانوا جديرين بحمل هذه الألقاب بحق.

ولكنني اكتفيت ببعض مجهود متواضع كنقطة في بحر، عليها القشة التي قد يتعلق بها أب أو أم لتنقذهم من بحر الحيرة والخوف والقلق على أبنائهم.

لقد حاولت أن أكون كما النحلة التي تتنقل بين الأزهار لتنقل لكم رحيق الأفكار من هنا وهناك، وأضفت إليها بعضًا من خبرات وأفكار

متواضعة لتبدع أنت بصنع خليتك، وترسم لوحتك أنت وأولادك
بألوانك.

إن الحديث عن التربية شيق وطويل ولا ينتهي أبدًا، إنه أشبه
بمسلسل لا تكتمل حلقاته أبدًا، إنه لمن الممتع أن تعيش مع براءة الأبناء
ونقايتهم وصفاء قلوبهم، ومن الظلم لنفسك أن تمر لحظات من حياة
أبنائك بدون أن تشعر بها أو يشعرون بك، لا تتركهم أبدًا يكبرون
بدونك، فقد تكون متواجدًا معهم بجسدك فقط دون عقلك وقلبك،
فاحذر.. فالأبناء لديهم حساسات قوية للحب والاهتمام، فاغدق عليهم
من حبك وحنانك وهم صغار، يغدقون عليك حبًا وحنانًا واهتمامًا وهم
كبار.

إن الأبناء لا يحتاجون آباءً مثاليين لا يخطئون أبدًا، ولكنهم يحتاجون
لآباءً محبين واعيين لاحتياجات أبنائهم، يبذلون أقصى جهدهم.
وفي النهاية أوصيك وأوصي نفسي بثلاث:

• اقرأ.. استمع.. تعلم.. استمر ولا تتوقف.. فأبناؤك يستحقون.

• إذا عجزت عن تطبيق الكلمات، فابحث في قلبك وستجد جميع الإجابات.

• إذا خفت على ابنك فألقه في اليم، وارفع يداك إلى السماء وتضرع إلى الله فإما سيريه لك بين أحضان فرعون ليخرج من قصره نبياً، وإما سينقذه من غياهب الجب، وذل العبودية، وظلمات السجن ليصبح عزيز مصر.

وإما سيتولى تربيته هو سبحانه ليصبح أعظم الخلق كلهم.



المراجع

- هكذا نربي د. مصطفى أبو سعد الإبداع الفكري
- كيف ينشئ الآباء الأكفاء أبناءً عظاما د. ألان ديفيدسون
وروبرت ديفيدسون - مكتبة جرير
- التربية المثالية للأبناء د. هايم جينو الدار العربية للعلوم
- التربية الذكية د. لاري جيه كوينج مكتبة جرير
- الأطفال من الجنة د. جون جراي مكتبة جرير
- لغات الحب الخمسة التي يستخدمها الأطفال جاري تشابان
وروس كامبل - مكتبة جرير
- دليل الآباء لتفوق الأبناء جاك ومارشا يونجبلود الشركة العربية
للإعلام العربي
- المراهق كيف نفهمه ونوجهه د. عبد الكريم بكار الإسلام اليوم
- المراهقون المزعجون د. مصطفى أبو سعد الإبداع الفكري

كيف نتحدث فيصغي الصغار إليك أديل فابر - إلين مازليش

مكتبة العيكان

وتصغي إليهم عندها يتحدثون

بناء الثقة بالنفس باستخدام الكلمات المشجعة جودي إتش

رايت دار الفكر

كبسولات تربوية فاطمة المهدي كيان

كيف تمنعين طفلك من الإفراط في مشاهدة التلفزيون

وقضاء الساعات أهام الكمبيوتر؟ تيريسا أورانج - لويز أوفلين دار

الفاروق

الذكاء التربوي د. إيناس فوزي البشاير

المراهقة تحديات ومواجهات د. محمد عبد القادر الدار المصرية

للعلوم

حلقات ومحاضرات عن التربية

د. إبراهيم الخليلي

د. جاسم المطوع

د. طارق الحبيب

د. مصطفى أبو سعد

د. منى البصيلي

د. أحمد عمارة

كيف تحمي ابنك من أضرار التكنولوجيا د. محمد الجندي

أطفالنا وخطر التكنولوجيا تحقيق عمر بودي (الشروق)



الفهرس

إهداء 5

أبناء رائعون 8

أبنائي ومهتعة الرحلة 16

الباب الأول 21

هل نعاني أزمة تربية؟ 22

لماذا ننجب أطفالاً؟ 26

الحب وحده لا يكفي 29

المعادلة المثالية 33

كيف نحب أبناءنا؟ 36

كيف نكون حازمين؟ 42

الباب الثاني 45

تحديد الوجهة 46

قلوب أم قوالب 49

القوة من الداخل 52

السيطرة بالمشاعر 55

ليس بهذه الطريقة نحميهم 57

هل يمكن للمدح أن يكون هداماً؟ 63

آباء إيجابيون ولكن 72

تعلم مهارة الاعتذار 83

لا تتعجل النتائج 86

الباب الثالث 89

الفصل الأول 91

امدح 92

تجاهل 95

كن مرئاً وتجنب المشادات 97

ضع الحدود 100

الفصل الثاني 102

اطلب ولا تأمر 103

لا تطلب بصيغة هل بالإمكان 105

توقف عن اللوم والتأنيب 106

توقف عن إبداء الأسباب 106

توقف عن إلقاء المحاضرات 108

110 لا تستخدم المشاعر للتأثير على الأبناء

111 كن واضحًا ومباشرًا وموجزًا

114 **الفصل الثالث**

114 متى تأمر وكيف؟

119 الحب قبل وبعد العقاب

121 رسائل

124 عصا التأنيب

129 **الباب الرابع**

131 التعامل مع أخطائهم

134 التعامل مع مشاعرهم السلبية ونوبات الغضب

148 العند والرفض والتمرد

154 المقارنة مع الآخرين

التعامل مع طلباتهم التي لا تنتهي 180

الباب الخامس 187

غير طريقة تفكيرك 188

تربية الأبناء مهارة يمكن تعلمها 193

لن أربي وحدي 201

الباب السادس 209

أهمية القيم في حياة الأبناء 210

القيم وقوة الدين 222

كيف نغرس القيم في نفوس أبنائنا؟ 225

لعبة القيم وقلوب الأبناء ودور الآباء 232

الأبناء واختلاف قيم الوالدين 237

الباب السابع..... 241

242 تربية المسئولية في الأبناء

260 الطفل المتمرد والعنيد

272 الالتزام والصلاة

286 الدراسة والمذاكرة

302 أبناؤنا والتكنولوجيا

الباب الثامن..... 317

318 غير العدسة التي ترى بها أبنائك

326 اعرف ما يمر به ابنك في هذه المرحلة

328 11 مشكلة يواجهها الآباء مع أبنائهم المراهقين وأسبابها وحلولها....

الباب التاسع..... 349

350 استرخوا أيها الآباء

353 همسة في أذن كل أم

356 رسالة لكل معلم

366 قوة الدعاء

372 **الخاتمة**

375 **المراجع**

